

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY

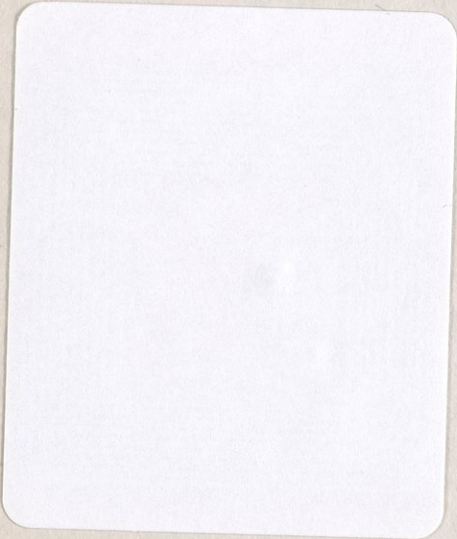
3 8534 01034 3675





FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

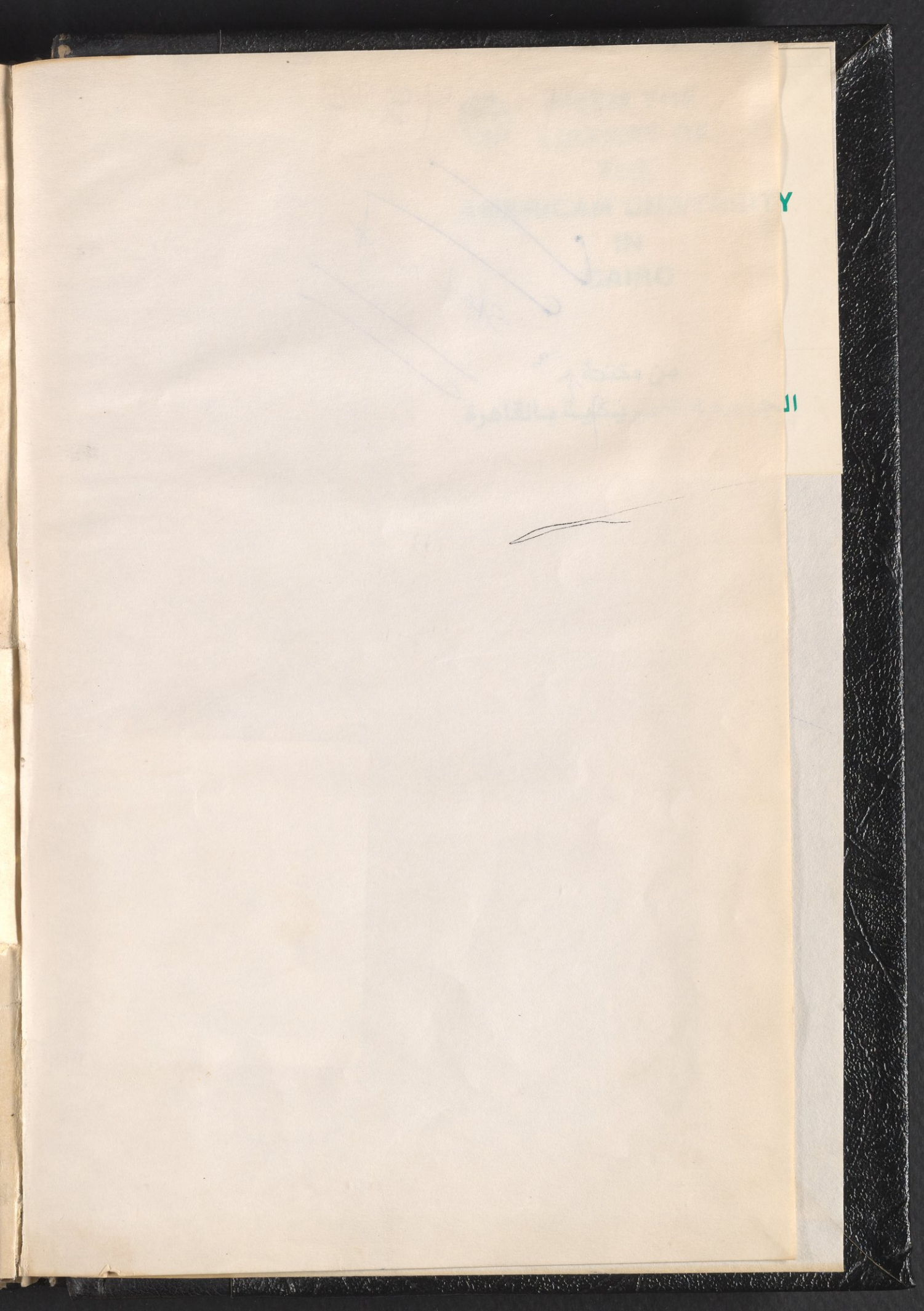
من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة



04-134890

✓
✓ start w. it

9-5-3



لما
ق

D
198.4
K5
55X
1933

مصادر الكتاب

مصادر الكتاب

تاريخ وفات المؤلف			
٢٠٧	لواقدى	المغازى	١
		فتوح الشام	٢
٢١٣	لابن هشام	السيرة النبوية	٣
٢٣٠	لابن سعد	الطبقات الكبرى	٤
٢٧٠	لابن قتيبة	المعارف	٥
٢٧٩	للبلاذرى	فتوح البلدان	٦
		أنساب الأشراف	٧
٢٨٢	لاحمد بن يعقوب	تاريخ يعقوبى	٨
٣١٠	للطبرى	تاريخ الأمم والملوك	٩ X
		جامع البيان فى تفسير القرآن	١٠
٣٢٨	للقرطبي	العقد الفريد	١١ X
٣٥٦	للاصفهاني	الأغانى	١٢ X
٣٨٧	للمقدسى	أنساب القرشيين	١٣
٤٦٣	لابن عبد البر	الاستيعاب	١٤
٥٧١	لابن عساكر	تاريخ مدينة دمشق	١٥
٦٢٦	لياقوت الحموى	معجم البلدان	١٦ X
٦٣٠	لابن الأثير	الكامل	١٧
		أسد الغابة	١٨
٧٣٢	لأبى الفدا	المختصر فى أخبار البشر	١٩ X
٧٧٤	لعهاد الدين اسماعيل بن كثير	تفسير ابن كثير	٢٠ X
٨٥٢	لابن حجر العسقلانى	الاصابة	٢١
		تهذيب التهذيب	٢٢
٨٥٥	للغنى	شرح البخارى	٢٣
٩٦٦	للديار بكرى	الخميس فى أحوال أنفوس نفيس	٢٤
١٠٤٤	لابن برهان الدين الحلبي	السيرة الحلبية	٢٥

هذه هي أهم المصادر التي استقينّا منها ، وهناك كثير من المراجع
استفدنا منها ولكن دون استفادتنا من المصادر التي ذكرناها ، مثل :
خزانة الأدب ، طبقات الشعراء ، صبح الأعشى
على أنه لم يفتنا أن نطلع على ما كتبه المؤرخون المحدثون من عرب
ومستشرقين . وفي الحق إن كتاباتهم لقيمة وجديرة بالعناية ، لكن مردها
على كل حال هو تلك المصادر التي أخذنا عنها .



الحمد لله الذي جعلنا من آل بيته

سيدنا محمد وآله وصحبه

فهرس

تاريخ سيف الله

خالد بن الوليد

البطل الفائح

فهرس الأشكال والخرائط

ومواضعهم من الكتاب

- شكل رقم ١ يبين نسب خالد واتصاله بالعمود النبوي وبأبي بكر رضى الله تعالى عنه
ب « أنظر صفحة رقم ١١ »
- شكل رقم ٢ يبين نسب خالد من جهة أبيه وأمه وأنهما يجتمعان في مضر
ج « أنظر صفحة رقم ١١ »
- شكل رقم ٣ لبيان بعض رجال بني مخزوم
د « أنظر صفحة رقم ٢٠ »
- شكل رقم ٤ لبيان أعمام خالد وبعض من أبناء عمومته « أنظر صفحة ٢٤ »
هـ
- تعريف بالأسماء الواردة بالشكل رقم ٤
و
- شكل رقم ٥ لبيان أخوة خالد
ز « أنظر صفحة رقم ٢٦ »
- شكل رقم ٦ يبين خال خالد وخالاته الأشقاء ، وخالاته لأم
ح « أنظر صفحة رقم ٢٩ »
- ط « أنظر صفحة رقم ٩١ »
- ي « أنظر صفحة رقم ١١٩ »
- ك « أنظر صفحة رقم ١٥١ »
- ل « أنظر صفحة رقم ١٦٠ »
- م « أنظر صفحة رقم ١٧٣ »
- خريطة جزيرة العرب
خريطة أرض العراق والجزيرة
خريطة بلاد الشام وبحر الروم
خريطة منطقة اليرموك
خريطة دمشق والغوطة

٣	مقدمة
٦	تصدير
	الباب الاول: خالد قبل الاسلام ، نسبه « انظر الشكل رقم ١ ورقم ٢
١١	صفحة ب، ج «
١٢	ولادته ✓
١٣	بيئته الطبيعية ✓
١٤	بيئته الاجتماعية ✓
١٤	مركز مكة الديني ✓
١٥	الآثر الديني لمكة ✓
١٥	مركز مكة التجاري ✓
١٦	مركز مكة الأدبي والأخلاقي ✓
١٧	مركز مكة السياسي ✓
٢٠	قبيلة خالد « أنظر شكل رقم ٣ صفحة د » ✓
٢٤	عمومة خالد « أنظر شكل رقم ٤ صفحة هـ » ✓
٢٦	أخوة خالد « أنظر شكل رقم ٥ صفحة ز » ✓
٢٩	والدة خالد « أنظر شكل رقم ٦ صفحة ح » ✓
٣١	والد خالد ✓
٣٦	خالد ومظاهر الشرف في قريش ✓
٣٩	صناعة خالد ✓
٤١	السر في أنه كان حريياً مظفراً ✓
٤٣	موقفه ازاء الاسلام ✓
٤٣	موقفه في أحد ✓
٤٤	موقفه في الخندق ✓
٤٥	موقفه بالحديبية ✓
٤٦	موقفه في عمرة القضية ✓
٤٨	الباب الثاني: خالد منذ اسلامه إلى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اسلامه ✓
٥٧	لماذا أبطأ خالد في إسلامه ✓

٥٩	غزوة مؤتة
٦٥	فتح مكة
٧٠	هدم العزى
٧١	خالد في بني جذيمة
٧٦	الفصل في أمر بني جذيمة
٧٩	غزوة هوازن
٨١	خالد في غزوة الطائف
٨٣	إرسال خالد إلى بني المصطلق
٨٦	سرية خالد إلى دومة الجندل
٨٧	إرسال خالد إلى بجران

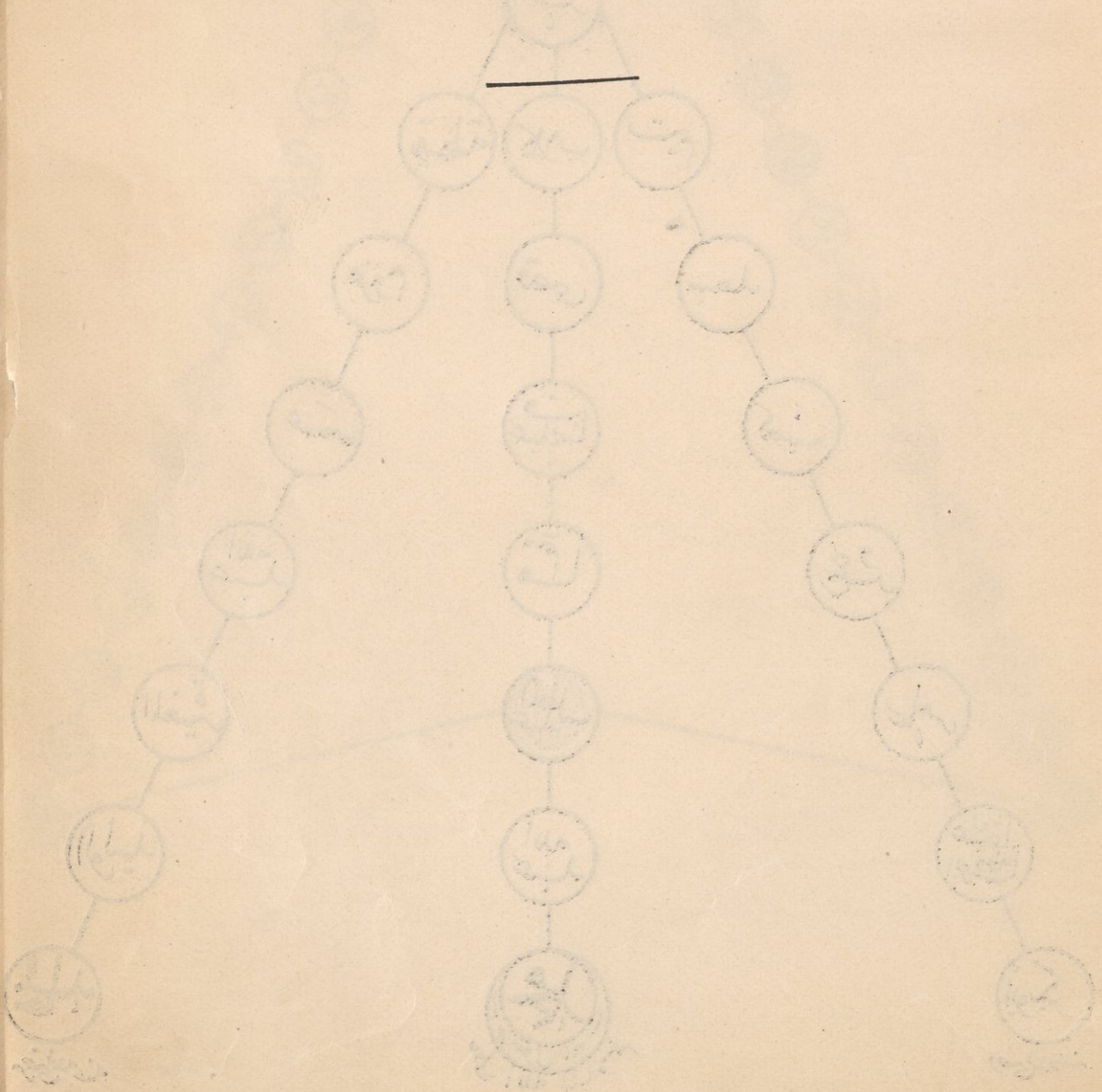
الباب الثالث : أعمال خالد وفتوحه في زمن أبي بكر رضى الله تعالى عنه —

٩١	أثره في حروب الردة . تمهيد
٩٥	« أنظر خريطة رقم ١ صفحة ط »
١٠٢	طليحة الأسدي
١٠٤	مالك ابن نويرة
١١١	الفصل في أمر مالك
١١٩	مسيلة الكذاب
١٢٢	فتوح خالد في العراق : الأبله « انظر خريطة رقم ٢ صفحة ١ »
١٢٤	المدار : » » »
١٢٥	الولجة : » » »
١٢٦	أليس : » » »
١٢٧	أمغيشيا : » » »
١٣٥	الحيرة : » » »
١٣٧	الأنبار : » » »
١٣٩	عين التمر : » » »
١٤١	دومة الجندل : » » »
١٤٢	الحصيد : » » »
	الحنافس : » » »

١٤٢	فتوح خالد في العراق : المصيح	✓
١٤٣	» » : الثنى والزميل	✓
١٤٤	» » : الفراض	✓
١٤٦	حج خالد	✓
١٤٧	أثر خالد في فتوح العراق وفائدة ذلك للمسلمين	✓
١٥١	فتوح خالد في الشام » انظر خريطة رقم ٣ صفحة ك	—
١٦٠	موقعة اليرموك » انظر خريطة رقم ٤ صفحة ل	—
١٧٣	الباب الرابع : أعمال خالد وفتوحه زمن عمر رضى الله تعالى عنه — دمشق	
	» انظر خريطة رقم ٥ ، ٦ صفحة م	
١٧٦	غزوة الحفل	
١٧٧	وقعة مرج الروم وأثر خالد فيها	
١٧٨	فتح حمص	
١٧٩	» الحاضر — فتح قنسرين	
١٨٠	» مرعش	
١٨١	ترتيب الوقائع وأزمان حدوثها	
١٨٧	أسباب النفور بين عمر وخالد وما آل إليه	+
١٨٧	أوصاف عمر رضى الله تعالى عنه	
١٨٨	أوصاف خالد رضى الله تعالى عنه	+
١٨٩	أصل العداوة بين عمر وخالد	±
١٩١	متى كان عزل خالد	+
١٩٥	أثر العزل في نفس عمر وخالد	+
١٩٦	أثر العزل في نفوس الأمراء والجند	+
١٩٧	أثر العزل في نفوس كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم	+
١٩٧	ما آل إليه البغض بين عمر وخالد رضى الله تعالى عنهما	+
٢٠٠	ناحية خالد الدينية	+
٢٠٢	صفته وأخلاقه	+
٢٠٤	سياسته في الحرب وخبرته بفنون القتال	+
٢٠٥	سياسته لجنده ووجه لهم	—
٢٠٦	حبه للغزو والجهاد	—
٢٠٧	بيت خالد	—
٢٠٩	وفاة خالد رضى الله تعالى عنه	—

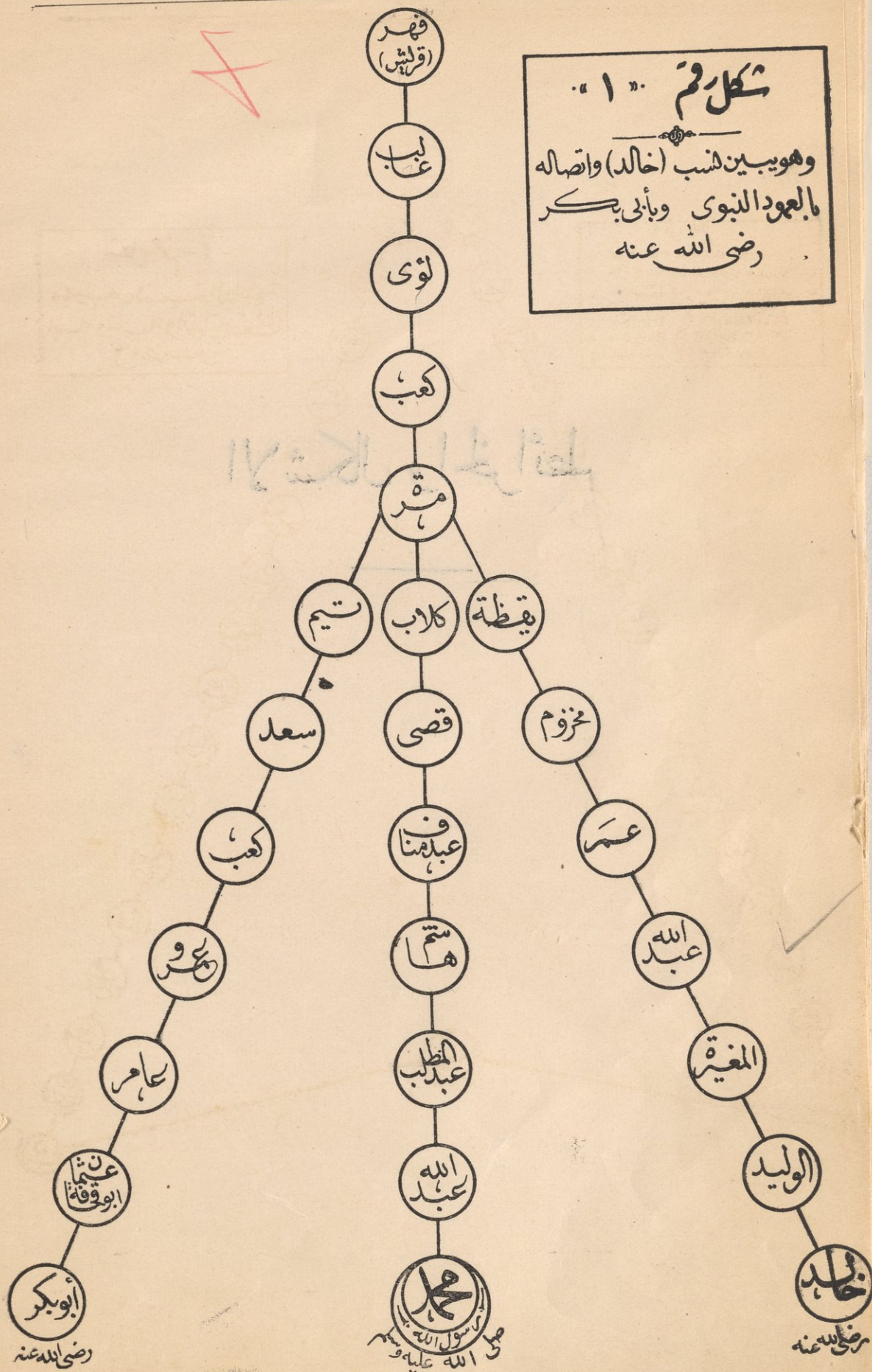
١٠٠
 عايشة (بالا) بنت زيد بن
 زيد بن زيد بن زيد بن زيد
 بن زيد بن زيد بن زيد بن زيد

الاشكال والخرائط





وهو بين نسب (خالد) واقصاه
 بالعهد النبوي وبأبي بكر
 رضي الله عنه



تعريف بالأسماء الواردة بالشكل رقم ٤

- (١) من أشرف قريش وكبار المعاندين للنبي صلى الله عليه وسلم ووالد عكرمة الصحابي والقائد المعروف
- (٢) قديم الاسلام وهاجر إلى الحبشة واستشهد بمرج الصفر
- (٣) من المؤلفة قلوبهم وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم هوازن
- (٤) أسلم وحسن إسلامه وفيه يقول الشاعر :
أولى قريش بالمكارم والندی في الجاهلية كان والاسلام
- (٥) من أشرف قريش وقتله عمر بن الخطاب يوم بدر كافراً
- (٦) أول من بدأ قريشا الكلام في نقض الصحيفة
- (٧) صهر النبي صلى الله عليه وسلم
- (٨) أم سلمة أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم
- (٩) أرسله النبي صلى الله عليه وسلم أميراً على صنعاء وعقد له أبو بكر لواء في حروب الردة لمحاربة الأسود العنسي
- (١٠) قديم الاسلام قبل الاجتماع في دار الأرقم وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية
- (١١) صحابي واستشهد يوم الطائف
- (١٢) من أشرف قريش وقتل يوم بدر كافراً
- (١٣) قديم الاسلام وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية
- (١٤) والده عمر بن الخطاب
- (١٥) استشهد باليامة
- (١٦) من أشرف قريش وقتله سيدنا حمزة بيدر كافراً وقد كان أسلم ثم فتن عن دينه
- (١٧) كان في غير ابن الحضرمي وأسرهم المسلمون
- (١٨) اقتحم الخندق فرماه المسلمون بالحجارة ونزل إليه على فقتله

بين أخوة خال
شكل رقم - ٥ -

الويلد

قيناو

مسعود

الويلد

خليفة

الحل

طهنة

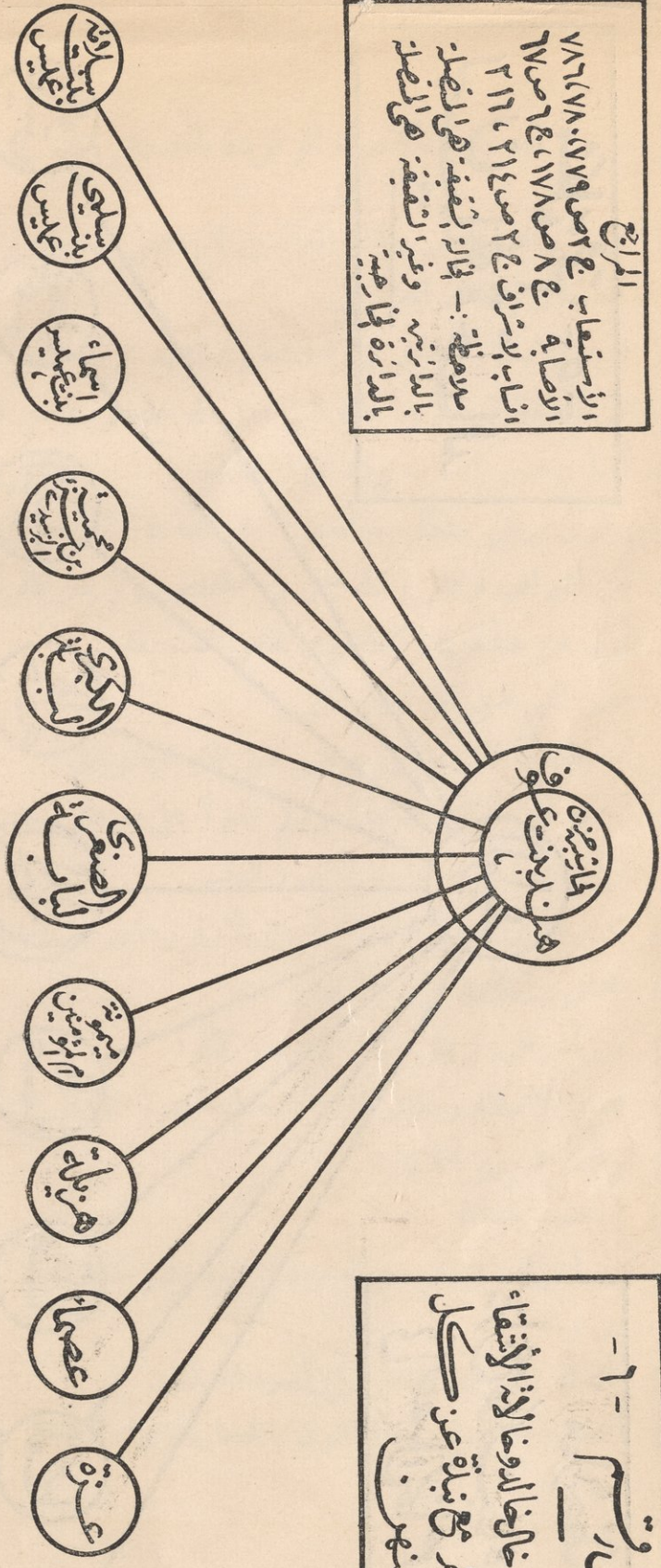
هشما

الوصا

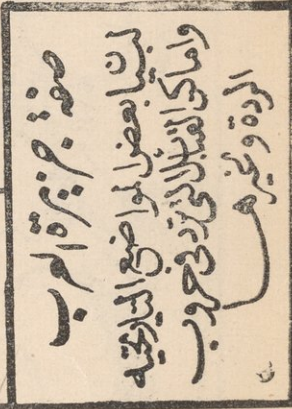
عارة

ملاحظة
يراجع ما كتبناه عن أخوة
في الفصل الخامس بهم

المراجع
 انشعاب ج ٢ ص ١٧٨، ١٧٩
 انشعاب ج ٨ ص ١٧٨، ١٧٩
 انشعاب اشراف ج ٢ ص ٢١١، ٢١٢
 ملاحظة: - خارطة تصفية هي الفصل
 بالملازمة وغير التقيمة هي الفصل
 بالملازمة الخارجية



شكل رقم ١ -
 وموسمين خالدا لروا لاله الانتقاء
 وخالدا لاله مع نبذة عن كل
 منهم









تاريخ

خالد بن الوليد

البطل الفائح

D

198.4

.R5

55X

1933

تأليف

أبو زيد سلمي

خريج قسم التخصص بالازهر
والدرس بالمعاهد الدينية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م

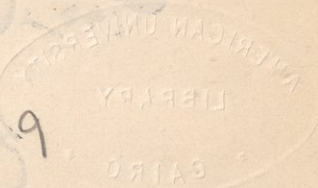
المطبعة المصيرية

OCLE
23069629

B13187107
15021579

297/92
K 425

ق19، 9
خالر. ش



نفيلا

بوت بنديا

بوت بنديا بنديا
بوت بنديا بنديا

بوت بنديا بنديا

17147

بوت بنديا

بوت بنديا - بوت بنديا

بوت بنديا بنديا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد فهذه رسالة في تاريخ عظيم من عظماء الاسلام ، وقائد هو بلا مرء أكبر قواد المسلمين ، ذلك هو سيف الله خالد بن الوليد . وقد حجب إلى الكتابة في سيرة هذا البطل العظيم وفوحه أنى رأيت الأمم الناهضة لا تفتأ تشيد بذكرى أبطالها وعظمائها ، وتفخر بهم ، ولا تدخر وسعاً في تمجيدهم وتقديسهم . تذكر هؤلاء الأبطال في المنازل والمعاهد ، في النوادي والمجتمعات ، فينشأ ناشئهم وفي نفسه كل معاني الاجلال والاكبار لهؤلاء الأبطال .

وأرانا معاشر أهل الاسلام قد انصرفت نفوسنا عن تعرف حياة عظمائنا وسيرهم ، ومقدار ما بذلوه من جهد وطاقة في نصره دين الله وإعلاء كلمته ، وما كان لهم من فضل في رفعة أممهم وأوطانهم ، بما كان له أكبر الأثر فيما نحن فيه من نعمة ، وما ندعيه من مجد . وإنه لمن الظلم أن نهنا بمجهودهم ، ونرقل في نعيمهم ، ولا نعرفهم ولا نحتفظ بمخلفاتهم ، وما كان لهم من مآثر صالحات ، بل كثيراً ما نعتهم ونغبطهم حقهم حتى فيما يعترف لهم به أعداؤهم ، ولا سيما تلك الفئة منا الذين يدعون لأنفسهم — ظلماً — أنهم أهل الثقافة والعرفان ، فترى الواحد منهم إذا احتاج إلى ضرب مثل ، أو الاستشهاد على حادثة فسرعان ما يعمد لنابليون أو

بسمارك ليقتبس من سيرته وأعماله كأن أمته ليست من الأمم التي تتصل
بماض تفخر به ، أو كأن قومه ليس فيهم من الرجال من يسامى بسمارك
أو يقارع نابليون ، بيد أنه لو رجع إلى تاريخ قومه لوجد ما تقربه عينه ،
ولعثر على جم الشواهد والمثل .

لنقف قليلاً ثم نتصور أن خالد بن الوليد كان في أمة حية كالأمة
الانجليزية مثلاً ، ثم لننظر كم من الحفلات تقام للإشادة بذكركه ، وكم من
المعاهد والمدارس تعرف باسمه ! (١)

على أن من دواعي سروري واعتباطي أنني في أثناء دراستي بقسم
التخصص كنت مجدوداً بأولئك الأساتذة الأجلاء ، والسادة الفضلاء ،
فقد كان لغيرتهم على الاسلام وأبناء الاسلام ودأبهم على العمل لاعادة
مجدهم أثر عظيم في نفسي حفزني على أن أسير قدماً فيما عليه عزمت ، فان
كنت قد أحسنت الاختيار في موضوع رسالتي هذه ، أو كان فيها بحث
مفيد ، أو رأى سديد ، فرده إلى إرشاد أساتذتي ونصائحهم .

وقد شجعتني على أن أتقدم برسالتي هذه لهيئة الامتحان النهائي لقسم
التخصص بالأزهر أنني رأيت الروح السائدة لمن كان لي شرف الاستفادة
من آرائه ومباحثه إظهار تلك الشخصيات البارزة من أبناء الاسلام ،
والاستفادة من أعمالهم وسيرهم

(١) يسرنى أني اطلعت في صحيفة البلاغ من العدد رقم ٣١٨٥ الصادر في مساء
يوم الاثنين ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٥٢ ، ٣١ يولية سنة ١٩٣٣ على أن نخبة من الشبان
في بورسعيد ألفوا فرقة للكشافة أطلقوا عليها اسم « كشافة خالد بن الوليد » . وفي
الحق أن مثل تلك الجماعة من أبناء الاسلام لمن أجدر الناس بالتيمن باسم خالد والتشبه
بشهامته وشجاعته

على أنى لم أر من المؤرخين من كتب كتابة مستقلة مستوفاة لهذا القائد الكبير . ولعلى برسالتى هذه أتوصل إلى نشر شيء يعتد به من سيرة ذلك القائد المظفر الذى أبلى فى جهاد دولتى الروم والفرس البلاء الحسن ، فانتشر الاسلام وساد فى تلك الأرجاء الواسعة .

وسأبذل جهدى فى تذليل ما يعترضنى من صعوبات وبخاصة البحث فى مراجع التاريخ العربية القديمة التى عليها المعول فى مثل موضوعنا هذا ، فأستعين الله وأستمد منه المعونة أن يوفقنى لظهار شيء أستطيع تقديمه لمن يهمهم الاطلاع على تاريخ ذلك القائد العظيم الذى لا يجود الدهر بمثله .

ابوزيد ساجي

تصدير

الأمة برجالها، والرجال بأعمالهم، فالأمة تعلو بأبنائها المخلصين،
وعلمائها الباحثين، وصناعتها المجيدين، وأبطالها المجاهدين، وساستها
المبرزين. وخليق بمثل تلك الأمة أن تسود، وأن تملئ إرادتها على
من سواها.

ولقد كان العرب قبل الاسلام أمة متبدية متنافرة لا تجمعهم رابطة،
ولا يؤلف بين قلوبهم غرض أو غاية، يأنفون من الخضوع لرئيس،
فلا يذعنون إلا لسيوفهم ورماحهم، يهيجهم تافه الأمر، ويضرم نار
الحرب بينهم وشل^(١). قل أن يعرفوا لغيرهم واجباً، أو يقيموا للمساواة
وزناً. شعارهم « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً^(٢) » فكانوا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا
كانت هذه الأمة تعبد الأصنام والأوثان رجاء أن تقربهم إلى الله
زلفى، متجافين عن العلم والتعلم، بعيدين عن التدبر والتفكير، إلا ما كان
من معرفة ماهو ضرورى لحياتهم، كالسلاح والطب فى أبسط حالاته،
ومعرفة النجوم والأنواء لحاجتهم إليها فى حلهم وترحالهم. فلما تأذن الله
للالسلام بالظهور وأراد لهذه الأمة من الخير ما أراد، مهد لهذا الدين
بوجود أفراد ذوى نظار وعقل وروية وثاقب فكر، لهم أثر غير منزور

(١) قال فى القاموس : (الوشل) محرقة الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة
ولا يتصل قطره

(٢) من غير أن يعدلوه بما عدله به الاسلام

في تنبيه العقول وتهيتها للدين الجديد مثل : أكتثم بن صيفي ، وقس بن ساعدة ^(١) ، وورقة بن نوفل ومن إليهم ، ففاهوا بالحكم والمواعظ وحثوا على خلال الخير وخير الخلال ، وأخذوا ينعون على قومهم ما هم فيه من ضلال وباطل ، وأخذ فريق منهم يتلس دين ابراهيم بينما كان فريق آخر يجد ويبحث عله يصل إلى دين أهدي مما عليه قومه ^(٢)

وما أشبه هذا الفريق من الحكماء والمفكرين بالبريق الذي يضيء قبيل الفجر ثم يخبو مؤذنا بالفجر الصادق الذي يسطع وتطلع شمسهِ فيعم ضياؤه كل الأرجاء ، ويطبق الآفاق .

انبثق فجر الاسلام وسط ظلام حالك من استبداد الأكاسرة ، وتجبر القياصرة ، والعكوف على عبادة الأحجار والكواكب وغيرها ، فكان من فضل الله ورحمته بعباده أن جاء الاسلام مبينا للناس أن الذي يجب أن يعبد إنما هو الله وحده لا إله غيره ، أمرا بمكارم الأخلاق وجميل الصفات ، مسويا بين الناس ، وأنهم إنما يتفاضلون بالتقوى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » « فليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى »

ولقد كانت الأمة الاسلامية في عهدها الأول المثل الأعلى فسادت العالم ، وأرته كيف تكون التضحية للوطن ، والدفاع عن العقيدة ، وعلته مبلغ أثر الاتحاد في النصر ، وقيمة المساواة بين الرعية .

كانت الأمة الاسلامية في بدئها تعرف العدل على أنه عدل فلا محاباة لابن الامير وإن جل ، ولا غبن على ابن الفقير وإن قل

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٧٢

(٢) سيأتي لهذا القول فضل بيان عند الكلام على مركز مكة السياسي

اجتمعت كلمة المسلمين ووجدوا صفوفهم تحت رمز واحد هو :
 « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فعند هذه الكلمة تهتز القلوب ، وتطرب
 النفوس ، وتذوب الضغائن ، وتمحي ^(١) الأحقاد ، عند هذه الكلمة
 يجتمعون ، وإليها يرجعون ، ولا أجلها يجاهدون .
 تلك الكلمة هي التي أوحى لمثل عكرمة بن أبي جهل أن يقول :
 « من يبائع على الموت ^(٢) » . وهذا المعنى السامى هو الذى جعل العربى
 القح يقول :

ركضا إلى الله بغير زاد إلا التقي وعمل المعاد ^(٣)

حقا إن الانسان ليدعش لتلك الأمة ويحار لفتوحها الخالدة وهي
 قريبة عهد بالبداءة والانقسام ؛ فأى شىء طرأ على تلك الأمة أمة الشيخ
 والقيصوم فهذبها ، وألف بين كلمتها وأحكام وحدتها ، بعد أن كان بيت
 من الشعر يقوله صعلوك كافيا للقطيعة بين بنى الأب الواحد ، ووقوفهم
 متصافين بالسيوف .

ماذا حدث لتلك وماذا طرأ ؟ أترأه الدين الجديد الذى اعتنقوه ،
 أم العدل الذى بسطوه ، أم التسوية بين السيد والمسود ، أم حسن
 التزجية للجيش ؟ !

لا جدال فى أن الدين الجديد هو الأساس الذى جمع شملهم ، ووجد

(١) محاه فامحى كادعى وامتحى لغة قليلة أو رديئة . شرح القاموس

(٢) سياقى بيان ذلك عند الكلام على موقعة اليرموك

(٣) قائله عمير بن الحمام أخو بنى سلمة يوم بدر حينما حرض النبي صلى الله عليه وسلم
 المسلمين للقتال فألقى بثمرات كانت بيده وقاتل حتى قتل - الطبرى ج ٢ ص ٢٨١

كلتهم، وحذرهم مما كانوا عليه في جاهليتهم، ووجه همتهم لتكوين دولتهم، بعد أن كانت قواهم ضائعة في منازعاتهم^(١).

هو الذى أذاقهم طعم المساواة والعدل . هو الذى حضهم على الاتحاد وحذرهم مغبة التنازع والاختلاف بقوله : « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا » . هو الذى عرفهم بالقيمة المعنوية فى الجيش وأن عليها يكون النصر فقال لهم : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون »^(٢)

هو الذى صقل عقولهم وجعلها تفكر فيما حولها ، بما استحشهم به من آى الذكر الحكيم كقوله تعالى : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ »

تفتحت أعينهم على ما جاورهم ورأوا الدنيا ونعيمها وفيئها ومتعها ، ووراء هذا النعيم سادات يتلذذون ، وعبيد يتحسرون ، وظلم جارف ، وتحكم فى عباد الله لا ترضاه الانسانية ، ولا تقره الأديان الحققة . رأوا هذا ورأوا دينهم الذى ارتضوه قد ألقى عليهم مهمة المرشد المخرج للناس

(١) يقول الفياسوف جوستاف لوبون فى الفصل الرابع من كتابه التعاليم النفسية للحرب الأوربية تحت عنوان : « أثر العوامل الروحانية فى منشأ الحرب » ما نصه : « بفضل إيمان العرب تمكنت تلك الجماعة القليلة فى مدة وجيزة من فتح جميع العالم المتمدين تقريباً ، وشيدت مملكة امتدت من مشارق الأرض إلى مغاربها » ص ٦٦ طبعة الهلال سنة ١٩١٦

(٢) قال فى العقد الفريد : جمع الله تبارك وتعالى تدبير الحرب فى آيتين من كتابه فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا)

من الظلمات إلى النور ، فكان حقاً عليهم أن يمتثلوا قول الله تعالى :
« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر »

فعند ما استقرت الأمور ، وهدأت الأحوال التي أعقبت وفاة
الرسول صلى الله عليه وسلم تهيأ المسلمون لطاعة الله ، واستعدوا لنشر دينه ،
وهداية عبيده ، وقد ساعدتهم على ذلك ، وسهل عليهم مهمتهم أن هياً الله
لهم رجالاً باعوا أنفسهم في طاعة الله ، ونسوا كل شيء إلا إعلاء كلمته ،
وهداية خليقته ، أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعمرو بن العاص
وخالد بن الوليد . بيد أن خالداً كان فارس الحلبة ، فهو فاقى عين الردة ،
وفاتح السواد ، وصاحب يوم اليرموك .
تلك الفتوح العظيمة التي صيرته بحق القائد الأول وجعلت اسمه
يهزم الجيوش ، ويقوض العروش .



الباب الأول

خالد بن الوليد قبل الإسلام

« نسبه ، ولادته ، بئته التي عاش فيها ، البيئة الطبيعية ، البيئة الاجتماعية ، مركزه الديني ، مركزها التجاري ، مركزها الادبي والاخلاقي ، مركزها السياسي ، قبيلته ، عمومته ، أخوته ، والدته ، والده ، شرفه ومكانته في قريش ، صناعته ، السر في أنه كان حريياً مظفراً ، موقفه أزاء الاسلام ، موقفه في احد ، موقفه في الخندق ، موقفه في الحديبية ، موقفه في عمرة القضاء »

نسبه

هو أبو سليمان ^(١) خالد بن الوليد بن المغيرة عبد الله بن عمر ^(٢) بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن لعب بن لؤى ، فهو يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك مع أبي بكر رضى الله تعالى عنه في الأب السابع للنبي صلى الله عليه وسلم وهو مرة (انظر شكل رقم ١)
وأمه لبابة الصغرى بنت الحارث بن حزن الهلالية . وتلتقي مع الوليد أبي خالد في مضر ^(٣) (انظر الشكل رقم ٢)

(١) وقيل أبو الوليد وما في الأصل أشهر

(٢) في بعض كتب التاريخ عمرو بدل عمر وهو تحريف صححناه من المراجع المخطوطة والمطبوعة المعتمنة بتصحيحها مثل : أنساب القرشيين ج ١ ص ٥٩ وابن هشام في مواضع عدة من الجزء الأول والثاني ، ابن سعد ج ٣ في كثير من المواضع ، الطبري ج ٢ ، ٣ في أكثر من موضع منهما

(٣) سنفرده بحثاً خاصاً لكل من أبيه وأمه

ولادته

لم نجد بين كتب التاريخ التي اطلعنا عليها نصاً يبين تاريخ ولادة خالد غير أن ابن عساکر في تاريخه،^(١) وابن برهان الدين في سيرته ذكرا أنه قد « اضطرع عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وهما غلامان ، وكان خالد بن خال عمر فكسر خالد ساق عمر فعولجت وجبرت » . وهذه الحادثة تعطينا أن سنهما كانتا متقاربتين / جد التقارب ، إذ العادة جرت بصارعة الغلمان اذا كانوا أتراباً ، وعليه فتكون سنه حين جاء الاسلام سبعاً وعشرين سنة تقريباً ، وهي سن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وإذا كان من قصدنا أن ندرس حياة خالد دراسة تحليلية يجب أن نبني دراستنا على أسس ثابتة ، وذلك بأن نتعرف مواهبه واستعداداته المختلفة ، بأن نبحث في منشئه ومرباه ، في القبيلة التي درج بين أبنائها ، وفي أبويه وصفاتهما وما كان لهما من مكانة في قومهما ، فليس من شك في أن البيئة والوراثة يحددان صفات كل كائن حي ، وبهما يمكن أن نحكم حكماً لا يبعد عن الحقيقة . فلبينة كما للوراثة الأثر الكبير في إظهار الصفات الكامنة في الانسان فالمكان الذي يعيش فيه المرء وما فيه من سهول ووديان / وماء وهواء ، ورفقة وأصدقاء . وأسرة نشأ بين أبنائها هو الذي يكشف عن مزاج المرء ويظهر لنا كامل مزاياه . بل إن أثرها لا يقف عند هذا الحد ولكن يتصل بحياة الانسان قبل وجوده ، فهذا توماس لوب الحكيم الانجليزى (عاش في القرن السابع عشر) ينسب خلق الجن

(١) ابن عساکر في تاريخه المجلد الثالث ص ٧١٠ . ابن برهان الدين ج ٣ ص ٣٧٦

الذي فيه إلى ما أصاب أمه من الخوف والفرع وهي حامل به عام أن كانت العمارة الأسبانية «ارمادا» تهدد انجلترا

بيئة خالد التي عاش فيها

خالد بن الوليد قرشي نشأ وترعرع بمكة ، ولأجل أن نفهم أثر هذه البيئة في نابتها ، نرى أن تناول الكلام عليها من الناحيتين : الطبيعية ، والاجتماعية

١ - بيئته الطبيعية :

مكة واد غير ذي زرع ، سماؤه صافية وجوه في جملته جاف ، جيد الهواء يميل إلى الحرارة ، وأرضه واسعة الفضاء ، طيبة الماء ، جنببت المستنقعات والعفونات ، لم تتوغل في يبداء الصحراء العربية ، فهي تهامية لا تبعد كثيراً عن ساحل البحر

وطبيعة هذا البلد لا تساعد على انتشار الزراعة ولا الصناعة ، لعدم صلاح التربة ، وتعذر الحصول على المواد الغفل التي تقوم عليها الصناعة ، ولذا فانا نجد أهلها في حاجة ماسة إلى جلب أقواتهم وحاجهم من خارج بلدهم ، فهم مضطرون لأن يكونوا في حركة دائمة وأسفار مستمرة ، كي يتمكنوا من الاستيطان في بلدهم ، والاقامة فيه ، وإلى ذلك يشير الله تعالى بقوله : « لا يلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف »

أثر هذه البيئة في أهلها :

من شأن هذه البيئة أن تؤثر في أهلها تأثيراً ظاهراً فتجعلهم أهل جد وسعى وبصر بالأمور وعواقبها وحسن تصرفها بحكم دأبهم على الحركة والأسفار والاختلاط بمختلف الأمم والطبقات ، أصحاب الأبدان ، راجح العقول ، شديدي الملاحظة بحكم الجو والسماء الصافية ، والبعد عن العفونات ، والقرب من الساحل

ب - بيئته الاجتماعية :

لما كانت البيئة الاجتماعية متشعبة النواحي تشمل البلد الذي عاش فيه ، والقبيلة التي ينتمي إليها . والبيت الذي تربى فيه ، وما إلى ذلك كان من الحسن أن نلم بأهم هذه النواحي حتى نعرف الملابس والأحوال التي أحاطت بخالد وأثرت فيه .

وإذا كانت مكة — وهي البلد الذي نشأ فيه — هي منبت الدين الذي أتاح له تلك الفتوح العظيمة ، وهياً له تلك الشهرة الفائقة ، وفيها أيضاً تربى المصطفى لهذا الدين ، ومن خلفه وهم الأولى كانوا يسيرون خالداً ويرسمون له بما يريدون ، ويزودونه بنصائحهم ، رأينا أن نبسط القول فيها بعض البسط فنقول : —

مركز مكة الديني :

كانت مكة صاحبة المكانة الدينية العليا في جزيرة العرب لمكان الكعبة المكرمة وهي بيت الله الحرام الذي جعل مثابة للناس ، وأمناً ،

تجمله كل العرب وتعظمه ، وتحج إليه من أطراف الجزيرة ، وأهلها صريح ولد اسماعيل ، وهم سدنة البيت والحس^(١) في الدين والذادة عنه والقوم عليه .

الاثـر الديني لمكة :

من شأن هذه البيئة أن تجعل لأهلها في نفوس العرب من الحرمة والاحلال ، والقداسة والاكبار ما يكونون به في مركز ممتاز ليس لغيرهم ولا يماريهم فيه أحد^(٢)

مركزها التجاري

كانت مكة محطاً للقوافل الآتية من حواضر بلاد العرب وبخاصة من اليمن حيث تحمل بضائع الهند واليمن إلى الشام ومصر . بها ينزل التجار ليأخذوا حاجتهم من الماء ، ويتزودوا لأسفارهم وقريب منها أسواق رائجة للتجارة والأدب والمفاخرة ، فهي في حركة دائمة ونشاط مستمر ، على اتصال دائم مع روادها من سائر أنحاء الجزيرة وغيرهم ممن يجتازونها

(١) الحس - جمع أحس ، وأصل التحمس التشدد . ومعنى أنهم حس هو أنهم رأوا أنفسهم أهل الحرم ويجب أن يمتازوا عن أهل الحل ، فلا يفيضون من حيث يفيض أهل الحل ، كما فرضوا على أهل الحل ألا يطوفوا بثيابهم بل يستبدلوا بها ثياب أهل الحرم فإن لم يجدوا طافوا عراة إلى غير ذلك من الميزات . وقد أبطل الإسلام ذلك بقوله (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) راجع سيرة ابن هشام في حديث الحس ج ١ ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٢) وقد ذكرهم الله بهذه النعمة العظمى وحشهم على شكرها بقوله : « فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف »

أضف إلى ذلك أن أهلها أنفسهم كانوا تجاراً ولهم أسفار إلى كثير من البلدان وبخاصة إلى الشام واليمن « رحلة الشتاء والصيف »

أثر البيئة التجارية

من شأن هذه البيئة التي يمارس أهلها التجارة ويكثر من الأسفار ، ويختلطون بأقوام مختلفين أن يكتسب أهلها فوائد ذات بال ، فقد غدوا في سعة من العيش ، وبسطة في المال ورفاهة الحال أصحاب أموال وضياع وأصبحوا يحسنون وسائل الاختلاط بغيرهم ، فعرفوا كثيراً من أحوالهم الاجتماعية والأدبية ، وهذه المعرفة مكنتهم من الانتفاع بمعلومات من اختلطوا بهم ، والاطلاع على حضاراتهم وأفكارهم مما كان له أثر كبير في تثقيف عقولهم وارتقاء مداركهم

مركزها الأدبي والأخلاقي

لقد تولت مكة زعامة العرب الأدبية والأخلاقية كما تولت زعامتهم الدينية ، وعهدا بهذه الزعامة متقادماً يرجع إلى الوقت الذي نبغ فيه قصي ابن كلاب ^(١) (الجد الخامس للنبي صلى الله عليه وسلم) وغلب خزاعة على مكة والبيت الحرام ، وأصبح له ولبنيه من بعده ثم لأهل مكة على وجه العموم منزلة أدبية وأخلاقية هي المثل الأعلى ، والنهج الذي يحتذى لأهل الجزيرة . ولقد كانت أسواق العرب القرية منها من أكبر العوامل

(١) يرجح المؤرخون المحدثون أنه عاش في النصف الثاني من القرن الخامس

الميلادي ومات حوالي سنة ٤٨ م

لهذه الزعامة ، فقد كانت تقام هذه الأسواق كل عام ويحضرها الشعراء والخطباء والمفكرون والحكماء ، وينشدون ويتناظرون ، ويعددون ما أثرهم ويتفاخرون ، وكان لأهل مكة في هذه الأسواق القدح المعلى والمركز السامى ، فاذا تفاخر الشعراء ، وتناظر الرؤساء ، استثنوا قريشاً ، وقالوا بعد ذلك ما شاء لهم الفخر والخيال

رأيت الناس ما حاشا قريشاً فانا نحن أفضلهم فعلاً (١)
كان يغلب على أهلها خلق الشجاعة والاقدام ، والصبر على المكاره وحب الفوز والقهر للأعداء ، والفوق فى الحروب :
فانا أناس لا تطل دماؤنا ولا يتعاطى صاعداً من نحاربه
وحب الشئ والمحمدة ، وطلب المعالى والوفاء بالعهد ، والمحاماة عن الجار والمستجير ، حتى ليستهين الرجل منهم بدم أخيه وفاء لجاره ، ودفاعاً
عمن يستجير به

أثر البيئة الأدبية :

من شأن هذه البيئة أن تثبت فى نفوس نابتها طيب الخلال وتنشئهم على خير ما ينشأ عليه الفتيان : إقدام فى حزم وحب للرفعة والمجد ، وعزة نفس ، ووفاء بالعهد

مركزها السياسى

لقد كانت مكة فى مركزها السياسى على درجة تحمد عليها ، فكان لها

(١) قائله الأخطل . المعنى لابن هشام ج ١ ص ١٠٩

نظام سياسى شبيه فى جملته بنظام الحكومات الشورية : قسموا إشارات الشرف ^(١) والمجد ومناصب الحكم ، والمصالح بينهم ، لتأخذ كل قبيلة بنصيبها ، وليكون ذلك أدعى لرضاهم جميعاً وأبقى لألفتهم وإخائهم .

كانت لهم دار الندوة فيها تجتمع مشيختهم ورؤسائهم فيفصلون فى مهام أمورهم ، وما يجد عليهم من حوادث فيتخيروا أحسنها وأوفاهها بأغراضهم ومصالحهم ، فهى إلى حد كبير تشبه ما يسمى فى عرف الدول المتحضرة « برلمانا »

كانت كلمة السادة منهم شرعاً نافذاً ودينياً يجب اتباعه . كان على الشيوخ والسادة أن يبحثوا ويعالجوا الأمور وعلى من سواهم السمع والطاعة ، فكانت هذه الدار لهم مطلع خير ومجمع يمن وسعادة ، ومن ثم نراهم مستمسكين بوحدهم متجنبين كل ما يوهنها . يضعفها .

أثر البيئة السياسية

من شأن هذه البيئة أن تجعل نابتها يعرفون واجباتهم ويسمعون لرؤسائهم ، وينتصحنون بآرائهم ، يعرفون مبدأ الشورى ويخضعون لرأى الجماعة ، كما أنها باعدت بينهم وبين الأثرة والاستبداد والحكم الفردى ، فكانوا يولكون الأمور لذويها والمصالح لمن يضطلع بها ويمكنه صيانتها ، والقيام عليها

شحذت هذه البيئات الاجتماعية أذهان أهل مكة وسهلت أخلاقهم

(١) سياقى تحت عنوان : « شرف خالد ومكانته بين قومه » بيان هذه الاشارات مع ذكر مالكل قبيلة من المناصب والرجال الذين كانوا يلون ذلك عند ظهور الاسلام

ونشأتهم على حب الواجب والنصفة لأنفسهم ولاغيرهم وظهر أثر ذلك فى كثير من أحوالهم . فإذا قارنا بين حالتهم وما كانوا عليه قبل « قصى » وبين حالتهم قبيل الاسلام لظهر القرن واضحاً جلياً ، فقد انتقلوا من جماعات متبعية متفرقة لا علم لهم بما وراء إبلهم إلى قوم متحضرين لهم كثير من الأمور التى تشبه أحوال الناس ؛ ولا أدل على ذلك من حلف الفضول الذى تداعت فيه قبائل من قريش وتعاقدت على أن لا يحدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غير أهلها إلا نصره والذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو دعى به فى الاسلام لأجبت » (١) ومن قيام أفراد منهم ينكرون على قومهم تركهم لدين أبيهم ابراهيم وما صاروا إليه من وثنية وشرك وتعظيم للأحجار والأصنام (٢)

(١) ذكر ابن هشام فى سيرته أنه قد « تداعت قبائل من قريش إلى حلف فاجتمعوا له فى دار عبد الله بن جدعان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى لشرفه وسنه فكان حلفهم عنده بنو هاشم وبنو المطلب وأسد بن عبد العزى وزهرة ابن كلاب وتيم بن مرة فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يحدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلومه » ج ١ ص ٩٠ وفيه يقول الزبير بن عبد المطلب :

إن الفضول تحالفوا وتعاهدوا ألا يقيم بطن مكة ظالم

أمر عليه تعاهدوا وتعاهدوا فالجار والمعتز فيهم سالم

السهيلى ج ١ ص ٩١ وذكر مثله ابن خلدون فى تاريخه ج ٢ ص ٣

(٢) قل ابن هشام فى سيرته : « واجتمعت قريش يوماً فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به وكان ذلك عيداً لهم فى كل سنة يوماً نخاص منهم أربعة نفر نجياً ثم قال بعضهم لبعض تصادقوا وليكنتم بعضكم على بعض قالوا أجل وهم ورقة بن نوفل ... وعبيد الله بن جحش ... وعثمان =

ولعمري أن ذلك لبشارة إيدان من الله بظهور دينه وإعلام منه بأن الوقت قد آن لبعثة خاتم المرسلين ، ومصطفى رب العالمين بالهداية والنور « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » وهكذا لم يعوز قريشاً لأن تظهر في التاريخ وتسود العالم زمناً طويلاً ، وتحمل راية العدل والعرفان أحقاباً من الزمان إلا من يحكم ألفتها . ويجمع قلوب العرب حولها ، ويجعلهم رهن إشارته وطوع أمره . فكان إرسال النبي صلى الله عليه وسلم وظهوره فيهم جابراً لهذا النقص ومظهراً لما كن فيهم من مواهب واستعدادات ظهر أثرها في الاسلام بتلك الفتوحات العظيمة والأعمال الجليلة التي سنذكر طرفاً منها فيما سيأتي

قبيلته

بنو مخزوم ^(١) بطن من بطون قريش كانت إليهم القبة والأعنة ^(٢) من مظاهر الشرف في قومهم ، وفيهم العدد الكثير من ذوى العقول

= ابن الحويرث ... وزيد بن عمرو بن نفيل فقال بعضهم لبعض تعلبوا والله ما قومكم على شيء لقد أخطئوا دين أبيهم ابراهيم ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ، يا قوم التمسوا لأنفسكم فانكم والله ما أنتم على شيء فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم ؛ فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية واتع الكتب من أهلها حتى علم علماً من أهل الكتاب » ج ١ ص ١٤٥

(١) « اشتهرت القبيلة بمخزوم دون أبيه لكثرة عقبه دون أبيه يقظة » صبح الأعشى

ج ٣ ص ٣٥٤

(٢) سيأتي بيان ذلك تحت عنوان : « خالد ومظاهر الشرف في قريش » « وقد كان لهم وحدهم ثلاثون فرساً في غزوة بدر من مائة فرس خرجت بها قريش » مغازي الواقدي ص ٣٢ ، أنساب الاشراف ج ١ ص ١٣٦

الراجحة الذين توازى أحلامهم الجيال أمثال المغيرة بن عبد الله بن عمر المعروف بالجود وأبي وهب بن عمرو الذي أدرك أن الكعبة وهى بيت الله ، وفيها يذكر اسمه ؛ لا يليق أن يدخل فى بنائها ما ليس بالكسب الحلال ؛ فأشار على قومه - حين عزموا على بنائها - قائلاً : « يامعشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيباً لا يدخل فيه مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس » ^(١) وهو خال أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شريفاً عظيماً وله يقول الشاعر :

ولو بأبى وهب أنخت مطيتى غدت من نداه رحلها غير خائب
أبى لأخذ الضيم يرتاح للندى توسط جداه فروع الأطايب ^(٢)
ويتجلى شرف بنى مخزوم ومكانتهم فى قريش واضحاً جلياً حينما أرادت قريش بناء الكعبة فجزأتها بين قبائلها ؛ فكان ربعها ما بين الركنين : الأسود واليماني من نصيب بنى مخزوم . وهذا والله هو السؤدد ونهاية الشرف ^(٣)

ولقد بلغ من شرفهم ، ورفيع منزلتهم فى قريش أنهم كثيراً ما كانوا ينازعون بنى هاشم - وهم ما هم فى قريش - السيادة والشرف . والناظر إلى ما كان يلحج به كبارهم يتبين له ذلك بجلاء ووضوح . وحسبنا مقالة

(١) قال فى الروض الأنف : « وهذا يدل على أن الربا والظلم والبغاء كان محرماً عليهم يعلمون ذلك ببقية من بقايا شرع إبراهيم عليه السلام » ج ١ ص ١٣١
(٢) وهو أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم - سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٣١ ، الطبرى ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٣) اليعقوبى ج ٢ ص ١٨ ، ابن هشام ج ١ ص ١٣١ ، الطبرى ج ٢ ص ٢٠٠
غير أن الطبرى وابن هشام لم يجعلوا هذا الركن خالصاً لبنى مخزوم وحدهم بل شاركهم فيه غيرهم من القبائل

أبي جهل حسداً لبني هاشم أن يكون النبي ﷺ منهم دون بني مخزوم إذ يقول: « فلما أطعمنا الطعام وأطعمتم (يعني بني هاشم) وازدحمت الركب، واستبقنا المجد فكنا كفرسي رهان قلتم منا نبي »^(١)

أليس منهم من لم تطب نفسه أن يحصر بنو هاشم والمطلب في شعب أبي طالب، وأن يتركوا ليموتوا جوعاً؛ فدعاه داعي الانسانية فلبى سراعاً، واستحثته أريحته أن يكون أول من يبدأ قریشا الكلام في نقض الصحيفة الجائرة الظالمة^(٢)

وأخو بني مخزوم هو الذي ندبته قریش زميلاً لعمر بن العاص للوفادة على النجاشي في ارجاع من هاجر من المسلمين إلى الحبشة إلى قومهم. وإن ندب قریش له في مثل موقفها من المسلمين لدليل قائم على أن الفتى المخزومي يحسن الوفادة على الملوک ومفاوضتهم وهو كفء للاضطلاع بمثل هذا الأمر الخطير جداً في نظرها^(٣)

ومما يشعرونا بسمو مركزهم في قریش أن أوامر المصاهرة كانت متبادلة بينهم وبين بني هاشم - وهم سادة قریش - فمن ذلك أن عاتكة بنت عبد المطلب كانت تحت أبي أمية بن المغيرة وأنجبت منه زهير بن أبي

(١) المغازي للواقدي ص ٢٣

(٢) وذلك حين تحالفت عليهم بطون قریش وقاطعتهم وكتبت بذلك صحيفة علقتها على الكعبة تؤكد على أنفسهم، فكان زهير بن أبي أمية بن المغيرة أول من بدأ قریشا الكلام في نقضها، الطبري ج ٢ ص ٢٢٨، ابن هشام ج ١ ص ٢٣٢

(٣) وسواء أكان الرسول مع عمرو بن العاص هو عمارة بن الوليد أخو خالد ابن الوليد أو عبد الله بن أبي ربيعة فهو على كلا الروايتين مخزومي. وسيأتي عند الكلام على اخوة خالد تفصيل لذلك

أمية الذي بدأ قريشاً بنقض الصحيفة الظالمة ، كما أنهم آل فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية أم عبد الله بن عبد المطلب ^(١) والد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فهم أخوال أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصهار عظيم قريش وسيدها عبد المطلب بن هاشم . ويكفيهم شرفاً وفخراً أن النبي صلى الله عليه وسلم أصهر إليهم ، فتزوج منهم أم سلمة وميمونة ^(٢) . وكما كان بنو مخزوم على جانب كبير من الجاه والشرف في قومهم كانوا كذلك من أهل الثراء والأموال في قريش يدل لذلك ما حكاه الواقدي في أثناء كلامه عن غير قريش وغزوة بدر بقوله : « ويقال كان لبني مخزوم فيها مائتا بعير وخمسة أو أربعة آلاف مثقال ذهب » ^(٣) . ولقد كان منهم الكثير من السابقين للإسلام الفارين بدينهم ابتغاء مرضاة الله ؛ فهاجر منهم إلى الحبشة ثمانية نفر ^(٤) وحسبهم أن يكون منهم أبو سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم ^(٥) بن أبي الأرقم ؛ فقد كان

(١) وهي أم عبد الله وأبي طالب والزبير وجميع بنات عبد المطلب سوى صفية - ابن هشام ج ١ ص ٧٨ ، الطبري ج ٢ ص ١٧٣ ، ابن الأثير ج ٢ ص ٢
(٢) الطبري ج ٣ ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٥ ، ٣٦٧ ابن الأثير ج ٢ ص ٢١١

(٣) المغازي للواقدي ص ٢١

(٤) ابن هشام ج ١ ص ٢٠٦

(٥) كان أبو سلمة عاشر تسعة سبقوا للإسلام كما كان الأرقم الثاني عشر إسلاماً على مارواه ابن هشام ج ١ ص ١٦٥ وسابع سبعة على مارواه ابن سعد ج ٣ ص ١٧٣ وكان أبو سلمة ابن عمه رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة أَرْضَعْتَهُ هو والنبي ﷺ وحمة بن عبد المطلب ثوية مولاة أبي لهب وقد استعمله النبي ﷺ على المدينة حينما خرج لغزوة العشيرة كما أغمضه بيده الشريفة حين مات . وهلك الأرقم بالمدينة سنة خمس وخمسين وهو ابن بضع وثمانين سنة وصلى عليه سعد بن أبي وقاص بن سعد

أبو سلة من السابقين للإسلام وفي طليعة المهاجرين للحبشة ، كما كان أول المسلمين هجرة لهدينة . وكفاهم شرفاً وفخراً أن يكون الأرقم منهم وأن تكون داره هي المسجد الأول لجماعة المسلمين يعبدون الله فيها خفية ، وفيها يجتمعون ، وإليها يلجأون

والناظر إلى الشككين رقم ٣ ، ٤ يتبين مقدار حظهم من الرجال العظماء وأن نصيبهم من علية القوم كان موفوراً غير منقوص . « وما زال منهم جماعة بصعيد مصر بالأشمونين وفيهم بأس وشدة »
وقد يكون من الحسن بعد أن ذكرنا كلمة مجملة عن قبيلته وما كان لها من شرف ورفعة في قريش أن نخص عمومته بكلمة تبين ما كان لهم من سيادة ومنزلة في قومهم

عمومة خالد

كان لعمومته في قريش منزلة أي منزلة . كانوا في طليعة قومهم مجداً وشرفاً ، وكرماً وثرأ

فكان أبو أمية بن المغيرة صاحب الفضل في حسم الخلاف الذي نشأ بين قبائل قريش حينما اختلفت على وضع الحجر الأسود وهي تبني الكعبة وأرادت كل قبيلة أن تكون صاحبة الفضل والشرف وحدها

ج ٣ ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، ابن هشام ج ١ ص ١٦٥ ، ٢٠٦ ، ج ٢ ص ٥٧ ، ١٤١ والطبري ج ٢ ص ٢٢٢ ، ٢٤٢ ، أنساب القرشيين ج ١ ص ٧ ودار الأرقم خلف الصفاقي سفح أبي قبيس في زقاق غير متسع وهي موجودة للآن وكانت في أيام الأتراك مكتبة لتعليم الأطفال واليوم يسكنها أحد النجديين كما أخبرنا بذلك أستاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار وهي أثر له خطره وقيمه فبذا لو عرف ذلك المسلمون

في وضعه ، وغدت الحرب بينهم قاب قوسين أو أدنى ؛ فأشار عليهم
 — وكان أسنهم — بأن يرتضوا حكماً بينهم أول داخل من باب المسجد^(١)
 كما كان معروفاً بزاد الراكب ؛ لا يتزود من رفاقه في سفره لفرط جوده
 وكرمه^(٢) . ومات قبل أن يدرك الاسلام ، وقد رثاه أبو طالب بأبيات
 منها : —

ألا إن زاد الراكب غير مدافع بسرّ وسحيم غيبته المقابر^(٣)
 ورثاه أبو أحيجة بقوله : —

ألا هلك الماجد الرافد وكل قريش له حامد
 ومن هو عصمة أيتامنا وغيث إذا فقد الراعد^(٤)
 ولقد بلغ من كرمهم وجودهم أن الفاكه بن المغيرة كان له بيت
 للضيافة يغشاه الناس من غير اذنه^(٥)

وكان أبو حذيفة بن المغيرة المخزومي حين ارتضت قريش التحكيم

(١) كان لحسن حظ قريش أن كان أول داخل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فما أن رأوه حتى فرحوا وقالوا : « هذا الأمين قد رضينا به هذا محمد »

ابن هشام جزء ١ ص ١٣٢ ، الطبري جزء ٢ ص ٢٨١ ، ابن الأثير جزء ٢ ص
 ٢٩ ابن خلدون جزء ٢ ص ٥

(٢) بلوغ الأرب للألوسي جزء ٣ ص ٤١٥ ، وذكر في صبح الأعشى أن زاد
 الراكب هو أبوه المغيرة بن عبد الله - جزء ١ ص ٤٥١

(٣) سرو سحيم - هي البلد التي مات فيها أبو أمية حين خرج بتجارة إلى الشام -
 بلوغ الأرب للألوسي جزء ٣ ص ٢١٥

(٤) السيرة الحلبية جزء ١ ص ١٦١

(٥) وللفاكه هذا حادثة طريفة مع زوجته وقد وجدها نائمة في بيت الضيافة ذكرها

صبح الأعشى جزء ١ ص ٣٩٨

في وضع الحجر الأسود أحد الأربعة^(١) الذين أخذوا بطرف من الرداء الذي جعل فيه النبي ﷺ الحجر الأسود فوضعه في مكانه

كما كان هشام بن المغيرة من سادات قريش وأشرافها وهو قائد بني مخزوم في حرب الفجار ، وكان يقال له فارس البطحاء ، وكان مهيباً عظيماً حزنت عليه كل بطون قريش حين مات ، وعدوا موته خطباً ذا بال ؛ فقد ذكر المقدسي : « أن هشاماً لما مات لم يقيم سوق بمكة ثلاثاً وأن قريشاً إنما كانت تؤرخ بعد موت هشام من موته »^(٢) وهو الذي يعنيه الشاعر بقوله :

وأصبح بطن مكة مقشعراً كأن الأرض ليس بها هشام^(٣)
وهذا وأبيك نهاية الشرف وغاية المجد (انظر الشكل رقم ٤)

إخوة خالد

اختلف المؤرخون في عدد اخوته ؛ فمنهم من قال عشرة^(٤) ومنهم من قال ثلاثة عشر ومنهم من قال سبعة كلهم ذكور . ومهما يكن أمر هذا الاختلاف فصریح القرآن (وبنين شهودا) أن له إخوة عدة وأنهم كانوا مترفين في سعة من العيش ورفاهة الحال ، ينعم والدهم برؤيتهم ويبدو لنا

(١) الأربعة هم : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، والاسود بن عبد المطلب بن أسد ابن عبد العزى ، وأبو حذيفة بن المغيرة بن عمر بن مخزوم ، وقيس بن عدى السهمي .
اليقوي جزء ٢ ص ١٩ ، ابن خلدون ص ٤ من بقية الجزء الثاني ، مروج الذهب للسعودي جزء ١ ص ٣٩٧

(٢) أنساب القرشيين للمقدسي جزء ٢ ص ٣٤٨

(٣) بلوغ الأرب للألوسي جزء ٣ ص ٢١٥

(٤) ممن قال بذلك نحر الدين الرازي في تفسيره جزء ٨ ص ١٨٧

أن من قال بأنهم سبعة ذكور أقرب إلى الواقع لأننا بعد البحث في الغزوات وتتابع الحوادث التي تقدمت الاسلام والتي جاءت بعده لم نعر على أكثر من هذا العدد . وهالك أسماؤهم ونبذة عن كل واحد منهم :^(١)

(١) العاص (٢) ابو قيس (٣) عبد شمس (٤) عمار (٥) هشام (٦) الوليد (٧) خالد وهم إخوته الذكور ، وفاطمة وفاخنة . وهما أختاه من الاناث

ويظهر أن العاص مات صغيراً قبل أن ينبه ذكره وقبل أن يجيء الاسلام ، وابو قيس كان قد أسلم ثم فتن عن دينه وقتل كافراً بيد قتلته حمزة وقيل على ، وفيه وفي مثله نزل قوله تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم »^(٢)

وعبد شمس هو الذى كان يكنى به والده الوليد بن المغيرة^(٣) ، وعمار هو الذى أرسلته قريش مع عمرو بن العاص لنجاشى الحبشة لرد من هاجر إليه من المسلمين ، وهو الذى حين أرادت الخلاص من رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيت به إلى أبى طالب وقالت له : « هذا أنهد فتى فى قريش وأشعره وأجمله نخذه فلك عقله »^(٤) وهو

(١) لم نجد من المؤرخين من صرح بذكر أسماؤهم جميعاً وقد التقطنا أسماءهم التقاطاً من الحوادث التي كان لهم فيها ذكر لكن الالوسى فى تفسيره (جزء ٩ ص ١٢٢) ذكر السبعة الذكور الذين ذكرناهم

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ٧٥ ، ١٠٣

(٣) مغازى الواقدي ص ١٤٧ ، أنساب الأشراف جزء ١ ص ٦٠ ، ابن الأثير

جزء ٢ ص ٤٨ ، ابن خلدون جزء ٢ ص ٢١

(٤) الطبرى جزء ٢ ص ٢٢٠ ، ابن هشام ج ١ ص ١٧١

اعتراف صريح من قريش بأن ابن الوليد له مزايَا انفرد بها ومن أجلها رأوه
أهلاً لأن يكون عدلاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يكون رسولهم
للتجاشي لرد من هاجر من قومهم إليه ^(١)
وقد أسلم خالد وأخواه الوليد وهشام . وكان هشام في بدئه من
المؤلفة قلوبهم ^(٢) والوليد كان من المستضعفين وفر بدينه إلى المدينة
فدميت أصبعه من المشي فقال :

هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
وهو أقدم إسلاماً من أخويه خالد وهشام ، ومن الذين كان يدعو
لهم النبي صلى الله عليه وسلم في قنوته وقد كان محبباً إليه كما كان له اليد
الطولى في إسلام أخيه خالد ^(٣) الذي أسلم وكان له شأن من الشؤون كما
سنبينه بعد

وأخته فاطمة أسلمت يوم الفتح وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم
وهي زوج الحارث بن هشام المخزومي وفاخنة كانت تحت صفوان بن
أمية وأسلمت قبله بشهر ^(٤) انظر رقم (٥)

(١) لا يعارض هذا ما في بعض كتب التاريخ والسير (مثل رواية الطبري في
تاريخه ج ٢ ص ٢٢٥) من أن الرسول مع عمرو هو عبد الله بن أبي ربيعة لأن
ذهاب عمر إلى الحبشة تكرر وكان عمارة معه في إحدى المرات كما يتضح من التحقيق
الذي رآه صاحب السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٢ ، ج ٢ ص ٢٦٦ ومن ذكر أن
الرسول مع عمرو هو عمارة صاحب الأغاني ج ٣ ص ٣٤ واليعقوبي ج ٢ ص ٢٨ ،
والروض الأنف ج ١ ص ١٧١

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٠٩

(٣) سيأتي بيان أثره في ذلك عند كلامنا على إسلام خالد

(٤) الاستيعاب جزء ٢ ص ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، الطبري جزء ٣ ص ١٠ ، ١٢٢٠

والدته

أمه هي لبابة الصغرى بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن روية بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة^(١) يتصل نسبها بقيس عيلان بن مضر (أنظر الشكل رقم ٢) واختلف في اسلامها وصحبتها ورجح صاحب الاصابة اسلامها بناء على أنها عاشت إلى زمن عمر، وندبت ابنها خالدًا^(٢) ولكن لم يؤيد ابن حجر في ترجيحه اسلامها من يعتمد عليه من المراجع التي اطلعنا عليها وكان لها أخوات ثمان وهن: —

١ — ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلخالد خالة هي إحدى أمهات المؤمنين

٢ — أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب التي يقال إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة والتي أنجبت فلم تلد امرأة مثلها. ومن ثم قال فيها الشاعر:

ما ولدت نجية من فحل بجبل نعله أو سهل
كسنة من بطن أم الفضل أكرم بها من كهلة وكهل
فأولاد العباس من لبابة أبناء خالة خالد بن الوليد

٣ — عصماء بنت الحارث زوج أبي بن خلف الجمحي وولدت له إبان وغيره

٤ — وعزة بنت الحارث زوج زياد بن عبد الله بن مالك الهلالي.
قال ابن عبد البر:

(١) الاستيعاب جزء ٢ ص ٧٨٠

(٢) الاصابة جزء ٨ ص ١٧٨

« لم أر أحداً ذكرها في الصحابة وأظنها لم تدرك الإسلام »

٥ — هزيمة بنت الحارث تزوجت في الأعراب وهي التي أهدت

إلى أختها ميمونة الضباب والأقط والسمن

٦ — أسماء بنت عميس كانت تحت جعفر بن أبي طالب ثم خلف

عليها أبو بكر الصديق ، ثم خاف عليها على بن أبي طالب ^(١)

٧ — سلمى بنت عميس كانت تحت حمزة بن عبد المطلب ثم خلف

عليها بعده شداد بن أسامة بن الهاد الليثي

٨ — سلامة بنت عميس كانت تحت عبد الله بن كعب بن منبه

الخشعمي ^(٢)

فهن ست أخوات لأب وأم وتسع أخوات لأم وفيهن يقول رسول

الله صلى الله عليه وسلم : « الأخوات مؤمنات » ^(٣) وأخوهن لأمهن محمية

بن جزء بن عبد يغوث الزبيدي حليف بني سهم « وكان قديم الإسلام

وهاجر إلى الحبشة وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأخماس »

واستوهب النبي صلى الله عليه وسلم من أبي قتادة جارية وضيئة فوهبها له .

وذكر الكلبى أنه شهد بدرأ وقال الواقدي أول مشاهدته المريسيع ^(٤)

وأمهن كلهن هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماسة الحميرية

(١) أنساب الأشراف جزء ٢ ص ٢١٤ - ٢١٦ الاستيعاب ج ٢ ص ٧٦٨ ،

٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨٦ ، السبيلي جزء ٢ ص ٧٨ ، ٧٩

(٢) أنساب الأشراف جزء ١ ص ٢١٦ الاستيعاب جزء ٢ ص ٧٧٩ ، ٧٨٧ ، ٧٨٦

(٣) الروض الأنف جزء ١ ص ١٦٨

(٤) الإصابة جزء ٦ ص ٦٧ ، الطبري جزء ٣ ص ١٠٦

أو الكنانية ^(١) التي قيل عنها: «إنها أكرم الناس أصهاراً» ^(٢) والناظر إلى الشككين رقم ٦، ٢ يدرك بجلاء ما لأمه من شرف ونسب؛ فهي تنتسب إلى قبيلة من أعرق القبائل المضرية وأكبرها، وقوانين الوراثة تحكم بأن من له مثل هذا النسب والحسب لا بد وأن يكون له أثر في بنيه ومظهر في أخلاق ذريته (انظر الشكل رقم ٦)

والده

أبوه هو عبد شمس الوليد بن المغيرة المخزومي صاحب العقل الراجح، والمنطق الفصيح، والشرف الرفيع، والجاه العريض، ريحانة قریش وسريها. يدل لعقله وعظيم شرفه أنه كان أحد حكام قریش في الجاهلية ^(٣)، وثالث ثلاثة احتبي كل واحد منهم بفناء الكعبة وادعى الرياسة بعد موت عبد المطاب ^(٤) ومن حرم على نفسه الخمر قبل الاسلام ^(٥)، وأول من قطع في السرقة وجاء الاسلام بتقريره ^(٦)

هو عدل ^(٧) قریش كان يكسو الكعبة وحده عاماً وقریش بأسرها

(١) الاستيعاب جزء ٢ ص ٧٨٠، أنساب الأشراف جزء ١ ص ٢١٤

(٢) المقدسي جزء ١ ص ٤١

(٣) اليعقوبي ج ١ ص ٣٠٠

(٤) اليعقوبي جزء ٢ ص ١٣

(٥) السهيلي جزء ١ ص ٢٨٣ بل قال في صبح الأعشى أنه أول من حرم الخمر في

الجاهلية جزء ١ ص ٤٣٥

(٦) صبح الأعشى جزء ١ ص ٤٣٥

(٧) وقال صاحب أنساب الأشراف: «وإنما سمي العدل لأنه يقال إنه يعدل

قریشا كلها، ويقال إن قریشا كانت تكسو الكعبة فيكسوها مثل ما تكسوها كلها»

جزء ١ ص ٦٠، السيرة الحلبية جزء ١ ص ٣٤٧

تكسوها عاماً . وهو الذى كان يطعم الناس فى منى وينهى أن توقد نار
غير ناره للاطعام ، وهو الذى كان يوسع النفقة على الحجيج ويأتيه
المدح والثناء من الأعراب^(١) هو صاحب المال الممدود الذى قدر باثنى
عشر ألف دينار فصاعداً^(٢) هو صاحب البساتين التى تمتد من مكة إلى
الطائف والتى منها مالا ينقطع ثمره طول العام^(٣)

هو الذى بلغ من عزمته أنه حينما أرادت قريش بناء الكعبة وتهيبت
جميعها هدمها أخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول : « اللهم لم ترع اللهم
لا نريد إلا الخير »^(٤) . وكان شديد التمسك بمعتقده متفانياً فى تعظيم الكعبة
يدل لذلك أنه كان لا يدخلها منتعلاً بل قيل إنه أول من خلع نعليه عند
دخولها^(٥) ولعل تحمسه لدينه وتشدده فيه كان من أهم الأسباب التى
جعلته يقف فى وجه الاسلام ، ويناوئى صاحب الرسالة صلى الله عليه
وسلم ؛ ولذا فانا نراهم فى طليعة أشرف قريش وعظمائها الذين مشوا إلى

(١) السيرة الحلبية جزء ١ ص ٣٤٧

(٢) راجع تفسير قوله تعالى : « وجعلت له مالا ممدوداً والسهيلى جزء ١ ص ١٧٣

(٣) السيرة الحلبية جزء ١ ص ٣٤٧ ولكن أستاذنا الشيخ عبد الوهاب استبعد

ذلك ونفاه بقوله : « أما بساتين من مكة إلى الطائف فلا توجد إلا فى منام ، والمسافة

ليس فيها بساتين اللهم إلا فى جبل كراء وهو على أكثر من مرحلة من مكة ومرتفع

جدا » وأستاذنا إمامنا كرم ما شاهده فى حجته عام ١٣٤٩ هـ ولكن ليس بعيداً أن

يكون الحال قد تغير بفعل الطبيعة كما أنه ليس بلازم من أن هذه البساتين ممتدة من

مكة إلى الطائف أن تكون متصلة لا انقطاع فيها

(٤) الطبرى جزء ٢ ص ٢٠١ ، ابن هشام جزء ١ ص ١٣١

(٥) صبح الأعشى جزء ٩ ص ٤٢٨

أبي طالب يطلبون منه أن يكف ابن أخيه صلى الله عليه وسلم عن تسفيه
أحلامهم وعيب آلهتهم^(١)

هو الشخص الذي كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصاً جد
الحرص على إسلامه ، وكان يرى أن في إسلامه عزا للإسلام ؛ حتى لقد
بلغ من حرصه على إسلامه أنه لم يلتفت إلى ابن أم كلثوم حين جاءه طالباً
أن يعلمه الأمر الذي أدى إلى عتاب الله له بقوله : « عبس وتولى أن جاءه
الأعمى وما يدريك لعله يزكى ... »

هو الذي نزل في جواره عثمان بن مظعون الجمحي حين رجع من
الحبشة إلى مكة فغدا في مأمن من إيذاء قريش - لأنه في جوار الوليد
العظيم فيها - وقال فيه حين رد عليه جواره رضى بجوار الله : « قد وجدته
وفياً كريم الجوار »^(٢)

ويجلى لنا شرف الوليد وعزه في قومه ، وأنه لو أسلم لتبعته قريش
في إسلامه أنه لما سمع القرآن مرة وقال فيه : « إن له لحلاوة ، وإن
عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو
وما يعلو عليه »^(٣) اضطربت قريش وقالت : « صبا والله الوليد لتصبأ
قريش كلها » . فأنت ترى أن مجرد اعتراف الوليد بأن القرآن ليس

(١) الطبري جزء ٢ ص ٢١٨

(٢) سيرة ابن هشام جزء ١ ص ٢٣٠

(٣) سيرة ابن هشام جزء ١ ص ١٧٣ ، تفسير البغوي وابن كثير والطبري وغيرهم

مع اختلاف في لفظ الرواية

كلاماً عادياً اضطربت له قريش ، وخافت أن يدخل الوليد في الاسلام ، فتبعه قريش وتسلم كلها باسلامه . وإن رجلا له هذه المكانة ، وتلك المنزلة بين قومه هو بحق قيم بالشرف والرفعة . وفي الحق أن الذي يتصف بما ذكرنا ويصف القرآن بما وصفه به الوليد كان يجب أن يكون في طليعة المصدقين بهذا القرآن الملبين لدعوته ولكن كبرياء قريش وعزها هو الذي حال دون ذلك « فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يمحذون » : فقد كان الوليد من ذوى الأسنان والشرف في قومه ، ومن الجنسية الأولى كانوا كبار المعاندين للرسول صلى الله عليه وسلم المستهزئين به ، وفيه وفي صحبه نزل قول الله تعالى : « إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون » ^(١)

هو الذي كان يسميه قومه « الوحيد » ^(٢) لتفرده فيهم بتلك المزايا التي أسلفنا . ومات بعد الهجرة بثلاثة أشهر وله من العمر خمس وتسعون سنة ودفن بالحجون ^(٣) وكان سبب موته أنه مر برجل من خزاعة يرش نبلا له فوطئ على سهم منها فخدشه فمات من خدشه هذا وأوصى بنيه أن يأخذوا ديتة من خزاعة فأعطت خزاعة ديتة ^(٤) قال صاحب الهمزية :
وأصاب الوليد خدشة سهم قصرت عنها الحية الرقطاء
وكانت له بعد وفاته أموال كثيرة في ثقيف بالربا فطلبها منهم خالد

(١) سيرة ابن هشام جزء ١ ص ٢٢٥ ، ٢٤٢

(٢) أنساب الأشراف جزء ١ ص ٦٠ ، السيرة الحلبية جزء ١ ص ٣٤٧

(٣) أنساب الأشراف ج ١ ص ٦٠

(٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٥٥ ، ابن الأثير ج ٢ ص ٤٨ ، السيرة الحلبية

تفصيلاً لوصية أبيه فلما أسلمت ثقيف ونزل قول الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون.....» وكتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك: كف عن طلب ما بقي من الربا واكتفى برأس المال غير ظالم ولا مظلوم^(١)

هذا وقد نزلت في الوليد عدة آيات^(٢) من القرآن الكريم هي في جملتها وصف بين لما كان عليه الوليد من الشرف والجاه والمنزلة السامية في قومه، منها: —

١ — قول الله تعالى: «ولا تطع كل حلاف مهين همار مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم، عتل بعد ذلك زنيم، أن كان ذا مال وبنين، إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين». فهذه الآية صريحة في أن الوليد كان ذا مال وبنين وأنه لثروته وكثرة عقبه كذب واستكبر^(٣)

٢ — وقوله عز وجل: «لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم^(٤)» اعتراف من قریش يحكيه لنا القرآن بأن الوليد كان

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٥٧

(٢) هذه الآيات منها ما كان خاصاً بالوليد ومنها ما نزل في جمع وهو واحد منهم. ونحن في مثل هذه الآيات تتغاضى عن أنها نزلت على سبيل التهديد والوعيد ونأخذ منها ما يخصنا وهو الدلالة على سيادته وشرفه وجاهه وعظيم منزلته

(٣) يراجع الفخر الرازي ج ٨ ص ١٨٧ سورة ن

(٤) وقد رد الله عليهم بقوله: «أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون» ابن هشام ج ١ ص ٢٢٦ أنساب الأشراف ج ١ ص ٦٠، تفسير الفخر الرازي، والبعوى وابن كثير والالوسي وغيرهم سورة الزخرف

فيهم عظيمًا وبأنهم يعتقدون أن لو كان ثمة من ينزل عليه وحى من السماء لكان الوليد أجدر به وأحق من محمد لعظمته ومنزلته بين قومه
٣ — وقوله جل شأنه : « ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهوداً ومهدت له تمهيداً إلى قوله إن هذا إلا قول البشر »^(١) شهادة من الله بأن الوليد أوتي بسطة في المال والولد والجاه والحسب .

هكذا ولد خالد بن الوليد من أبوين شريفيين بلغا الذروة في المجد والمكانة السامية بين قومهما ، وشب وترعرع في تلك البيئة التي تعتبر بحق أرقى وأقوم بيئة في بلاد العرب في ذلك الوقت . بيد أنه من بني مخزوم أهل الشجاعة وقوة الشكيمة ، وأصحاب القبة والأعنة في قریش ؛ فليس غريباً أن ينشأ نسل هذين الأبوين ، وغراس تلك البيئة على خير ما ينشأ عليه الفتيان خطيراً عظيماً ، ذا شرف ورفعة ، وعقل وحزم ، وشجاعة وإقدام ، وخبرة بالحروب وأساليبها يدون له التاريخ أعظم صفحات المجد والفخار

خالد ومظاهر الشرف في قریش

سبق أن قلنا ان قصي بن كلاب غلب خزاعة على مكة وأجلاهم عنها

(١) أصح الأقوال فيها أنها نزلت في الوليد بن المغيرة بل قيل كونها فيه متفق عليه أنساب الأشراف ج ١ ص ٦٠ أسباب التنزيل للواحدى ص ٣٣٠ تفسير الفخر الرازى ، وابن كثير ، والبغوى ، والألوسى وغيرهم سورة المدثر . وقال السهيلي في شرح هذه الآية : (وبنين شهوداً) أى مقيمين معه غير محتاجين إلى الأسفار والغيبة عنه لأن ماله ممدود والمال الممدود عندهم اثنا عشر ألف دينار فصاعداً - الروض الأنف ج ١ ص ١٧٣

وأنزل قريشاً بها؛ ومن ثم صارت له رياسة مكة والبيت الحرام . وكان مظهر هذه الرياسة أموراً ستة: —

١ — رياسة دار الندوة: وهو الذى أنشأها وبنائها فى مواجهة الكعبة، وكانت تجتمع فيها مشيخة قريش لتفصل فى مهام أمورها

٢ — اللواء: كانت قريش لاتعقد راية لحرب إلا بيده

٣ — حجابة الكعبة: كان هو الذى يفتح بابها وهو الذى يلى أمرها

٤ — السقاية: وهى سقاية الحاج فى موسم الحج

٥ — الرفادة: وهى عبارة عن خرج كانت تخرجه قريش فى كل

موسم من أموالها لقصى فيصنع به طعاماً للحاج؛ فياً كل منه من لم تكن له سعة ولا زاد

٦ — القيادة: وكان هو أو من ينوب عنه الذى يتولى قيادة الجند

فى الحرب

ولما توفى قصى أوصى لابنه عبد الدار بما كان يلى من مصالح قريش والكعبة فلما توفى عبد الدار وقع الخلاف بين أبنائه وبين أبناء أخيه عبد مناف؛ فافترقت قريش فرقتين: فرقة تنتصر لبني عبد مناف وفرقة تنتصر لبني عبد الدار؛ فكان من ذلك حلف المطيبين وهو حلف بني عبد مناف مع حلفائهم، وحلف الأحناف أو حلف لعقة الدم وهو حلف بني عبد الدار مع حلفائهم، ثم تراضوا وتداعوا على اقتسام هذه المصالح بينهما بعد أن كادت الحرب تقع بينهم^(١). ثم صار بعض هذه المصالح إلى بطون

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٨٧ - ٩٠، الطبرى جزء ٢ ص ١٨٣ - ١٨٥

قريش . وإنا نورد هنا ما قاله المؤرخون ^(١) تفصيلاً لمظاهر الشرف في قريش ، ونصيب كل قبيلة منها وتبياناً لما كان يليه خالد من هذه المظاهر ، فقد ذكروا أن من انتهى إليه الشرف من قريش في الجاهلية فوصله بالاسلام عشرة رهط من عشرة أبطن وهم :

« هاشم ، وأمّية . ونوفل ، وعبد الدار ، وأسد ، وتيم ، ومخزوم ، وعدى ، وجهم ، وسهم : فكان من هاشم العباس بن عبد المطلب يسقى الحجيح في الجاهلية وبقى له ذلك في الاسلام . ومن بني أمّية أبو سفيان ابن حرب كانت عنده العقاب راية قريش وإذا كانت عند رجل أخرجها إذا حميت الحرب فإذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب وإن لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه . ومن بني نوفل الحارث بن عامر وكانت إليه الرفادة وهي ما كانت تخرجه من أموالها وترفد به منقطع الحاج . ومن بني عبد الدار عثمان بن طلحة كان إليه اللواء والسدانة مع الحجابة ويقال والندوة أيضاً في بني عبد الدار . ومن بني أسد يزيد بن زمعة بن الأسود وكانت إليه المشورة ؛ وذلك أن رؤساء قريش لم يكونوا مجتمعين على أمر حتى يعرضوه عليه فان وافقه ولاهم عليه والا تخير وكانوا له أعواناً واستشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف . ومن تيم أبو بكر الصديق وكانت إليه الأشناق وهي الديات والمغارم فكان إذا احتمل شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه وأمضوا حمالة من نهض

(١) تاريخ ابن عساكر ص ٧٠٤ من المجلد الثالث ، المقدسى جزء ٢ ص ٣٣٧ العقد الفريد جزء ٢ ص ٣١ مع تفاوت في بعض الألفاظ وقد أثبتنا رواية العقد الفريد في الأصل لوضوحها .

معه ، وإن احتملها غيره خذلوه . ومن بنى مخزوم خالد بن الوليد كانت إليه القبة والأعنة ؛ فأما القبة فانهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش . وأما الأعنة فإنه كان على خيل قريش في الحرب . ومن بنى عدى عمر بن الخطاب وكانت إليه السفارة في الجاهلية وذلك أنهم كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوه سفيراً ، وإن نافرهم حتى للفاخرة جعلوه منافراً ورضوا به . ومن بنى جمح صفوان بن أمية وكانت إليه الأيسار وهي الأزلام ، فكان لا يسبق بأمر عام حتى يكون هو الذي تسييره على يديه . ومن بنى سهم الحارث بن قيس وكانت إليه الحكومة والأموال المحجرة التي سموها لأهلهم .

فهذه مكارم قريش التي كانت في الجاهلية يتوارثونها كابراً عن كابر ، وكان كل شرف من شرف الجاهلية أدركه الاسلام وصله لهم .

صناعته

لم نجد في كتب التاريخ التي اطلعنا عليها من صرح بصناعة لخالد قبل اسلامه بيد أنه يمكننا بعد أن أثبتنا لأبيه تلك الثروة العظيمة والمال الوفير أن نقول : ان أبناء ذلك الرجل الثرى صاحب الضياع والبساتين التي لا ينقطع ثمرها طول العام ليسوا في حاجة إلى الاحتراف بصناعة أو تجارة ، إذ الاحتراف بأحدهما إنما يكون غالباً طلباً للرزق والمعاش أو سعياً وراء الثروة وكلا الأمرين موفور ميسر له لأن مال أبيه يفيض على غيره ، وعطاياه تغدق على من سواه .

ونستروح لهذا بقول السهيلي تفسيراً لقول الله تعالى : « وبنين

شهوداً أى مقمين معه غير محتاجين إلى الأسفار والغيبة عنه لأن ماله ممدود^(١) ويرشح قول السهيلي هذا ما ذكره المفسرون كالألوسي وغيره في تفسير الآية الكريمة يمكن بعد هذا أن نرجح أن خالدا لم يكن محترفاً في جاهليته.

وإذا نحن نظرنا لأبناء الأغنياء في القرى والبلاد الريفية التي يغلب على أهلها طباع البداوة والتي هي قريبة الشبه بحال العرب في جاهليتهم وجدنا أن همهم منصرف لأعمال الفروسية، وركوب الخيل، والمهارة في الفوق على من عداهم في تذليل صعوبتها وسياسة جامحها، وكل من اختلط بالأعراب المنبثين في الصحارى — وهم صورة لا تبعد كثيراً من عرب الجاهلية — وخبر ما عليه أبناء سادتهم وكبرائهم، وعرف أن شغلهم الشاغل هو ركوب الخيل والعدو والسباق حتى إن أحدهم ليقوم بخدمة فرسه بنفسه ولا يكل ذلك إلى خادمه الذي يأمنه على ما كله ومشربه ليدرك بسهولة أن أبناء الأشراف همهم أن يكونوا فرساناً ولفي.

وقد يكون من السهل بعد هذا التمهيد أن نقول: إن خالدا كان في جاهليته كأبناء الأشراف همه الخيل وركوبها وتذليلها وتصريف اعنتها. ولئن كان ذلك مستحسننا لأبناء السادة فهو لخالد أحسن وألزم لأن قبيلته — بنى مخزوم — كان حظها كما بينا من مظاهر الشرف في قريش القبة والاعنة وهو الذي كان يلي ذلك قبل الإسلام ولا يمكن بحال أن يحسن رجل قيادة الأعنة من غير أن يجيد ركوب الخيل وتصريفها،

(١) الروض الأثف جزء ١ ص ١٧٣، الأثرى جزء ٢٩ ص ١٢١. وهذه الآية نزلت في الوليد على أصح الأقوال.

وبالممارسة والمران تكونت له خبرة وفوق في أعنة الخيل وتذليلها مما نراه واضحا في مشاهدته جاهلية وإسلاما .

على أن المهارة في ركوب الخيل إلى الحد الذي وصفنا لا تتم لشخص إلا بعد أن يتصف بخفة الحركة والشجاعة والتهاون بالمخاطر والمعرفة بمواضع الكر والفر وحماية ظهره ونفسه . ولقد كانت هذه الصفات ظاهرة بارزة في خالد .

وانصرفه إلى الخيل واهتمامه بها هذا الاهتمام الذي الممنا به لا يمنع من أن يكون له مال يستغله في التجارة ويعطيه لغيره مضاربة كما كان يفعل الكثير من أشرف قریش خصوصا وهو من بني مخزوم أهل الثروة والمال ، وأبوه الوليد صاحب المال الممدود .

وإذا نحن تدبرنا كلام صاحب العقد الفريد وغيره — وهو ما ذكرناه آنفا — وما كان عليه خالد من الشرف في قومه وما انتهينا إليه من أن همه في جاهليته كان منصرفا للخيل وتذليلها وسياستها وأثر ذلك في أخلاقه وميوله سهل علينا أن ندرك .

معركة بدر

السفر في أنه كان حرييا مظفرا

فغير منكور أن التبريز في أمر من الأمور أساسه أن يكون الشخص محبا لذلك الشيء الذي يبرز فيه ، وله فيه استعداد جبلي خاص . وكثير من الناس إذا زاول غير العمل الذي يجد في نفسه الاستعداد له فقد قوة التبريز ، وظهر دون المتوسط أو تبدل في حين أنه لم يكن بليدا ؛ فإذا وجد الاستعداد النفسي وقارنه بعض الأمور المعينة على هذا العمل ، وكانت

الرغبة فيه والميل إليه قويا كان الشخص فيه غاية الغايات . وقد كان خالد ذا نفس حرية بطبيعتها ، ووجد في بيئة تساعد على هذا التفوق في هذا النوع . لان قريشا كانت تجعل اليه مخازن التووين ومهمات الجيش ، كما كانت تكل اليه أعنة خيائها ، ومن قبل كانت شارتا الشرف هاتين حقا لبني مخزوم ؛ فكان طبعيا لمن ينشأ في تلك القبيلة ذات القوة والبأس وشدة الشكيمة والتي اليها جانب جد هام من عبء الحرب والدفاع عن البيضة أن ينشأ حرييا ماهرا وقائداً مستكملاً لصفات العظماء من القواد . ولئن كان خالد لم يتح له ولم يكن في الامكان أن يتربى في مدرسة للحرية فقد أتيح وواتته الظروف أن يتربى في ميادين القتال ومدرسة العمل والاستعداد للحرب والطوارئ . وهذه التربية تستلزم في صاحبها أن يكون شجاعا مقداما مستهيناً بالمخاطر والمخاوف في طباعه شيء من الشدة وقوة البأس وكذلك كان خالد .

فالبيئة الخاصة له ولا سيما قبيلته المشهورة بالشجاعة وقوة البأس وما كان له من مظاهر الشرف في قومه وما وهبه من استعداد وما صادفه وهو في بدء حياته من حروب الى مؤثرات أخرى كل هذه عوامل تضامنت وتضافرت على تكوين خالد تكوينا حرييا جعله في مقدمة أشهر مشاهير قواد العالم وخلق بمن يتربى تلك التربية أن يكون القائد الماهر وأن تكون له تلك الشهرة الخالدة التي لخالد .

فلا بدع اذن أن يكون عارفا بأصول الحرب حائزاً لصفات الجندية جامعا لصفات العظماء من القواد : اقدام في حزم ، ونجدة في عزم ، وذكاء في روية ، وخبرة بفنون الحرب وخدعها ، وبعد نظر في كيد العدو ، وصدق رأي في سياسة الجند .

وإن حروبه المظفرة وسيرة في جنده لخير شاهد لا كبر قائد عرفه
تاريخ الاسلام^(١)
والآن بعد أن ذكرنا نسبه ومكاته في قومه نرى لزما علينا أن
نقول كلمة عن .

موقفه إزاء الاسلام

كان خالد كغيره من صناديد قريش وعظمائها في موقف المعاداة
للالسلام والكراهة لصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ومن ناصره ،
لذلك كان في كل مواقفه ومشاهده التي شهدها مع كفار مكة ضد الاسلام
حريصاً جد الحرص على النكاية بالمسلمين ، والنيل منهم

موقفه في أحد

فتراه حين وجد غرة من المسلمين في موقعة أحد قد أخذهم بخيله من
خلفهم ، وأعمل فيهم السيف حتى أذهلهم عن أنفسهم ودارت رحى
الحرب من جديد ، وكان طبعياً أن تكون الدبرة على المسلمين بعد أن
كان لهم إذ جاءهم خالد^(٢) على أعنة الخيل من خلفهم ومن مأمهم
وعلى غرة منهم وفي وقت اعتقدوا فيه أن الحرب قد وضعت أوزارها ،
وأنه قد آن لهم أن يجمعوا الغنائم ويجنوا ثمار انتصارهم ولذلك كانت
دهشتهم شديدة وارتبا لهم أشد

(١) سيأتي لهذا البحث فضل بيان عند كلامنا على صفته وأخلاقه

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٣٤ ، الطبري ج ٣ ص ١٦ ، ابن الأثير ج ٢

ص ١٠٧ السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٩١

ولو لا خالد ويقظته وانتهازه الفرصة والموقف الذي وقفه ضد المسلمين
 لكانت هزيمة قريش في تلك الموقعة لا تقل عن هزيمتهم في بدر، ولما
 كان في مكنة قريش أن تقف من المسلمين موقف المنتصر، وتلوم
 نفسها وتألم لعدم القضاء على المسلمين وقد تمكنت منهم حتى لقد راودوا
 أنفسهم على الرجوع إليهم

ولو انتصر المسلمون في تلك الموقعة ولم يوقع بهم خالد لكان من
 المرجح ألا تقف قريش من المسلمين موقفها يوم الحديبية، ولما تمكنت
 من صدهم عن زيارة الكعبة

موقفه في الخندق

ولقد كان أحد أولئك الأفاذا الذين كانوا يتناوبون الطواف
 بخندق المسلمين عليهم يعثروا على ثغرة أو يظفروا منهم بغفلة فيأخذوهم
 وهم في غفلتهم بسيوفهم وخيلهم ولكانت هلكت تلك العصابة التي كانت
 منفردة بعبادة الله

ولكن المسلمين لم يكونوا وهم في مثل موقفهم يوم الخندق - الذي يصفه
 الله بقوله: «إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار

(١) «لما نظر المشركون إلى الخندق قالوا والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب

تكيدها وصار المشركون يتناوبون فيغدو أبو سفيان في أصحابه يوما، ويغدو خالد

ابن الوليد يوما، ويغدو عمرو بن العاص يوما.....» ابن سعد ج ٢ ص ٤٨

وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالآ الظنونا» (١) - بالذين يسهون أو يغفلون عن عدوهم ، فما أن شعروا بخالد في خيل المشركين يطلب غرة منهم ، (٢) ويريد اقتحام الخندق حتى رشقوه ومن معه بالنبل ، ولو تمكن من اجتياز الخندق لكان من المحتمل أن يتغلب على المسلمين وأن يكون له النصر عليهم ~~لأنهم لم يتمكنوا من اجتياز الخندق~~ ولم يكن من المشركين حين فشلوا في الخندق ، وكروا راجعين إلى ديارهم إلا أن لجأوا إلى الشهمين : عمرو بن العاص وخالد بن الوليد (٣) ليحميا ظهورهم مخافة أن يكر المسلمون عليهم ويتبعوهم . وفي هذا دلالة على ثقة القوم به ، واعتمادهم عليه ، وأنه كفء وجدير بمثل تلك الثقة التي ما كانت تعطى في مثل ذلك الموقف جزافا . فضلا عن ذلك فإن قبوله لتلك المهمة واضطلاعه بها يجلي لنا ثقته بنفسه واستهاتته بالمخاطر والمخاوف الأمر الذي كان له أثر كبير في حياته المستقبلية

موقفه بالحديبية

كذلك كان موقفه يوم الحديبية فقد قدمته قريش على أعنة خيلها إلى

- (١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٩٠ وفي ذلك يقول الله تعالى : « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ، »
- (٢) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٤٩ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤١٧
- (٣) « فأقام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد في مائتي فارس ساقية للعسكر وردءا مخافة الطلب » ابن سعد ج ٢ ص ٥٠ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٢٢

كُراع الغميم^(١) في مائتي فارس يتحرق تحرقا لمواقفة المسلمين^(٢) « ودنا بخيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر فتقدم في خيله فأقام بأزائه^(٣) . وحين رأى المسلمين يصلون ندم على ألا يكون أعدده للهجوم عليهم وقت صلاتهم واستعد لأخذهم على غرة متى قاموا الصلاة أخرى ولكن الله أعلم رسوله صلى الله عليه وسلم بالأمر؛ فصلى بأصحابه صلاة الخوف^(٤) ولم يخل جبهة جيشه من الحماة بل كان المسلمون يتناوبون الحراسة والصلاة . ولولا أن الأمر قد لج بينهم بتلك المعاهدة — التي كانت فاتحة خير للإسلام والمسلمين — لذكر لنا التاريخ فصلا عما كان من الحدث بينه وبين المسلمين

موقفه في عمرة القضية

ولا أدل على كراهته وبغضه للإسلام وعدائه الشديد لأهله في ذلك العهد من تغيبه وخروجه من مكة حين أراد المسلمون دخولها في عمرة القضية^(٥) لأنه لم يطق أن يرى المسلمين يدخلونها ولو كانوا زائرين

(١) كراع الغميم — « موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال » ياقوت ج ٧ ص ٢٢٦

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٦٩ ، سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٦ ، الطبري ج ٣ ص ٧٢ ، ابن الأثير ج ٢ ص ١٣٦ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٤

(٣) ابن سعد ج ٢ ص ٦٩

(٤) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٤

(٥) أنساب القرشيين ج ٢ ص ٣٣٨ تاريخ ابن عساكر ص ٦٩٠ من المجلد الثالث

للبيت معظمين له ورغم ما كان بينهم وبين أهل مكة من التصالح على دخولهم في عامهم هذا للزيارة ، ورغم أن الكثير ممن يرغبون زيارة البيت هم من قريش ومن قبيلته وأبناء عجمته . ولكنها الحمية للعقيدة التي لا تزال تحتل جوانب النفس ويعز استئصالها رغم تلك الضربات الشديدة التي لم تلبث أن حطمتها بل نسفتها بعد عهد قريب

رحم الله خالداً لأن كان موقفه في شره شديداً على الاسلام والمسلمين فذلك الاخلاص للمعتقد والتفاني في الفكرة وقوة النفس هي التي جعلت نصرته للاسلام أشد ونكايته باعدائه أبلغ

الآن وقد طوينا عصر أ من حياة خالد يفصله عما بعده ذلك الانقلاب الفكري والاعتقادي الخطير فانا نتقدم إلى عصر جديد يتميز عما قبله تميزاً واضحاً ، وتظهر فيه شخصية خالد بقوتها في صورة أخرى وينشر فيه ذلك التاريخ الخالد وتلك الصحيفة الذهبية صحيفة خالد المسلم

الباب الثاني

خالد منذ اسلامه الى وفاة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

« اسلامه ، لماذا أبطا في اسلامه ، غزوة مؤتة ، فتح مكة ، هدم العزى ، خالد في بني جذيمة ، خالد في غزوة هوازن ، خالد في غزوة الطائف ، سرية خالد إلى دومة الجندل ، ارسال خالد إلى نجران » .

اسلامه

اختلف المؤرخون في العام الذي أسلم فيه خالد ؛ ففريق منهم زعم أن إسلامه كان في سنة خمس للهجرة ، وزعم فريق آخر أنه أسلم سنة ست . كما أن منه من قال إن إسلامه كان في سنة سبع للهجرة ، ومنهم من قال إنه أسلم سنة ثمان ^(١) . وإذا نحن نظرنا إلى هذه الأقوال فانا نرى أن من زعم أن إسلامه كان سنة ست قد أغرب وأبعد ولم يؤيده في زعمه مؤرخ يوثق بقوله برواية تشعر بقبولها . وأما الزعم القائل بأنه أسلم سنة خمس فهو ساقط لا يقام له وزن . ونحن في غنية عن التدليل على بطلان هذين الزعمين لأنه فضلا عن بعدهما فكل نقض يتجه على قول

(١) ومنهم من تحاشى التحديد فقال : كان اسلامه بين الحديبية والفتح وهو قول صحيح لكنه لا يفيد المؤرخ الذي يريد الضبط والتحديد . شرح العيني للبخاري جزء

من قال بأنه أسلم سنة سبع يتجه على هذين الزعمين بطريق الأولى ^(١)

بقي أن يكون اسلامه سنة سبع أو ثمان

وإذا نحن عرضنا كتب التاريخ والسير تبين لنا أن اسلامه كان في صفر من سنة ثمان للهجرة قبل فتح مكة بستة أشهر ، وقبل غزوة مؤتة بشهرين .

وبيان طريقنا في الوصول إلى هذه النتيجة أمران : —

أ — نصوص تاريخية

ب — معقولات تركز على نصوص تاريخية

أ — والنصوص التاريخية منها : —

١ — قول ابن سعد : « فاصطحنا حتى قدمنا المدينة على رسول الله

صلى الله عليه وسلم أول يوم من صفر سنة ثمان » ^(٢)

٢ — وقول البلاذري : « وكان عمرو بن العاص قدم من عند النجاشي

مسلمًا فلقى في طريقه عثمان بن طلحة وخالد بن الوليد يريدان النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا في صفر سنة ثمان » ^(٣)

(١) كثير من المؤرخين قد تعرض لهذين الزعمين بالرد الصريح كقول ابن الأثير

في أسد الغابة ردا على من زعم بأنه أسلم سنة خمس : « وليس بشيء » جزء ٢ ص ١٠١ »

وقال صاحب الاصابة : « ووهم من زعم أنه أسلم سنة خمس » جزء ٢ ص ٩٨ . وقال

في أسد الغابة ردا على من زعم اسلامه سنة ست : « وهذا القول مردود ، فان الصحيح

أن خالد بن الوليد كان على خيل المشركين يوم الحديبية » جزء ٢ ص ١٠١ ومثله في الاصابة

(٢) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢٠١

(٣) أنساب الأشراف ج ١ ص ١٨٤ وذكر نحو من ذلك في كتابه فتوح البلدان

ص ٦٩

٣ — وقول ابن قتيبة : « وأسلم سنة ثمان هو وعمرو بن العاص
وعثمان بن طلحة ^(١) »

٤ — وما رواه الطبري إذ يقول : « وفيها (يعني سنة ثمان) قدم
عمرو بن العاص مسلماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسلم عند
النجاشي وقدم معه عثمان بن طلحة العبدري وخالد بن الوليد بن المغيرة
قدموا المدينة في أول صفر ^(٢) »

٥ — وما رواه ابن عساكر نقلاً عن الواقدي ونصه : « الثبت عندنا
أن خالداً لم يشهد خيبر وأسلم قبل الفتح هو وعمرو بن العاص وعثمان
ابن طلحة بن أبي طلحة أول يوم من صفر سنة ثمان » ^(٣)

٦ — وقول ابن الأثير : « في هذه السنة (يعني سنة ثمان) في صفر
قدم عمرو بن العاص مسلماً على النبي صلى الله عليه وسلم وقدم معه خالد
ابن الوليد وعثمان بن طلحة العبدري ^(٤) »

٧ — وما ذكره أبو الفدا وهو : « وفي سنة ثمان قدم خالد بن الوليد
وعمر بن العاص السهمي وعثمان بن طلحة بن عبد الدار فأسلموا ^(٥) »
وغير هؤلاء كثير أضربنا عن ذكرهم اكتفاء بمن ذكرنا من الثقات
وتحاشياً للتطويل والملل

ب — والمعقولات منها : —

(١) المعارف ص ٩٠

(٢) الطبري ج ٣ ص ١٠٣

(٣) تاريخ مدينة دمشق ص ٦٨٦ المجلد الثالث

(٤) الكامل جزء ٢ صفحة ١٥٥

(٥) أبو الفدا في تاريخه جزء ١ صفحة ١٤٢

١ — ما ذكره البلاذري في صدد كلامه على فتح مكة إذ يقول : « فدفعت (يعني النبي صلى الله عليه وسلم) المفتاح إلى عثمان بن طلحة وكان أسلم في صفر سنة ثمان » وعثمان هذا كان رفيقاً لخالد في طريقه إلى المدينة يريد الإسلام وأسلما معاً ؛ فإسلامه إذن في صفر من سنة ثمان ^(١)

٢ — كثير من المؤرخين حين يروى لنا إسلام عمرو بن العاص بحكاية عمرو نفسه يقول : « وذلك قبل الفتح » فهل أعجزت العبارة عمراً فلم يستطع أن يقول : وكان ذلك بعد الحديبية أو قبل عمرة القضاء مثلاً . على أن بعض المؤرخين كابن هشام في سيرته كان أوضح عبارة إذ يقول عن لسان عمرو أيضاً : « وذلك قبيل الفتح » وهذا العمرى صريح في أن إسلام خالد كان قبل الفتح بقليل . ولا يمكن أن يفهم من هذا التركيب العربي الذي يقصد إليه مؤرخ يعني ما يقول أنه أسلم قبل الفتح بسنة أو سنتين إلا إذا أهدرنا مداولات الألفاظ العربية ، وتلاعبنا بلغة العرب وفهمناها على غير ما أرادوا وهو ما لا نستطيعه ^(٢)

٣ — معظم كتب التاريخ والسير التي تعرضت لإسلام الوليد بن الوليد أخى خالد تذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوليد وهو في عمرة القضاء : « أو جاءنا خالد لقد مناهو من مثله سقط عليه الإسلام في عقله » فكتب الوليد إلى خالد يرغبه في الإسلام ويخبره بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ؛ فكان ذلك سبب إسلامه وهجرته ^(٣) . وهذا صريح

(١) أنساب الأشراف جزء ١ صفحة ٢٣

(٢) راجع الطبري جزء ٣ صفحة ١٠٤ ، سيرة ابن هشام جزء ٢ صفحة ٢١١ ،
الاصابة جزء ٢ صفحة ٩٨

(٣) أنساب القرشيين للقدسى جزء ٢ صفحة ٣٣٨ ، الاستيعاب جزء ٢ صفحة ٦١٩

في أن خالداً كان حتى عمرة القضاء غير مسلم ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما فرغ من عمرته وتوجه إلى المدينة في ذي الحجة خاتمة سنة سبع . وبعيد جداً أن يصل كتاب الوليد إلى خالد — الذي غادر مكة حتى لا يشهد المسلمين يدخلونها — فيرغبه في الإسلام ثم يسلم ويبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم أفراساً ويعلمه بالإسلام ثم يعزم على الهجرة ويبحث عن رفيق له ويشيع خبر إسلامه في مكة ويحصل ما حصل من المشاتمة بينه وبين أبي سفيان ويحضرها عكرمة بن أبي جهل ويغضب لابن عمه وأخيراً بعد هذا كله يصل إلى المدينة قبل انقضاء الأيام القلائل التي بقيت من ذي الحجة سنة سبع حتى يمكن أن يقال أنه أسلم وهاجر في آخر لحظة من سنة سبع (١)

٤ - يقول المؤرخون الموثوق بقولهم : « إن أول مشهد شهده خالد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فتح مكة وأن أول غزوة غزاها كانت مؤتة (٢) ومعلوم أن مؤتة والفتح كانتا سنة ثمان فهل أسلم خالد سنة سبع ثم انزوى بعيداً عن الأعين فلم نسمع له ذكراً أو كان جباناً فلم يخرج في غزوة أو سرية أو أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقدره قدره . اللهم لا هذا ولا ذاك ؛ لأنه ليس من الأفراد الذين يعيشون من غير أن يشعر بهم أحد كما أنه يقول عن نفسه : فما عدل بي رسول الله

= الإصابة جزء ٦ صفحة ٣٢٣ . أسد الغابة جزء ٥ صفحة ٩٢ ، ابن عساكر مجلد ٣ صفحة ٦٩٠ السيرة الحلبية جزء ٣ صفحة ٨٦

- (١) مغازي الواقدي صفحة ٤٠٠ ، ٤٠١ ، سيرة بن هشام جزء ٢ ص ٢٥٥
 (٢) الاستيعاب جزء ١ صفحة ١٥٧ ، أسد الغابة جزء ٢ صفحة ١٠٢ ، تهذيب الأسماء للامام النووي صفحة ١٧٣ من القسم الأول

صلى الله عليه وسلم أحداً من أصحابه في أمر حزيه »

ونلاحظ على قول من يقول : بأن إسلامه كان في سنة سبع الغموص وعدم التحديد في حين أننا نرى من يقول بان إسلامه كان في سنة ثمان قد أوضح قوله وحدده ، فعين لنا السنة والشهر واليوم الذي أسلم فيه ، بل إن بعض الروايات قد عينت الساعة أيضاً (١) بعد هذه الأدلة العقلية والنقلية نجزم واثقين برأينا السابق من أن إسلامه كان في صفر من سنة ثمان

هذا وقد حملنا على الاكثار والاطالة في تعيين الوقت الذي أسلم فيه كثرة الروايات والأقوال الواردة في إسلامه وغموصها وإبهامها تارة وتضاربها واضطرابها تارة أخرى ، كما أننا كثيراً من الكتاب المحدثين الذين ندين لهم بالفضل يذكرون أن إسلامه كان في سنة سبع ، فكنا مضطرين إزاء ذلك أن نأتى بكثير من الأدلة ليتبين وجه الصواب واضحاً ولنقنع أولئك الأساتذة الأجلاء بصحة ما ارتأيناه (٢)

وها نحن نذكر إسلامه رضى الله تعالى عنه كما روى عنه (٣) . قال : « لما أراد الله عز وجل ما أراد بي من الخير قذف في قلبي حب الاسلام وحضر لى رشدى وقلت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد

(١) كما في رواية عن عمرو بن العاص نقلها صاحب السيرة الحلبية جزء ٣ صفحة ٨٧

(٢) ومنهم من رأى رأينا كالبستاني في دائرة المعارف وأستاذنا الدكتور حسن ابراهيم في كتابه عمرو بن العاص ، وجييون في كتابه انحلال وسقوط الدولة الرومانية

(٣) طبقات ابن سعد جزء ٤ صفحة ١ ، ٢ ، تاريخ ابن عساكر المجلد الثالث

صفحة ٦٩٠ - ٦٩١ ، السيرة الحلبية جزء ٣ صفحة ٨٦ مع تفاوت في بعض التراكيب

بين هذه الكتب

صلى الله عليه وسلم فليس موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في
نفسى أنى موضع فى غير شىء وأن محمداً صلى الله عليه وسلم يظهر فلما جاء
صلى الله عليه وسلم لعمره القضية تغيبت ولم أشهد دخوله فكان أخى
الوليد بن الوليد قد دخل معه صلى الله عليه وسلم فطلبنى فلم يجدنى فكتب
إلى كتابا فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فانى لم أر أعجب من
ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلة عقلك ومثل الاسلام يجهله أحد ؟! قد
سألنى عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أين خالد فقلت يأتى
الله به فقال : ما مثله يجهل الاسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين
على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره فاستدرك يا أخى ما فاتك
فقد فاتك مواطن صالحة، فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج وزادنى رغبة
فى الاسلام وسرتنى مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأيت فى
المنام كأنى فى بلاد ضيقة جدبة فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة فلما
أجمعنا الخروج إلى المدينة لقيت صفوان فقلت يا أبا وهب أما ترى أن
محمداً ظهر على العرب والعجم فلو قدمنا عليه فاتبعناه فان شرفه شرف لنا
قال : لو لم يبق غيرى ما اتبعته أبدا . قلت هذا رجل قتل أبوه وأخوه بيد
فلقيت عكرمة بن أبى جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذى
قال صفوان قلت فاكم ذكر ما قلت لك قال لا أذكره . ثم لقيت عثمان
ابن طلحة (أى الحبي) قلت هذا لى صديق فأردت أن أذكر له ثم
ذكرت من قتل من آبائه (أى قتل أبيه طلحة وعمه عثمان . وقتل
اخوته الأربعة مسافع والجلال والحارس وكلاب كلهم قتلوا يوم أحد)
فكرهت أن أذكر له ثم قلت وما على فقلت له إنما نحن بمنزلة ثعلب فى

جحرا و صب فيه ذنوب من ماء الخرج ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة
 فأسرع الاجابة فواعدني إن سبقني أقام في محل كذا وإن سبقته انتظرته
 فلم يطلع الفجر حتى التقينا فغدونا حتى انتهينا إلى الهدية (اسم محل)
 فنجد عمرو بن العاص بها فقال مرحبا بالقوم فقلنا وبك . قال : أين
 مسيركم قلنا الدخول في الاسلام . قال : وذلك الذي أقدمني . وفي لفظ
 قال عمرو لخالد يا أبا سليمان أين تريد قال والله لقد استقام الميسم^(١) (أي
 تبين الطريق وظهر الحق) وإن هذا الرجل لنبي أذهب فأسلم فحتى متى
 قال عمرو : وأنا ماجئت إلا لأسلم فاصطحبنا جميعا حتى دخلنا المدينة
 الشريفة فأنحننا بظهر الحرة ركابنا فأخبر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فسر بنا (أي وقال : رمتكم مكة بأفلاذ كبدها) فلبست من صالح ثيابي
 ثم عمدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيني أخى فقال : أسرع
 فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سر بقدمكم وهو ينتظركم فأسرعنا
 المشى فاطلعت عليه فما زال صلى الله عليه وسلم يبتسم إلى حتى وقفت عليه
 فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق فقلت : أشهد أن لا إله
 الا الله وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحمد لله الذي هداك
 قد كنت أرى لك عملا رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير » قلت يا رسول
 الله ادع الله لي أن يغفر لي تلك المواطن التي كنت أشهدا عليك فقال

(١) رواية الطبري جزء ٣ صفحة ١٠٤ « المنسم » قال السهيلي : من رواه الميسم
 بالياء فهي العلامة أي قد تبين الأمر واستقامت الدلالة ومن رواه المنسم بفتح الميم
 وبالنون فعناه استقام الطريق ووجبت الهجرة والمنسم مقدم خف البعير وكفى به
 عن الطريق للتوجه به فيه « الروض الأنف جزء ٢ صفحة ٢١١

صلى الله عليه وسلم : « الاسلام يجب ما كان قبله » ^(١) قلت يا رسول الله على ذلك فقال : « اللهم اغفر لخالد بن الوليد كلما أوضع فيه من صد عن سبيلك » قال خالد فتقدم عمرو وعثمان فبايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مقدما في صفر من سنة ثمان فوالله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أسلمت يعدل بي أحدا من أصحابه فيما حزه ^(٢) ثم أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع داره من الدور التي كان وهبها له الحارثة ابن النعمان ^(٣)

هذا ولا يسعنا أن نمر باسلامه دون أن نتدبره لعلنا نجده قد اشتمل على ميزة له : فنجد أنه لم يدخل في الاسلام تبعا لغيره أو طمعا في نفع أو تفاديا من ضر ، وإنما أسلم بعد أن رأى أن الميسم قد استقام ، وبعد تدبر ، ومراجعة للنفس وعرض للواطن التي شهدا ضد الاسلام ، واقتناع بحقية الدين الذي ارتضاه لنفسه ، وبفساد ما كان يعتقد ، فهيننا لك يا خالد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لدخولك في الاسلام ، وقوله لأخيك الوليد : « مامثله يجهل الاسلام » . جدير أنت يا خالد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك وفي رفيقك حين جئتموه مسلمين : « رمتكم مكة بأفلاذ كبدها » .

مرحى مرحى يا خالد فقد سر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامك

(١) إلى هنا انتهى ما ذكره صاحب السيرة الحلبية

(٢) رواية ابن سعد « فيما يحزبه » بدل فيما حزه « وفي رواية عن عمرو بن العاص « في أمر حربه »

(٣) طبقات بن سعد جزء ٤ ص ١

ورفيقك وانتظركم فما أن طلعت عليه حتى ابتسم وما زال يتسم إليك حتى سلمت عليه بالنبوة فرد عليك السلام بوجه طلق .

لا جرم فأنت جدير بكل ذلك ؛ أأنت الذي يقول فيك الرسول صلى الله عليه وسلم حين أسلمت : « الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا نرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير » ثم يمنحك موضع دارك ويميزك بذلك عن صاحبيك وهما ما هما في قريش

أأنت الذي طلبت من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لك مما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله فأجاب طلبتك ودعا لك بقوله « اللهم اغفر لخالد بن الوليد كلها أوضع فيه من صد عن سبيلك » . حقيق وعقلك عقلك ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بك أحداً من أصحابه فيما حز به كما تقول أنت عن نفسك

على أن ما حكاه لنا خالد عن إسلامه وما كان من سرور الرسول صلى الله عليه وسلم به وقوله فيه : « ما مثله يحفل الإسلام » يجعلنا نتساءل

لماذا أبطأ خالد في إسلامه

وقد كفانا عمرو بن العاص مؤنة الجواب حين سئل : « ما أبطأ بك عن الإسلام وأنت أنت في عقلك » إذ يقول كنا مع قوم لهم علينا تقدم وكانوا ممن توازى أحلامهم الجبال فلذنا بهم فلما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظرنا وتدبرنا فإذا حق بين فوقع الإسلام في قلبي »

هـ فضلاً عن ذلك فإن قريشاً هم الحمس في الدين وهم حماة البيت الحرام والذادة عنه الذي تعزهم العرب من أجله فطبعي جداً أن يقفوا — وبخاصة ذوى

الشرف والسادة منهم — في وجه هذا الدين الجديد الذي يزيل سلطانهم إن اعتنقوه ويجعلهم في مستوى غيرهم من العرب، وأن يناصره العدا، وإن الموت عندهم أيسر على نفوسهم من الدخول في هذا الدين وهذا العدا يذكيه ويلهبه ما كان من قتل المسلمين لكثير من أشرف قريش — ولا سيما في بدر حيث قتل معظم أشرفهم وصناديدهم — وعزیز على النفوس البشرية مهما سما إدراكها أن تدعن للدين الذي قتل الأجابة وأبعدهم. يدل لذلك ما دار من الحوار بين عكرمة بن أبي جهل وخالد فحين عزم خالد على الاسلام فزع عكرمة وقال: « قد صبت يا خالد فقال لم أصب ولكني أسلمت قال عكرمة والله إن كان أحق قريش أن لا يتكلم بهذا الكلام إلا أنت قال: ولم؟ قال عكرمة لأن محمداً وضع شرف أهلك حين جرح وقتل عمك وابن عمك ببدر، فوالله ما كنت لأسلم ولا أتكلم بكلامك يا خالد أما رأيت قريشاً يريدون قتاله قال خالد هذا أمر الجاهلية وحميتها لكني والله أسلمت حين تبين لي الحق... »^(١) وما كان يلهج به كثير من أشرفهم كقول صفوان بن أمية حين فاضه خالد في الاسلام: « لو لم يبق غيري ما اتبعته أبداً ». ولقد أدرك خالد هذه الحقيقة النفسية التي أدت إلى امتناعه وإبائه الاسلام فقال: « هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر »

الآن وقد أسلم خالد وسر الرسول صلى الله عليه وسلم باسلامه كما فرح المسلمون بانضمامه إليهم نتقدم لبيان فتوحه وأعماله، وما كان له من أثر في نصر دين الله وإعلاء كلمته. وأول غزوة شهدناها في الاسلام هي:

غزوة مؤتة^(١)

في جمادى الأولى من سنة ثمان للهجرة أنفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الأمراء إلى مؤتة للقصاص ممن قتلوا الحارث بن عمير رسوله إلى صاحب بصرى^(٢) واستعمل على هذا الجيش: «زيد بن حارثة وقال ان أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة»^(٣)

سار المسلمون حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف فأنحاز المسلمون إلى مؤتة والتقوا بعدوهم فقاتل زيد بن حارثة حتى قتل فأخذ الراية جعفر ابن أبي طالب واقتحم عن فرسه فعقرها^(٤) وقاتل حتى قتل ثم أخذها ابن رواحة وقاتل حتى قتل

صار المسلمون ولا قائد لهم يحفظ نظامهم ويحقق الغرض الذي أرسلوا من أجله فاضطربوا وأصبح موقفهم تجاه عدوهم دقيقاً حرجاً فلم يجدوا

(١) قال في الروض الأنف: «وهي مهموزة الواو وهي قرية من أرض البلقاء من الشام وأما الموتة بلا همز فضرب من الجنون.....» ج ٢ ص ٢٥٦. وقال ياقوت: «مؤتة بالضم ثم واو مهموزة ساكنة وتاء مشاة من فوقها وبعضهم لا همز... قرية من قرى البلقاء في حدود الشام» ج ٨ ص ١٩٠ - وسماها المؤرخون غزوة تساهلا وإلا فهي سرية لأن النبي ﷺ لم يخرج فيها

(٢) بصرى من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٦ وفي تأمير الرسول ﷺ ثلاثة من الأمراء على خلاف ما جرت عليه عادته تليح لا يخفى بأن الشهادة قد وجبت لهم

(٤) وهو أول من عقر فرسه في الاسلام الطبرى ج ٣ ص ١٠٩، وسيرة ابن

هشام ج ٢ ص ٢٥٨ ابن الأثير ج ٢ ص ١٦٠

— وهم في مثل موقفهم — أحزم من أن يلجأوا للشهم ريب الحرب
خالد بن الوليد فأمره عليهم وأسلوه قيادهم فكان ذلك من توفيق
الله لهم.

تسلم خالد إمرة جيش منهنم قليل العدد لا يزيد على الثلاثة الآلاف كاد
يفقد قوته المعنوية أو فقدوها وهو فضلا عن ذلك بأزاء جيش عظيم يربو
على المائة والخمسين ألفاً^(١) مدرب عظيم الثقة بنفسه، معزز بقوته، وله
ضراوة وخبرة بالحروب قريب عهد بالانتصار على الفرس وهنا ظهرت
مواهب خالد الحربية، فأعمل الحيلة في خلاص الجيش وإنجائه من الفناء
فقاتل في يومه قتالاً شديداً ولما غدا غير نظام الجيش فجعل مقدمته ساقية
وساقته مقدمة وكذلك فعل باليمينة والميسرة؛^(٢) فكان هذا التغير مما جعل
الروم يظنون أن مدداً جاء للمسلمين فقدر وهم ونظروا إليهم بعين ليست
عين الأمل.

كان هذا تدبيراً وقتياً لحماية الجيش من الفناء؛ ولذا فانا نرى خالداً
يتقهقر بالجيش قليلاً قليلاً مع حفظ نظامه « وحيطة قاصيته » وهذا تدبير
محكم وخطة رشيدة لا تفضلها غيرها في مثل هذا الموقف. وبذلك تحاجز
الفريقان ونجا جيش المسلمين من فناء محقق.

مثل هذا التدبير من خالد ليس بالعمل الميسور الذي يستطيعه كل
قائد بل هو عمل عظيم جسيم يتطلب مهارة وحزماً ورباطة جأش وثقة

(١) وهذه رواية المقل من مؤرخي العرب

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٩٦

بنصر الله . وكثيرا ما عرف التاريخ قوادا عظاما ^(١) كان السر في شهرتهم إنجاء جيوشهم من مثل هذا الموقف الحرج الذي لو اختل أقل تدبير فيه لفنى الجيش . وما يصور لنا مقدار مالاقيه جيش المسلمين من شدة وخطوب قول خالد : « لقد اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، فما ثبت في يدي الا صفيحة يمانية » ^(٢) ؛ فالجيش الذي يضطر قائده للقتال — وإن كانت تلك عادة خالد في معظم وقائعه — حتى تتكسر في يده تسعة أسياف لا بد وأن يكون قد لاقى من الأهوال أشدها ومن الخطوب أقساها وقائده هو من أعظم القواد وأشجعهم وأعرفهم بالحرب وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بموت الأمراء الثلاثة واستغفر لهم وقال : « ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه » ثم قال : اللهم إنه سيف من سيوفك فأنت تنصره » ^(٣) فمنذ ذلك اليوم سمي خالد سيف الله . وحقا إنه لجدير بذلك اللقب النبوي الكريم ؛ فقد أمر نفسه ونجى جيش المسلمين ، ولعمري مهما أجاد الانسان في وصفه ومدحه فلن يصفه بأحسن ولا بأوفى مما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ✓

وربما همس هامس قائلا : إذا كان هذا حال جيش المسلمين فلماذا لم يتبعهم الروم حين انحازوا وتقهقروا فيقضوا عليهم ؟ وجوابنا أن الجيوش

(١) مثل هندنبرج القائد الألماني العظيم (رئيس الجمهورية الألمانية اليوم) وأحمد مختار باشا في حرب روسيا سنة ١٢٩٣

(٢) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٩٦ ، أنساب القرشيين ج ٣ ص ٣٣٩ الاستيعاب ج ١ ص ١٥٧ ، أسد الغابة ج ٢ ص ١٠١

(٣) الطبري ج ٣ ص ١٠٩ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٩٧

الكبيرة ذات العدة والأثقال يعسر عليها الحرب والقتال في الفيافي والمفاوز والمسلمون كان عددهم قليلا وعدتهم خفيفة وهم بحكم تربيتهم ونشأتهم أنشط من الروم وأمرن على السير في المفاوز والقفار وأخبر بشعابها وحزنها ، فلا فائدة عمليا من تتبعهم لتعذر لحاقهم . ولا يبعد أنهم خافوا من أن يكون للمسلمين كمين وأن يكون تأخرهم مكيدة كي يزوجوا بهم في الصحراء فاذا تورطوا فيها أخذهم الكمين من خلفهم أو أن يكون تأخرهم للتحيز إلى فئة أو مدد أتاهاهم فتحرزوا من الكمين ومبالغة في الحيلة والحذر لم يتبعوهم

عود على بدء

يقول بعض المؤرخين : إنه بعد أن تسلم خالد قيادة الجيش هزم الروم هزيمة منكرة . ومن ذلك رواية لابن سعد في طبقاته يقول فيها راويها ما نصه : فأخذ خالد اللواء ثم حمل على القوم فهزمهم الله أسوأ هزيمة رأيته قط حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاءوا . . . (١) . ولم نطلع على ما يؤيدها في كتب التاريخ الموثوق بها برواية تشعر بقبولها بل إن معظم المؤرخين ومن بينهم ابن سعد نفسه في أول كلامه على الموقعة قد نص على أن الفريقين تهاجزا من غير قتال وأن خالدا لما أخذ الراية دافع القوم وخاشى (٢) بهم ثم انحاز ، وانحيز عنه حتى انصرف بالناس

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٩٤

(٢) المخاشاة المحاجزة وهي مفاعلة من الخشية لأنه خشى على المسلمين لقلّة عددهم ومن رواه حاشى بالحاء المهملة فهو من الخشى وهي الناحية — الروض الأنف

وفضلا عن هذا فان العقل يستبعد جدا مثل هذا الانتصار إذما قيمة
كتيبة صغيرة عدتها ثلاثة آلاف رجل بأزاء جحفل جرار عدته ٢٠٠
ألف مقاتل وكم عدد الأشلاء وآلاف القتلى الذين وضع المسلمون
أسيافهم فيهم حيث شاءوا؟ لم نر من المؤرخين من تعرض لمقدار الغنائم
ولا لعدد القتلى على غير عادتهم في مثل هذه الحوادث التي ينتصر فيها
المسلمون انتصارا مؤزرا كالذي يحكيه لنا الراوي

ومن ذلك أيضا ما ذكره ابن هشام وابن برهان الدين ^(١) من ان
المسلمين أمروا عليهم خالدا ففتح الله عليهم . وما ذكره هذان المؤرخان
يمكن حمله على المجاز ؛ لأن نجاة ثلاثة آلاف من فناء محقق يعتبر بحق
فتحا لأنه لو لا خالد ومهارته لهلك الجيش فكأنه أضاف إلى سواد المسلمين
ثلاثة آلاف من الأنفس . على أننا نجد المؤرخين جميعا يذكرون أن النبي
صلى الله عليه وسلم والمسلمين خرجوا لاستقبال هذا الجيش حين شارف
المدينة راجعا ، وكان الناس يحثون في وجوههم التراب ويعيرونهم بقولهم :
« يا فرار فررتم في سبيل الله » والنبي صلى الله عليه وسلم يخفف عنهم
ويعتذر بقوله : « ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله » ^(٢) فهل
ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين خرجوا لاستقبال أفراد
رجعوا فارين قبل انتصار المسلمين كما زعم بعض من قال ذلك أم المقبول
أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج لاستقبال الجيش وأن حثى التراب
في وجوههم دليل بين على عدم انتصارهم . وإذا كان بعض من تحمل

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٠ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٩٦

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٩٣ ، سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٠ ، الطبري

هذا العذر لجيش المسلمين ربما كان الحامل له على ذلك أنه عز عليه أن
يفر من وجه العدو فانا نرى أن كتيبة صغيرة تنجو من براثن هذا الخمس
العمرم لا يقتل منه الا اثني عشر رجلا لمن أعظم الفخر وفي غنية
عن الاعتذار

وكثير من الشعر الذي قيل في هذه الموقعة يؤيد رأينا، فمن ذلك قول
« قيس بن المحسر اليعمرى » يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس :

فوالله لا تنفك نفسى تلومنى على موقفى والخيلى قابضة قبل
على أتى آسيت نفسى بخالد ألا خالد فى القوم ليس له مثل
وجاشت إلى النفس من نحو جعفر بمؤتة إذ لا ينفع النابل النبل
وضم إلينا حجزتهم كليهما مهاجرة لا مشركون ولا عدل
فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره أن القوم حاجزوا
وكرهوا الموت وحقق انخياز خالد بمن معه ^(١)

وقد أيد ابن برهان الدين تأويلنا لما نقله بقوله : « وكون هذا نصراً
وفتحاً واضح لا حاطة العدو بهم وتكاثرهم عليهم لأنهم كانوا مائتى ألف
والصحابه ثلاثة آلاف إذ مقتضى العادة أن يقتلوا بالكلية » ^(٢) ويقول
أيضاً فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أتم الكرارون وهو
دليل على أنه كان بينهم محاجة وترك للقتال ^(٣)

هذا وقد قيل كثير من الشعر فى هذه الموقعة ؛ فمن ذلك قول حسان
ابن ثابت يرثى الأمراء الثلاثة :

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٠

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٧

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٩٩

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا جميعاً وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
وما زال في الاسلام من آل هاشم دعائم عز لا يزلن ومفخر^(١)

فتح مكة

لما أراد الله فتح مكة وهياً الأسباب لذلك سار رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الأربعاء لعشر ليال خلون من شهر رمضان بعد العصر^(٢) بجيش عظيم بلغت عدته بعد أن تكامل ١٠ آلاف مقاتل^(٣) من المهاجرين والأنصار^(٤) ومن أجابه من قبائل العرب التي بعث إليها وحين قارب الرسول صلى الله عليه وسلم مكة ووصل إلى ذي طوى^(٥) فرق الجيش فكان خالد أميراً على الميمنة « وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب »^(٦) وهذا أول يوم نال فيه خالد شرف القيادة والامارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦١

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٩٩

(٣) وهو أكبر جيش عرفته بلاد العرب إلى ذلك الوقت

(٤) لم يتخلف أحد من المهاجرين والأنصار وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم

ثلاثمائة فرس وكانت الأنصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس — ابن هشام ج ٢

ص ٢٦٧ الطبري ج ٣ ص ١١٤ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٩

(٥) موضع قرب مكة — معجم البلدان ج ٦ ص ٦٤

(٦) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧١ ، الطبري ج ٣ ص ١١٨

أمر الرسول صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادَةَ أن يدخل من كداء والزبير من كدى^(١) وخالد من الليط^(٢) ودخل عليه السلام من أذاخر^(٣) حتى نزل بأعلى مكة وضربت له هناك قبته ؛ فدخل المسلمون مكة كان من أربعة مواضع^(٤)

كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً جد الحرص على الا يراق دم في البلد الحرام فنهى أمراءه عن القتال إلا إذا قوتلوا ومنعوا الكن بعض أشراف قريش ورجالاتها أبوا إلا أن تراق الدماء في الحرم المقدس ؛ فان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً من بكر والأحابيش^(٥) وغيرهم بالخدمة^(٦) أسفل مكة ليقاتلوا المسلمين

(١) كداء الممدود بأعلى مكة دار النبي ﷺ من ذى طوى إليها وكدى بضم الكاف وتنوين الدال بأسفل مكة عند ذى طوى عند شعب الشافعيين ومنها دار النبي ﷺ إلى المحصب فكانه ﷺ ضرب دائرة في دخوله وخروجه بات بذى طوى ثم نهض إلى أعلى مكة فدخل منها وفي خروجه خرج من أسفل مكة ثم رجع إلى المحصب..... قال ابن المواز : كداء التي دخل منها النبي ﷺ هي العقبة الصغرى التي بأعلى مكة وهي التي تهبط منها إلى الأبطح والمقبرة منها عن يسارك وكدى التي خرج منها هي العقبة الوسطى التي بأسفل مكة معجم البلدان ج ٧ ص ٢٢١

(٢) الليط موضع أسفل مكة معجم البلدان ج ٧ ص ٣٤٦

(٣) أذاخر بالفتح والخاء المعجمة المكسورة معجم البلدان ج ١ ص ١٥٩

(٤) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٩٨

(٥) الأحابيش هم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحرث بن عبد مناف بن كنانة وبنو المصطلق بن خزيمة وقيل لهم ذلك لأنهم تحالفوا تحت جبل بأسفل مكة يقال له حبش هم وقريش على من عاداهم ماسجاً ليل ووضح نهار وما رسا حبش فسموا أحابيش قريش - السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨

(٦) الخدمة موضع بمكة قريباً من شعب أبي طالب - البلاذري ص ٥٥ وأما ياقوت فقال الخدمة بفتح أوله جبل بمكة - معجم البلدان ج ٣ ص ٤٧٠

ويصدوهم عن الدخول . وأراد الله أن يكون لخالد - وهو أول من أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدخول - ^(١) في هذا اليوم المشهود جولة وأن يشهر سيفه ليزحزح الأولى يريدون منع المسلمين من دخول البيت الحرام فاشتبك معهم في قتال انجلي عن قتل ١٣ من المشركين وثلاثة من المسلمين ^(٢) . ولم يحدث في هذا اليوم المشهود قتال سوى هذه المناوشة التي أعقبها انهزام المشركين ودخول المسلمين المسجد الحرام محلين رؤسهم ومقصرين ؛ فكان ذلك تحقيقاً لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ذكرها القرآن الكريم بقوله : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين محلين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً »

وكان دخول المسلمين مكة في يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان من سنة ثمان ^(٣)

ظن أولئك القوم أنهم بما جمعوا من بكر والحارث والأحاشيش ^(٤) يقفون في وجه المسلمين ويصدونهم عن دخول مكة ولم يدروا أن سيف

(١) البلاذري ص ٤٦

(٢) وهم : كرز بن جابر أحد بني محارب ، وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بني منقذ وسلمة بن الميلاء من جهينة والأولان كانا في خيل خالد فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا والآخر أصيب من خيل خالد ، سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧١ ، الطبري ج ٣ ص ١١٨ وابن سعد في طبقاته قال : ان قتل المشركين كانوا أربعة وعشرين من قریش وأربعة من هذيل ج ٢ ص ٩٨ ومثله في أبي الفداء ج ١ ص ١٤٤

(٣) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٩٩ ، الطبري ج ٣ ص ١٢٥

(٤) الطبري ج ٣ ص ١١٧

الله امير على ميمنة الجيش الفاتح ، وأنه أمر أن يتقدم فيكون أول من يدخل وان/الرسول صلى الله عليه وسلم قد أذن له في قتال من يتصداه ولسوء حظهم كانوا من نصيبه فأراهم أن ذا العزمات الماضية الذي عرفوه بالأمس شديداً قاسياً على المسلمين هو اليوم أشد وأقسى على الشرك والمشركين .

هذا ولا يسعنا أن نمر بفتح مكة من غير أن تدبره علنا نجد ميزة لاختيار خالد للقيادة في هذا اليوم العظيم .

ذلك أن هذا اليوم المشهود كان ينتظره رسول الله صلى الله عليه وسلم بفارغ الصبر لأن لأهل مكة الزعامة الدينية على سائر العرب وكل العرب تبع لهم في ذلك فاذا أذعن أهلها ومحيت منها عبادة الأوثان والأصنام فقد أذغت كل العرب وأعطت بيدها صاغرة وليس أحب إلى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يرى الكعبة يذكر فيها اسم الله خالصاً ويعبد فيها وحده وتمحى منها الأصنام والأنداد ورسول الله أعلم الناس بنفسية قريش ومقدار كرههم لهذا الدين وللداعي إليه ؛ فهم لا تطيب نفوسهم لرؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم داخل مكة مستولياً عليها . وهم يعرفون أنه متى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فقد دالت دولتهم وانتهى عزهم ومحيت عظمتهم وقضى على أوثانهم ومعبوداتهم . كل هذا وأكثر منه يعرفه الرسول وتعرفه أهل مكة فالمعقول إذن أن يختار الرسول صلى الله عليه وسلم لامرأة جيشه في هذا اليوم أكفأ قواده الذين خرجتهم الحروب وعركتهم الحوادث ولهم سابق خبرة ودراية بقيادة الجيوش وتسييرها والاشراف عليها وإذا كنا نعلم أن جيش الفتح هذا

فيه كل قواد المسلمين وكثير من زعماء العرب فانه يمكننا أن نقول : ان اختيار خالد للقيادة في مثل هذا اليوم المشهود ليس لأنه يصلح للقيادة وكفى بل لأنه قائد ممتاز قدره الرسول صلى الله عليه وسلم وعرف له فوقه في القيادة . وإذا نحن عرفنا أنه كان تحت إمرته قراب ثلث الجيش^(١) وأن هذا الفريق كان خليطاً من قبائل العرب المتبدين المتنافرين الذين لم يهذبهم دين ولم يألوا النظام أمكن بسهولة أن ندرك السر في اختيار خالد لقيادة تلك الفرقة المختلطة

فليس اختياره إذن لمثل هذا اليوم ولقيادة تلك الفرقة المتباينة عفواً بل لأنه الجدير بذلك ولا يحسن أن يسوس هذه الجموع أحداً ما ساسها خالد

هذا وقد أكثر الشعراء من المسلمين والمشرّكين من القول في هذا اليوم . فمن ذلك قول حماس بن قيس أخو بني بكر وكان ممن تصدى لقتال خالد فلما هزمهم فر إلى بيته وقال لامرأته أغلقى على بابي فقالت له في ذلك فقال :^(٢)

إنك لو شهدت يوم الخندمه إذ فر صفوان وفر عكرمه
وأبو يزيد قائم كالمؤتمه واستقبلتهم بالسيوف المسله
يقطعن كل ساعد وجمجمه ضربا فلا يسمع إلا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه لم تنطق في اللوم أدنى كلمه

(١) فقد كان تحت امرته بنو سليم في سبعمائة وقيل ألف وأسلم في أربعمائة ومزينة في ألف وثلاث نفر وبني غفار في أربعمائة وجهينة في ثمانمائة وقيل ألف وأربعمائة، سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧١ ، ٢٧٩ ، الطبري ج ٣ ص ١١٨ ، ١٢٢٠ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٩ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٢ ، الطبري ج ٣ ص ١١٩

يعد فتح مكة أول يوم طهرت فيه الكعبة من عبادة الأوثان والأصنام
وإذا اجتث الأصل وجرثومة الشرك لم يبق إلا مظاهر ومعابد في المرتبة
الثانية وقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم في إزالتها ومحوها ليكون
الدين كله لله لا شريك له فما أن استراح قليلاً بعد الفتح حتى عزم على :

هدم العزى

لم يمض على فتح مكة خمسة أيام حتى أرسل النبي صلى الله عليه وسلم
خالد بن الوليد في ثلاثين فارساً من المسلمين إلى بطن نخلة حيث هيكل
العزى فسار إليها خالد وهدمها لخمس ليال بقين من رمضان وكانت أكبر
صنم لقريش تعظمه كنانة ومضر كلها وكان سدتها بنو شيبان من بني سليم
حلفاء بني هاشم ^(١)

على أن هدم العزى وإن بدا أمراً هيناً ولا خطورة فيه لكن لا يعزب
عنا أنها كانت أكبر أصنام قريش وتعظمه كنانة ومضر كلها ومن جهة
أخرى هي أول صنم أراد الرسول البداء بهدمه — بعد ما كسر ما في
داخل الكعبة — فاذا هدم هذا وأذن معظموه — وهم من ذكرنا —
فغيره مما ليست له هذه الميزة وتلك المنزلة أيسر وأهون

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم خبيراً بتلك الحقيقة النفسية
وهي : أن هدم العزى كان بعد الفتح بخمسة أيام فقط والنفوس محتاجة
مضطربة ساكنة على مطوية حقد وغيظ فليس بعيداً إن أمكنت فرصة
لأولئك الموتورين أن يشفوا صدورهم وغيظهم فكانت الحكمة وبعد

(١) مغازى الواقدي ص ٧ ، طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٩٩ ، الطبري ج ٣ ص ١٢٣

النظر أن يختار الرسول لهدمها — بصفة خاصة — من قواده أشدهم بأساً واصلهم عوداً في ذات الله فاختيار خالد يوضح لنا ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم فيه لامن الوجهة الحربية فقط ولكن من الوجهة الدينية أيضاً

خالد في بني جذيمة^(١)

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بالذي يقعد به الفرح بفتح مكة والفوز على أولئك القوم الذين آذوه وأخرجوه من بلده فيتوانى عن مهمته الشاقة الجليلة مهمة هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور . وكيف يتوانى أو يخلد للراحة وفتح مكة قد أتاح له فرصاً ذات بال لنشر دين الله وهداية عباده ؛ لأن قريشاً — وهي قدوة العرب والعدو اللدود له وللدین — قد خمد نفسها وأذغنت للاسلام فصار الأمل في إجابة غيرها من قبائل العرب عظيماً .

لم يترك الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الفرصة التي أعقبت الفتح تمر من غير أن يغتنمها ويستفيد منها ؛ فأرسل سراياه فيما حول مكة مبشرين وداعين إلى الله .

كان من أولئك الرسل خالد بن الوليد فانه بعد أن هدم العزى أرسله النبي صلى الله عليه وسلم — وهو مقيم بمكة بعد الفتح — إلى بني جذيمة

(١) (جذيمة) « بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة بعدها ياء آخر الحروف ساكنة » شرح العيني على البخارى ج ١٧ ص ١١٣ ومثله في فتح البارى على البخارى ج ٨ ص ٤٢ وهم من كنانة وكانوا بأسفل مكة على ليلة ناحية يلم — طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٠٦ فتح البارى ج ٨ ص ٤٢ وينسبون إلى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة — سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٨٤ ، الطبرى ج ٣ ص ١٢٣ ، فتح البارى شرح البخارى ج ٨ ص ٤٢

في ثلاثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار وبني سليم وغيرهم^(١)
 سار خالد في شوال قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى غزوة
 حنين^(٢) حتى نزل الغميصاء^(٣) وانتهى إلى بني جذيمة فقال لهم: ضعوا
 السلاح فإن الناس قد أسلموا فوضعوه فقال لهم استاثروا فاستاثروا ثم
 أمرهم فكتفوا وعرضهم على السيف فقتل منهم من قتل.

انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع يديه إلى السماء
 وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد». ثم دعا على بن أبي
 طالب كرم الله وجهه وأعطاه مالا وقال له اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر
 في أمرهم فجاءهم على فودي الدماء وما أصيب من الأموال حتى إنه ليدى
 ميلغة الكلب وبقيت معه بقية من المال أعطاهم لهم تطيباً لنفوسهم واحتياطاً
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يعلم ولا يعلمون. وقد استحسن صلى
 الله عليه وسلم عمل على هذا وصوبه وسر به.

وإذا كانت هذه الحادثة لها أهمية خاصة بالنسبة لخالد إذ قد عيبت عليه

(١) الواقدي في مغازيه ذكر أنه كان مع خالد ٧٠٠ فارس من بني سليم وليس
 معه من الأنصار رجل غير أبي قتادة بن أنس - ص ٤١٥ وأبو قتادة هذا هو الذي
 ترك خالدًا حينما قتل مالك بن نويرة وذهب إلى المدينة فأبلغ الأمر إلى أبي بكر
 رضى الله تعالى عنه.

(٢) هذا البعث كان عقب فتح مكة في شوال قبل الخروج إلى حنين عند جميع
 أهل المغازي - فتح الباري شرح البخاري ج ٨ ص ٤٢، شرح العيني للبخاري ج ١٧
 ص ٣١٣

(٣) الغميصاء ماء من مياه بني جذيمة - الطبري ج ٣ ص ١٢٣

واعتبرت سيئة في تاريخه المجيد فيحسن بنا أن ندلى برأينا فيها علنا نوفق إلى شيء من الصواب أو ما يقاربه . والفصل في هذه الحادثة يتطلب أن نعرض أمامنا هذه الأسئلة ونجيب عنها إجابات صريحة وهي : —

١ — هل قاتل خالد قوماً كافرين أو كان بنو جذيمة مسلمين عند قدومه عليهم ؟

٢ — هل كان غير مصيب في قتلهم ؟

٣ — إذا كان مخطئاً فهل قتلهم للتشفي وثرارات الجاهلية أو كان متأولاً ؟

٤ — إذا كان له عذر في قتلهم فما هو ذلك العذر ؟

أما عن السؤال الأول فإن القوم لو كانوا كفاراً لما كان هناك ما يبرر تلك الضجة التي أثرت حول قتلهم ولما كان هناك معنى للشادة التي حصلت بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف واتهامه خالداً بأنه قتلهم ثأراً لعمه الفاكه بن المغيرة ^(١) ولما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم علياً فودى قتلهم إذ لو كانوا كفاراً حقيقة لما كان هناك معنى لدفع ديتهم ولما كان قتلهم غير محذور ولا يآثم فاعله . وكثير من المؤرخين الموثوق بروايتهم صرحوا بإسلامهم ونخص بالذكر من بينهم الواقدي واليعقوبي وابن سعد — لأنهم أقدم المصادر التي بين أيدينا — فيقول الواقدي في مغازيه : ^(٢)

« ثم مضى خالد بن الوليد إلى حى من كنانة بالأبرق يقال له بنو جذيمة فوجدهم يصلون صلاة الغداة فغشيهم خالد . فقال ما أتم قالوا نحن مسلمون نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً

(١) انظر تفصيل ذلك في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٨٤ ، الطبرى ج ٣ ص ١٢٣

(٢) ص ٤١٥

عنده ورسوله قال فمتى أسلتم إن كنتم صادقين قالوا الليلة حين بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كف يده عن ألقى السلاح وقال لا إله إلا الله فقلناها وصلينا »

ويقول كاتبه ابن سعد في طبقاته : « فأنتهى إليهم خالد فقال ما أتم قالوا مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحاتنا وأذنا فيها » (١)

ويقول اليعقوبي : « فقال لهم خالد ضعوا السلاح فقالوا إنا لا نأخذ السلاح على الله ولا على رسوله ونحن مسلمون فانظر ما بعثك رسول الله له فإن كان بعثك مصداقاً فهذه إبلنا وغنمنا فاعد عليها » (٢)

إذن فالقوم مسلمون :

وعن السؤال الثاني نقول : إن ابن سعد (٣) روى لنا أن المهاجرين والأَنْصار أرسلوا أسراهم وهذا معناه أنهم لم يروا ما يبرر قتلهم ولو كان القتل صواباً للبوا إليه سراغاً ولما أرسلوا أسراهم وعرضوا أنفسهم لمخالفة أميرهم خصوصاً وأن فيهم الكثير من جلة الصحابة وفضلائهم كابن عمر وعبد الرحمن بن عوف .

وما لنا نميل يمنية ويسرة والنبي صلى الله عليه وسلم قد حكم الحكم الذي لا يحتمل النقص ولا الجدل بقوله : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد »

(١) ج ٢ ص ١٠٦

(٢) اليعقوبي ج ٢ ص ٦٣

(٣) ونص عبارته : فأما بنو سليم فقتلوا من كان بأيديهم وأما المهاجرون والأَنْصار فأرسلوا أسراهم » ج ٢ ص ١٠٧ ويرشح هذه الرواية ما سنده بعد من رواية البخاري عن ابن عمر

فهذا صريح في أن خالداً فعل ما لا يرضى النبي صلى الله عليه وسلم حتى تبرأ من فعله . وبعبارة أخرى كان خالد غير مصيب في قتلهم . وقد صرح بذلك في الاستيعاب حيث يقول : « ... فقتل منهم ناساً لم يكن قتله لهم صواباً فوداهم الرسول صلى الله عليه وسلم ... » ^(١)

وعن الثالث نقول : إن خالداً لم يقتل بني جذيمة لمحض التشفي وثارات الجاهلية وإلا لاقتص منه النبي صلى الله عليه وسلم وقاده حتماً وبلا هوادة لكنه لم يفعل واكتفى بالتبرؤ من فعله . ولو لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قد ارتأى أنه متأول لما تساهل في قتله قصاصاً بله أن يبقيه أميراً ويؤليه ثقته ويجعله على مقدمة جيشه حين خرج إلى حنين وما بعدها . وإرسال النبي صلى الله عليه وسلم علياً ليدى القتل والأموال دليل الخطأ لا العمد والقصد . وهذه أدلة شرعية وعقلية صحيحة فلا يعارضها ما روى من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي حين أرسله : « واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » ^(٢) الأمر الذي يشعر بأن خالداً قتلهم لما كان بينه وبينهم من ثارات في الجاهلية لأن هذه الرواية لا ترتفع إلى مستوى الدليل العقلي القاطع إلا إذا تبين صحتها وصدورها من النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما لم يقم عليه دليل بعد . ورواية البخاري ومعظم أهل الحديث — وهم الذين توافروا وعنوا أشد العناية بنقل ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم — لم تشر إلى صدور هذا القول منه صلى الله عليه وسلم كما لم يذكرها معظم

(١) الاستيعاب جزء ١ ص ١٥٧

(٢) سيرة ابن هشام جزء ٢ ص ٢٨٤ ، الطبري جزء ٣ ص ١٢٤ ويلاحظ أن

هذين المؤرخين قد رويا هذا القول عن راو واحد هو ابن اسحاق

المؤرخين وهذا مما يجعلنا نشك كثيراً في صحتها وغاية ما تفيده هذه الرواية بعد هذا هو الظن المرجوح والظن وإن كان راجحاً لا يعدل الدليل العقلي القاطع بله أن يكون مرجوحاً.

الفصل في أمر بني جذيمة

في ضوء هذه الاجابات يمكن ان نستخلص رأياً في هذه الحادثة وهو: أن القوم مسلمون وأن خالد لم يكن مصيباً في قتلهم. وأن خطأه لم يكن بقصد التشفي والثأر ولكنه متأول وله شيء من العذر. بقي علينا أن نجيب عن السؤال الرابع لنعرف ما عذره وعلى أي أساس قتلهم؟

اعتذر بعض المؤرخين عن خالد فيما فعل. ومن ذلك ما ذكره بن هشام والطبري عن ابن اسحاق^(١) من أن خالدًا اعتذر عن نفسه بقوله: ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي وقال: إن رسول الله قد أمرك أن تقتلهم لا تمتنعهم عن الاسلام، ويظهر لنا أن هذه الرواية لا يعتمد عليها إذ لو كانت صحيحة لما كان هناك وجه للطعن على خالد بل كان اللوم كله على عبد الله بن حذافة ولما ترك الرسول صلى الله عليه وسلم ابن حذافة يفر من العقاب لافتراءه الكذب عليه وتسببه في قتل قوم مسلمين ونحن نجل ابن حذافة أو أي صحابي آخر ليس في منزلته^(٢) عن أن يفترى على رسول الله الكذب ويتقول عليه. هذا فضلاً عن

(١) سيرة ابن هشام جزء ٢ ص ٢٨٤. الطبري جزء ٣ ص ١٢٤

(٢) راجع منزلة ابن حذافة في كتب الطبقات

أنها تصرح بكفرهم وامتناعهم عن الاسلام وقد أثبتنا فيما سبق إسلامهم عن طريق العقل والنقل

ولعل أصرح رواية واصحها في الاعتذار عن خالد هي رواية البخاري عن ابن عمر إذ يقول : « بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الاسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلنا فجعلوا يقولون صباناً صباناً ^(١) فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل منا أسيره فقلت والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره حتى قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم فدكرناه فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يده فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد مرتين » ^(٢)

وقد علق شراح الحديث على ذلك بما يوضح عذر خالد فيقول البدر العيني. ^(٣) « صباناً من صبا إذا خرج من دين إلى دين وقريش كانوا يقولون لكل من أسلم صبا فمن ذلك فهم ابن عمر أنهم أرادوا الاسلام حقيقة وأما خالد فإنه لم يكتب بذلك حتى يصرحوا بالاسلام . وقال الخطابي : يحتمل أن يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الاسلام لأنه فهم عنهم أن ذلك وقع منهم على سبيل الأنفة ولم ينقادوا إلى الدين فقتلهم متأولاً وإنما نقم رسول الله صلى الله عليه وسلم على خالد موضع العجلة وترك التثبت »

وقد اعتذر ابن تيمية في كتابه منهاج السنة ^(٤) عن خالد بما يقرب

(١) وذكر مثله ابن هشام في سيرته جزء ٣ ص ٢٨٤ نقلا عن أبي عمرو المدني

(٢) البخاري بشرح العيني جزء ١٧ ص ٣١٣

(٣) وذكر مثل ذلك في فتح الباري جزء ٨ ص ٤٢

(٤) جزء ٢ ص ٢٢٩

مما قاله العيني وابن حجر وغيرهما بقوله : « فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا صباءنا صباءنا فلم يقبل ذلك منهم وقال : إن هذا ليس باسلام فقتلهم ولم يكن خالد معاندا للنبي صلى الله عليه وسلم بل كان مطيعا له ولكن لم يكن في الفقه والدين بمنزلة غيره فخفى عليه حكم هذه القضية فان خالد لم يتعمد خيانة النبي صلى الله عليه وسلم ولا مخالفة أمره ولا قتل من هو مسلم معصوم عنده ولكنه أخطأ كما أخطأ أسامة ابن زيد في الذي قتله بعد أن قال لا إله الا الله وقتل السرية لصاحب الغنيمة الذي قال : أنا مسلم » ^(١)

والعيني وابن تيمية ومن اليهم ممن تعرض لشرح حديث البخاري أئمة يعتد برأيهم في مثل هذه الحادثة واعتذارهم عن خالد واضح صريح في أن له بعض العذر وأن ما فعله كان خطأ منه ولم يكن تشفيا لثأر ولا تعمدا لقتل مسلم معصوم

وسواء أكان الأمر الذي أهاج خالداً هو عدوهم عن التصريح بالاسلام أم ظنه أن ذلك أنفة منهم فان له نوع من العذر لأن كلا من الأمرين يهيج مثل خالد الشديد في ذات الله والذي تربى تربية عسكرية من شأنها أن تجعل صاحبها يميل إلى البطش والشدة وهو فوق ذلك يجهل أنه غير مصيب في قتلهم فمثل ذلك الرجل لا يعرف للحق إلا طريقاً واحداً ولا يرضيه إلا الحق الصراح خصوصاً وأن القوم حين رأوه أخذوا السلاح فكان هذا من دواعي سوء الظن بهم وإن كنا نرى أيضاً

(١) راجع الطبري جزء ٣ ص ٩٩، ١٠٧ ففيه بيان الحادثتين : حادثة أسامة وحادثة السرية

أن تحمسه للدين الذي يترتب عليه مثل هذا الصنيع أكثر مما يجب ولكن
 شأن الشهم الشجاع ألا يداهن فاما صبح أبلج وإما ضرب الرقاب
 وصفوة البحث أن خالداً أخطأ متأولاً لا عن قصد وتعمد . وليس
 أدل على أن ما فعله ليس إلا عن اجتهاد وتأويل من أنه ما زال حائزاً ثقة
 النبي صلى الله عليه وسلم متمتعاً برضاه : ولذا فانا نراه عقب هذه السرية
 على مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في : —

غزوة هوازن^(١)

فقد سار رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت لست
 ليال خلون من شوال سنة ثمان إلى هوازن بجيش الفتح وانضم إليه من
 أهل مكة قراب ألفين حباً في الغنيمة أو للعصية القرشية وذلك عند ما بلغه
 أنها قد أجمعت على حربه وأنها خرجت بجدها وجدها لقتاله فكان خالد
 على مقدمة الجيش في مائة فرس^(٢) هي خيل بني سليم — وكان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قد قدم سليماً من يوم خرج من مكة واستعمل عليهم
 خالد بن الوليد فلم يزل على مقدمته حتى ورد الجعرانة^(٣) — وانتهى
 النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من
 شوال^(٤).

(١) هوازن قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون ينسبون إلى هوازن بن منصور
 ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن إلياس بن مضر - العيني على البخارى جزء
 ١٧ ص ٢٩٦

(٢) السيرة الحلبية جزء ٣ ص ١٦٣ ، ١٦٥

(٣) الجعرانة ماء بين الطائف ومكة وإلى مكة أقرب — معجم البلدان جزء ٣

ص ١٠٩

(٤) طبقات ابن سعد جزء ٢ ص ١٠٨

و بينما جيش المسلمين ينساب في وادي حنين^(١) في عماية الصبح معتزاً بقوته ومغترأً بكثرته إذ استقبلتهم هوازن وساوروهم ورشقوهم بالنبل وأصلتوا السيوف وحملوا حملة رجل واحد وطلع عليهم كمينها فارتبك المسلمون وزلزلوا زلزالاً شديداً وكانوا كما قال الله تعالى : « يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » وانكشفت خيل بني سليم^(٢) وتبعهم أهل مكة والناس فهامت إبل المسلمين لا تلوى على شيء ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا نفر يسير من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ثم فاءت إليه فئة واجتلدوا لعدوهم وأخلصوا الله في قتالهم وتراموا على الموت دفاعاً عن نبيهم ودينهم » فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » وحقت الهزيمة على هوازن .

بعد هذا نريد أن نعرف هل كان خالد بن المدبرين الفارين أو أنه كان من نفر القلائل الذين بقوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وإذا كان من الفارين فهل رجع مسرعاً وكان له أثر في المعركة أو مضى في هزيمته ولم يرجع إلا وأسرى هوازن تحت سيوف المسلمين ؟

لم نر في كتب التاريخ التي اطلعنا عليها ما يثبت أن خالداً كان من نفر الذين بقوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقوه . ومن الطبيعي أن ينهزم من في مثل موقفه مع المهزمين إذ أنه أمير على خيل بني سليم وهي مقدمة

(١) وادي حنين بين مكة والطائف وبينه وبين مكة ثلاث ليال أو مقدار بضعة عشر ميلاً بجانب ذي المجاز — العيني على البخاري ج ١٧ ص ٢٩٤ ومعجم البلدان جزء ٣ ص ٣٥٤ ، طبقات ابن سعد جزء ٢ ص ١٠٨ ، الطبري ج ٣ ص ١٢٥

(٢) طبقات ابن سعد جزء ٢ ص ١٠٩

الجيش وهي التي انهزمت أولا فتبعها الناس ولا تثريب عليه في ذلك
فمثل هذا الانهزام قد يساق فيه بعض الشجعان البواسل سوقا ولا كنهم
لا يتمون على هزيمتهم متى أمكنتهم فرصة وهو ما نراه في مثل موقف خالد
وكثير من أجلاء الصحابة ؛ فكان الواحد منهم حينما يسمع النداء ^(١)
ولا يمكنه أن يوجه بعيره نحو الصوت - لشدة الزحام من الهزيمة -
يتقلد سيفه وينزل عن بعيره فيؤم الصوت . والثابت أن خالد لم يعض
في هزيمة بل رجع من قريب وكان في الموقعة حين حمى وطيسها وكأنه
أراد أن يتدارك ما فاتته حين أكره على أن ينساق مع بني سليم في هزيمتهم
فأبلى البلاء الحسن ولم ينبج من سيفه حتى النساء فقد قتل فيمن قتل امرأة
فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم من ينهاه عن قتل النساء والأطفال
وما زال يحول في المعركة ويطعن في نحر عدوه حتى أثبتته الجراحات
البليغة التي كانت داعية لعطف النبي صلى الله عليه وسلم وسؤاله عن
رحله لعيادته ^(٢)

خالد في غزوة الطائف ^(٣)

لم تمنع خالدًا جراحاته من أن يكون على مقدمة الجيش عندما سار
النبي صلى الله عليه وسلم للطائف لحرب ثقيف وفل هو ازن .

(١) فلما رأى (يعني الرسول ﷺ) الناس لا يلبون على شيء قال
يا عباس اصرخ : يا معشر الأنصار فيذهب الرجل منهم يريد لثني بعيره فلا يقدر
على ذلك فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ثم يقتحم عن بعيره فيخلى
سبيله في الناس ثم يؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ الطبري

جزء ٣ ص ١٢٨

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٦١

(٣) الطائف بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخا ذات مزارع ونخل وأعناب وفيها =

سار خالد على مقدمة الجيش في مائة فارس ^(١) من بني سليم — وهم الذين خرج بهم من مكة — حتى عسكر قريباً من حصنهم وحاصرهم المسلمون ثمانية عشر يوماً كان خالد ينادي في أثنائها هل من مبارز فلا يجيبه أحد وأخيراً ناداه عبد ياليل عظيم ثقيف قائلاً: « لا ينزل إليك منا أحد ولكن نقيم في حصننا فان فيه من الطعام ما يكفينا سنين ... » ^(٢)

أذن النبي صلى الله عليه وسلم بالرحيل راجعاً إلى الجعرانة حيث غنائم هوازن وعندما انتهى من قسمتها قال رجل من المنافقين ^(٣): « ما أريد بهذه القسمة وجه الله » فقال عمر: ألا نقتله. وقال خالد ألا أضرب عنقه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « لا، لعله يصلي ».

واستئذنان خالد في أن يضرب عنق هذا المنافق وإن بدا أمراً صغيراً لكنه يصور لنا مقدار حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده عليه وتفانيه في إجلاله وإعظامه، كما يكشف عن شدته في دينه وعدم هوادته

= الأودية والمياه الجارية. طيبة الهواء وهي من أحسن المصايف وهي مصيف مكة قال الشاعر:

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

ياقوت ج ١ ص ١١

وقال العيني في شرحه للبخاري: الطائف بلد كبير مشهور كثير الأعتاب والنخيل

على ثلاثة مراحل أو اثنتين من مكة من جهة المشرق — ج ١٧ ص ٣٠٢

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٦٣

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٦٥

(٣) قيل اسمه معتب، وقيل هو ذو الخويصرة التميمي — السيرة الحلبية ج ٣ ص

الكل من تحدّثه نفسه أو يبدو منه ميل أو انحراف عن الجادة ^(١) وليس
جزاء من يصم النبي صلى الله عليه وسلم بقبيح أو يشك في عدله ونزاهته
إلا أن يضرب عنقه .

إرسال خالد إلى بني المصطلق ^(٢) ٩٧

بعث النبي صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني
المصطلق مصدقا في أوائل السنة التاسعة بعد إسلامهم بعامين ^(٣) ولما
بلغهم بعثه إليهم خرجوا للقاءه كرامة لقدومه فهابهم وتوهم أنهم خرجوا
لقتاله - وكان بينهم وبينه شحنة في الجاهلية - فرجع إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام ^(٤)

بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت
ولا يعجل وأن يرمقهم عند الصلاة فإن كانوا قد تركوها فشانه بهم، فانطلق
حتى أتاهم ليلا فبعث عيونه فلما جاءوه أخبروه بأنهم متمسكون بالإسلام
وسمعوا أذانهم وصلاتهم فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يعجبه فرجع
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ^(٥) فنزل قوله تعالى : « يا أيها

(١) في البخاري حادثة تشبه هذه عند ما أرسل على كرم الله وجهه مالا من اليمن
فقال رجل ما قال فقام إليه خالد مستأذنا في قتله - البخاري بشرح العيني ج ١٨ ص ٧

(٢) بنو المصطلق بطن من خزاعة وهم بنو جذيمة، وجذيمة هو المصطلق من الصلق
وهو رفع الصوت - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٦٤

(٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٧١

(٤) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٧١، ٤٨٨ تفسير الطبري ج ٢٦ ص ٧٩، تفسير

ابن كثير ج ٨ ص ١١ - ١٢ تفسير البغوي ج ٨ ص ١٠ طبع المنار

(٥) الأغاني ج ٥ ص ١٤١ طبع دار الكتب

الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » فكان نبي الله يقول : التبين من الله والعجلة من الشيطان ^(١) .

وهذه الحادثة يتصل بها أمور ، منها : —

١ — ان المؤرخين وكذا المفسرين عند قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ » اختلفوا فيما بينهم فيما كان بعد أن رجع الوليد بن عقبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بأنهم ارتدوا وهموا بقتله فمنهم من قال : إنه عقب رجوع الوليد هم النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم ، وأكثر المسلمون ذكر غزوهم وفيما هم كذلك قدم وفدهم فأخبر أنهم خرجوا ليكرموا الوليد فقبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ^(٢) .

ومنها من قال : ان النبي صلى الله عليه وسلم أرسل خالدا وأوصاه وكان منه ما بينا آنفا . وهذا القول هو ما نميل إليه ونرجحه .

١ — لأن الذي تلوح به الآية الكريمة وهي قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة... » ينطبق على القول الثاني من إرسال خالد ووصية النبي صلى الله عليه وسلم له بأن يتثبت ويتبين وليس فيها ما يشير إلى القول الأول من الهم بقتالهم والاكتثار من ذكر غزوهم ومن المحقق أن هذه الآية نزلت في الوليد ابن عقبة بن أبي معيط . قال ابن برهان الدين : « قال ابن عبد البر رحمه

(١) تفسير الطبري ج ٢٦ ص ٧٩

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٧١ ، تفسير ابن كثير ج ٨ ص ١١-١٢ طبع المنار

تفسير البغوي ج ٨ ص ١٠

الله : لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله : إن جاءكم فاسق بنبأ نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق لأخذ صدقاتهم »^(١)

ب - ولأن كثير من رواة الأدب الموثوق بهم كصاحب الأغاني^(٢) لم يتعرض للقول الأول واكتفى بإيراد القول الثاني وما كان من إرسال خالد وتحريه لمعرفة الحقيقة في أمر هؤلاء القوم .

٢ - إن اختيار خالد للسير الى هؤلاء القوم ووصيته بالتثبت لا يخلو من حكمة فان موقف النبي صلى الله عليه وسلم بازاء هؤلاء القوم بعد الذي بلغه عنهم يتطلب أن يكون من يرسله إليهم حازما مفكرا بعيد النظر واسع الحيلة يستطيع الكشف عن حقيقة القوم وأن يكون قائدا ماهرا إذا احتاج الأمر للقتال . وخالد خير من تتوفر فيه هذه الأمور ووصية النبي صلى الله عليه وسلم له بأن يتثبت ولا يعجل هو ما يقتضيه الحزم ولو ثبت أن الآية الكريمة نزلت قبل مسير خالد لكانت هذه الوصية أيضا امتثالا لأمر الله تعالى ولا يبعد أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم خشي أن يتعجل خالد في أمرهم وأن يأخذهم بالظنة خصوصا وهم من بني جذيمة ، وله معهم سابقة فكان الحزم تلك الوصية .

(١) الأغاني ج ٥ ص ١٤١ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٧١ ، تفسير ابن كثير

وتفسير البغوى في الصفحات السابقة

(٢) الأغاني ج ٥ ص ١٤١

سرية خالد إلى دومة الجندل (١)

غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم الروم في رجب من السنة التاسعة وفي أثناء مقامه بتبوك أرسل خالدًا في أربعائة وعشرين فارسًا (٢) إلى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل - وهو نصراني من كندة - فوجده يصيد البقر (٣) كما أخبره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن بقر الوحش (٤) ذعر في الوادي الذي كان فيه حينما أخذت سرية خالد وجهها إلى دومة ، فأخذ البقر في طريقه وانتهى إلى دومة فبات يحتمك بحائط بيت أكيدر فقالت له زوجته أمامة: هل رأيت مثل هذا قط؟ فقال لا ، فقالت: من يترك هذا؟ قال لا أحد ، وكانت ليلة صائفة مقمرة فركب في نفر من أهله فيهم أخوه حسان ، خرجوا معه بمطاردهم « فشدت عليه خيل خالد فاستأسر أكيدر وامتنع أخوه حسان وقاتل حتى قتل وهرب من كان معهم فدخل الحصن وأجار خالد أكيدر حتى يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يفتح له دومة الجندل ففعل وصالحه على ألفي بغير وثمانمائة رأس وأربعائة درع وأربعائة رمح فعزل للنبي صلى الله عليه وسلم صفيًا خالصًا ثم قسم الغنيمة فأخرج

(١) حصن قرب جبلى طيء على سبعة مراحل من دمشق بينها وبين المدينة - معجم البلدان ج ٤ ص ١٠٧ أو كما قال ابن سعد في طبقاته « بينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة » ج ٢ ص ١١٩

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١١٩ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٨٦

(٣) الطبري ج ٣ ص ١٤٦

(٤) تاريخ الاسلام لأستاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار ص ٣٥٠

الخمس وكان للنبي صلى الله عليه وسلم ثم قسم ما بقى بين أصحابه فصار لكل رجل منهم خمس فرائض ثم خرج خالد بن الوليد بأكيدر وبأخيه مصاد — وكان في الحصن — وبما صالحه عليه قافلا إلى المدينة فقدم بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهدى له هدية فصالحه على الجزية وحقن دمه ودم أخيه وخلى سبيلهما وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فيه أمانهم وما صالحهم عليه وختمه يومئذ بظفـره^(١) كان على أكيدر قباء من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد وبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه عليه فجعل المسلمون يلبسونه ويتعجبون منه

إرسال خالد إلى نجران^(٢)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر وقيل في جمادى الأولى من سنة عشر^(٣) إلى بني الحارث بن كعب بنجران في أربعائة من المسلمين ، وأمره أن يدعوهم إلى الاسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً فان استجابوا فاقبل منهم وأقم فيهم وعلهم كتاب الله وسنة نبيه ومعالم الاسلام فان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون الناس إلى الاسلام ويقولون:

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١١٩ - ١٢١، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٨٦، ٢٨٧

(٢) بالفتح ثم بالسكون وآخره نون — معجم البلدان ج ٨ ص ٢٥٨

(٣) اقتصر ابن الأثير على الرواية الأولى ولعلها أشهر وأصح

يا أيها الناس أسلموا تسلموا فأسلم الناس ودخلوا فيما دعاهم إليه فاقام خالد
فيهم يعلمهم الاسلام وكتاب الله وسنة نبيه ^(١) ثم كتب خالد الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم كتاباً باسلامهم ^(٢) فكتب إليه يستقدمه مع وفد
منهم فقدم ومعه وفد بلحارث

ومما يحسن ذكره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو وفد بلحارث :
« بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ فقالوا : لنا نجتمع ولا نتفرق
ولا نبداً أحداً بظلم » ^(٣)

هذا وقد اطلعنا في الطبرى على رواية تنص على أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث خالداً إلى اليمين داعياً للاسلام فذهب وأقام هناك
سنة أشهر فلم يجبه أحد ثم أرسل علياً فما أن وصل حتى أجابه الناس
ودخلوا في دين الله أفواجا ^(٤)

ونلاحظ على هذه الرواية أموراً منها : —

١ — إن الطبرى ذكرها في حوادث سنة عشر و ذكر أن إرسال
على كان في رمضان من تلك السنة بعد أن مضى على خالد في اليمين ستة
أشهر ولم يجبه أحد ؛ فيكون إرسال خالد على هذا في ربيع الأول
أو في ربيع الآخر مع أننا سبق أن ذكرنا أن خالداً أرسل في هذا الوقت
نفسه إلى بني الحرث بنجران . وبعث خالد هذا متفق عليه من المؤرخين ؛

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٤٧ ، الطبرى ج ٣ ص ١٥٦

(٢) ونص الكتابين موجود بكتب التاريخ المطولة . يراجع سيرة ابن هشام ج ٢

ص ٣٤٧ الطبرى ج ٣ ص ١٥٦

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٤٧ ، الطبرى ج ٣ ص ١٥٩

(٤) الطبرى ج ٣ ص ١٥٩

فإن كان إرساله إلى نجران هو ما تشير إليه هذه الرواية فقد ظهر ضعفها؛ لأننا سبق أن قررنا أن أهل نجران أسلموا على يد خالد وذهب وفد منهم معه إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وإن كان إرساله إلى نجران حادثة تغاير ما تشير إليه هذه الرواية فقد ظهر ضعفها أيضا؛ إذ لا يقبل عقلا أن يذهب شخص واحد في وقت واحد إلى جهتين مختلفتين فيسلم على يديه إحدى الجهتين ويفد على رأس وفد إلى المدينة في الوقت الذي يقيم فيه في الجهة الأخرى ستة أشهر فلا يجيبه أحد

٢ — إن هذه الرواية لم يرشحها الطبري — على خلاف عادته — برواية أخرى بمعناها حتى تطمئن النفس إليها كما أنه لم يروها عن اعتاد الاكثار من الرواية عنهم كابن اسحق وسيف

٣ — لم نجد في كتب التاريخ التي اطلعنا عليها ما يثبت صحة هذا البعث بل الذي رأيناه في بعضها يثبت بطلان هذه الرواية؛ فقد ذكر ابن هشام^(١) مانصه: «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب إلى اليمن، وبعث خالد بن الوليد في جند آخر وقال: إن التقيتما فالأمير على بن أبي طالب» وذكر مثله في السيرة الحلبية. وهذا يفيد أنهما ذهبا معا أو في وقتين متقاربين لا أن خالداً ذهب فمكث ستة أشهر فلم يجبه أحد فذهب بدلا منه على كرم الله وجهه فأسرع الناس إلى إجابته من هذا يتبين عدم صحة هذه الرواية عقلا ونقلا؛ ولذا فانا لا نتخرج من الجزم بعدم التعويل عليها؛ ومن ثم فقد أغفلنا ذكرها كعمل من أعمال خالد

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٦٥، وراجع أيضا الطبري ج ٣ ص ١٦٧

هذا والناظر إلى تلك الأعمال الجليلة التي عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى خالد القيام بها يتبين له أنه منذ أسلم كان موضع ثقة الرسول يوليه أعنة الخيل ويجعله على مقدمة الجيش؛ وكان كما قال عن نفسه: «لم يعدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم، منذ أسلمت أحداً من أصحابه فيما حز به»؛ فكانت المدة التي قضاهما في الصحبة بين مجاهد بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، أو أمير على سرية يكافح أعداء الإسلام وينشر دين الله، ولم نره منذ أسلم تخلف عن خروجه أو غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم؛ فكان مرافقاً له في كل أسفاره حريصاً على رضاه ولقد كان له بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الأثر الجليل والذكر الخالد في نصرة دين الله وإعلاء كلمته

الباب الثالث

أعمال خالد وفتوحه

في زمن أبي بكر رضى الله عنه
أثره في حروب الردة

(١) طليحة الاسدي (٢) مالك بن نويرة (٣) مسيلمة الكذاب

تمهيد

قبل الكلام على حرب خالد للمرتدين يحسن بنا أن نلم الإمامة خفيفة بحالة العرب حين وفاة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كان الكثير من سكان الجزيرة العربية من أهل البادية والأعراب الرحل الذين لم يتعودوا الخضوع لقانون أو نظام، جفاة لم يهذبهم دين ولم ترق بهم مبادئ اجتماعية، وأسس مدنية. حديثو عهد بكفر. والنفس بطبيعتها تنزع الى قديمها، وتحن إلى ما ألوفها، وتود الرجوع إلى خيمها. والإسلام قد ألزمهم بتكاليف خاصة، وأخذهم باتباع قوانين لا يلائم الكثير منها طباعهم، وما نشأوا عليه فمنعهم من الأخذ بالثأر، وجلدهم على الزنا — وهم فوق ذلك ليست لهم صحبة طويلة بالنبي صلى الله عليه وسلم أو لاصحبه لهم أصلاً؛ فتهذب نفوسهم، وتسمو طباعهم وتصفو من عقائد الشرك ولم يتدبروا الإسلام ويفهموه فتشرب نفوسهم حبه،

وكثير منهم أسلم طوعاً لرؤسائهم لا حباً في الدين، ومعرفة به. حتى لقد أدى بهم جهلهم بالدين أنهم فهموا أن دفع الزكاة ما هو إلا نوع من الأتاوة يلزمون بدفعه، ولم يفقهوا أنها صدقة تؤخذ من ذوى اليسار منهم لترد على أهل الحاجة فيهم، وأنها مبدأ تعاوني، ومن أهم المبادئ التي ترقى المدينة وتأخذ بيد المجتمع

فما أن سمعوا بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى ظنوها فرصة للتخلص من ذلك الدين. وتلك التكاليف؛ فأصبحوا بين مانع للزكاة، وتارك للدين أو متبع لأفراد متنبئين — رجاء أن يكون لهم مالنبي قريش — وأعلنوا تمردهم على الدين القويم وعصيانهم لأوامره؛ فاضطربت جزيرة العرب واختلط الحابل بالنابل، وكفرت الأرض وتصرمت «ونجم النفاق واشراأت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم وقتلهم، وكثرة عدوهم» ^(١) وبالجملة فإن جزيرة العرب أصبحت كالبركان الثائر: هياج واضطراب، وردة وإلحاد، وزيف عن الدين القويم، والصراط المستقيم. ولم ينبج من هذه الفتنة الحالكة إلا أهل مكة والمدينة والطائف، وقليل غيرهم من أهل البادية والأعراب.

تلك هي حال العرب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي حال تتطلب لتهديتها وتسكينها إرادة صارمة، وعزيمة ماضية، وثقة بنصر الله، وتأيده لأهل دينه.

كانت هذه الصفات مكتملة تتوفر في الخليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر رضي الله تعالى عنه [فقد برهن بموقفه إزاء المرتدين كما برهن عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم — وقد ذهل جميع الصحابة ونفى بعض فضلائهم « كعمر رضي الله عنه ^(١) » أن يكون محمد قد مات — أنه رجل الساعة، وأنه جدير بالاضطلاع بأعباء الخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل الوقت الذي تولاهما فيه .

لم تكن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا وقعها الأليم على نفسه وعلى المسلمين ولا ما يرد كل يوم من أخبار العرب وارتدادهم بمانع أبا بكر من تنفيذ الخطة التي رسمها ولا موهن لعزيمته ، أو مضعف من ثقته بنصر الله . فبين هذه الفتن والأنباء المخدلة قام بانفاذ جيش أسامة — وكان قد توقف عن السفر حين مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم — رغم معارضة بعض كبار الصحابة في تسييره أو على الأقل استبدال آخر بأسامة أسن منه إن كان لابد من سيره . ولقد تبين بعد أن ذلك من توفيق الله لأبي بكر : فقد وهنت نفوس العرب ، وكفوا عن كثير مما اعتزموا عليه لم يفت أبو بكر أن يكون بعض المرتدين أراد غزو المدينة ، أو قصدها بسوء ، فأخذ الحيلة لنفسه وحذر ، فجعل كل ما فيها من رجال على استعداد للطوارئ ، ولقد كان لهذا الاستعداد أثر محمود ، فقد تم من عبس وذبيان وغيرهما ممن أراد المدينة بسوء ، وحين رجع جيش أسامة واستراح قليلا عقد الألوية ، وسير الجيوش لأخضاع العرب وإرجاعهم إلى الجادة

عقد أحد عشر لواء لأحد عشر قائداً، وعين لكل قائد الجهة التي يقصدها، والقوم الذين يلي قتالهم، وكتب لهم عهداً صورته واحدة، وفصلت الأمراء بجيوشها من ذى القصة^(١) بعد أن كتب للبرتين كتاباً^(٢) واحداً «منشوراً»^(٣) أرسله إليهم ليكون نذيراً لهم بين يدي جيوشه، وليكون أعذر إليهم قبل الايقاع بهم
وفيما يلي أسماء الأمراء والجهات التي قصدوها: —

- ١ — خالد بن الوليد: وجهه لقتال طليحة بين خويلد الأسدي ببزاة فاذا فرغ منه قصد مالك بن نويرة بالبطاح
- ٢ — عكرمة بن أبي جهل: وجهه إلى مسيلة الكذاب
- ٣ — شرحبيل بن حسنة: وجهه في إثر عكرمة فاذا فرغ من أمر مسيلة قصد قضاة
- ٤ — المهاجر بن أبي أمية: وجهه إلى الأسود العنسي بصنعاء
- ٥ — حذيفة بن محصن: وجهه إلى دبا بعمان
- ٦ — عرفة بن هرة: وجهه إلى أهل مهرة وأمره هو وحذيفة أن يجتمعا وكل أمير على صاحبه فيما وجه إليه
- ٧ — سويد بن مقرن: وجهه إلى أهل تهامة اليمن
- ٨ — العلاء بن الحضرمي: وجهه إلى أهل البحرين

(١) منزل من المدينة على بريد من نحو نجد — الطبري ج ٣ ص ٢٢٥، ٢٢٨

(٢) العهد والكتاب موجودان بنصهما في كتب التاريخ المبسوطة — راجع الطبري

ج ٣ ص ٢٢٦، ٢٢٧

(٣) كان هذا المنشور أول منشور عام يقرأ في مجامع الناس وأنديتهم — تاريخ

الخلفاء لأستاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار ص ٤٤

٩ — طريفة بن حاجر : وجهه إلى بني سليم ومن انضم إليهم من هوازن .

١٠ — عمرو بن العاص : وجهه إلى قضاة

١١ — خالد بن سعيد : وجهه إلى مشارف الشام

وبالنظر في هذا الثبت يتبين أن أبا بكر لم يول أحد أولئك القواد أكثر من ناحية واحدة وربما أشرك اثنين في ناحية ، ما عدا خالد بن الوليد فقد ولاه أمر طليحة ومالك بن نويرة ثم مسيلة بعد انهزام من وجه إليه من القواد ، مما يدل على عظيم ثقته فيه ، واعتماده عليه ، وأنه حقا سيف الله ، وفاقئ عين الردة

ولسنا في معرض بيان أعمال أولئك القواد حماة الاسلام ، ونكايتهم فيمن وجهوا إليهم فلذلك موضع آخر ولذا فانا سنقصر القول على خالد ومن وجه إليهم بياناً لجهده فيهم وبلائه في قتالهم ، وأولهم : —

طليحة (١)

هو طليحة بن خويلد الأسدي تنبأ في حياة النبي صلى الله عليه وسلم بعد حجة الوداع حين علم بمرضه طمعاً في أن يكون له ما لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وجه النبي صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور إلى بني أسد وأمرهم بالقيام على من ارتد فأشجوا طليحة وأخافوه وضعف أمره حتى لم يبق إلا أخذه سلباً إلا أن ضراراً ضربه بالسيف فبنا عنه فشاع بين الناس أن السلاح لا يحيك فيه ؛ فتزايد جمعه ، وكثر أتباعه ، وفيما هم على ذلك نعى

(١) من بني أسد بن خزيمه

النبي صلى الله عليه وسلم فعظم أمره وتفاقم، وسجع الأكاذيب، وادعى أن جبريل يأتيه، وأمرهم أن يعبدوا الله قياماً، وأن يتركوا السجود في الصلاة، وظاهره كثير من العرب للعصية؛ ولذا فانا نجد أكثر أتباعه من أسد وغطفان وطىء وعبس وذيبيان ومن لف لفهم. ومن هذه القبائل من هو في حلف مع قبيلة أخرى أو يجمعها بسواها أب واحد^(١)

أمر أبو بكر خالداً « أن يبدأ بطىء على الأكناف^(٢) » ثم يكون وجهه إلى البزاحة^(٣) ثم يثلث بالبطاح ولا يريم إذا فرغ من قوم حتى يحدث إليه، ويأمره بذلك وأظهر أبو بكر أنه خارج إلى خير ومنصب عليه منها حتى يلاقيه بالأكناف^(٤) وقد أوعب الناس مع خالد ولكنه فعل ذلك مكيدة وإرهاباً للعدو، فقعد ذلك طيئاً وبطاهم عن طليحة^(٥)

وكان أبو بكر قد بعث عدى بن حاتم إلى قومه قبل توجهه خالداً إليهم وقال له: « أدركهم لا يوكلوا،^(٦) ويحتاجهم خالد بمن معه، فأسرع عدى إلى قومه (العوث من طىء) ودعاهم وخوفهم، وصار يقتلهم في الذروة والغارب حتى أجابوه وقالوا له: استقبل خالداً فنهضه عنائلاً ثلثاً

(١) وكان بين بني أسد وغطفان وطىء حلف في الجاهلية - الطبرى ج ٣ ص ٢٣٠

(٢) الأكناف جبلا طىء: سلبى وأجأ - معجم البلدان ج ١ ص ٣١٨

(٣) بزاحة بالضم والخاء المعجمة ماء لبني أسد - ياقوت ج ٣ ص ١٦١، الطبرى

ج ٣ ص ٢٢٨

(٤) الطبرى ج ٣ ص ٢٢٧

(٥) الطبرى ج ٣ ص ٢٢٨

(٦) يظهر أن أبا بكر كان يعرف من خالد الشدة والبطش؛ ولذا فقد أرسل عدياً

إلى قومه حتى لا يبطش بهم خالد

حتى نستخرج من لحق بالبزاحة منا ، فانا إن خالفنا طليحة وهم في يده
 قتلهم أو ارتهمهم ،^(١) فاستقبل عدى خالد أوهو بالسنع^(٢) وقال له :
 « أمسك عني ثلاثاً يجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوك ، وذلك
 خير من أن تجعلهم إلى النار وتشاغل بهم »^(٣) وجاء من عند طليحة منهم
 كالمديد لقومهم ، ورجع عدى إلى خالد باسلامهم فارتحل نحو الأنسر
 يريد جديلة « فقال له عدى إن طياً كالطائر ، وإن جديلة أحد جناحي
 طي . فأجلني أياماً لعل الله أن ينتقد جديلة كما انتقد الغوث ففعل فاتاهم
 عدى فلم يزل بهم حتى بايعوه فجاء باسلامهم ، ولحق بالمسلمين منهم ألف
 راكب فكان خير مولود ولد في أرض طي وأعظمه عليهم بركة »^(٤)
 توجه خالد ومن انضم إليه من طي تلقاء بزاحة ، وأرسل عكاشة بن
 محصن وثابت بن أقرم الأنصاري طليعة فقتلا جبلاً أخا طليحة ، فلما بلغه
 مصرع أخيه خرج ومعه أخوه سلمة فقتلا عكاشة وثابتاً ، ثم رجعا وأقبل
 خالد بالناس حتى مروا بثابت بن أقرم قتيلاً فلم يفتنوا له حتى وطئته
 المطى بأخفافها فكبر ذلك على المسلمين ، ثم نظروا فإذا هم بعكاشة بن
 محصن صريعاً فجزع لذلك المسلمون وقالوا : قتل سيدان من سادات المسلمين

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٢٨

(٢) السنع بضم أوله وسكون ثانيه وآخره حاء مهملة موضع بنجد قرب جبلي طي

معجم البلدان ج ٥ ص ١٤٩

(٣) الطبري ج ٣ ص ٢٢٨

(٤) الطبري ج ٣ ص ٢٢٨

وفارسان من فرسانهم ؛ فانصرف خالد نحو طيء^(١) - حينما رأى ما بأصحابه من الجزع لمقتل ثابت وعكاشة - وهناك تعي للحرب . ثم إن طيئاً سألت خالداً أن تكفيه قيساً فان بنى أسد حلفاؤهم فقال لهم : اصمدوا إلى أي القبيلتين أحببتم . فقال عدى : والله لا أمتنع عن جهاد بنى أسد لحلفهم ، فقال له خالد : إن جهاد الفريقين جميعاً جهاد . لا تخالف رأي أصحابك امض إلى أحد الفريقين وامض بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط^(٢)

سار خالد على تعبئة يريد طليحة ببزاخة ، وكان عيينة بن حصن الفزاري قد انضم إليه في سبعائة من بنى فزارة . ثم التقى الجمعان ودارت رحى الحرب واقتتل الناس قتالاً شديداً وطليحة متلفف في كسائه بفناء بيت له من الشعر يتنبأ لهم ، فلما هزتهم الحرب كر عيينة على طليحة فقال له : هل جاءك جبريل بعد ؟ قال : لا . فرجع وقاتل حتى إذا عضته الحرب وضرس القتال كر عليه فقال : لا أبالك أجاءك جبريل بعد ؟ قال : لا . فقال عيينة : حتى متى قد والله بلغ منا . ثم رجع فقاتل قتالاً شديداً ثم كر عليه فقال : هل جاءك جبريل بعد . قال : نعم . قال : فماذا قال لك ؟ قال : قال لي : إن لك رحاً كرحاه وحديثاً لا تنساه . فقال عيينة . قد علم الله أنه سيكون حديث لا تنساه . يا بنى فزارة هكذا فانصرفوا فهذا والله كذاب فانصرفوا وانهزم الناس ، فغشوا طليحة يقولون ماذا تأمرنا فقام فوثب على فرسه ، وحمل امرأته ونجا بها - وكان قد أعد فرسه عنده وهياً

(١) الطبرى ج ٣ ص ٢٢٨

(٢) الطبرى ج ٣ ص ٢٢٩ - وقولة خالد هذه قولة حكيم خبير بنفوس من معه ، فانه لو ألزمهم بقتال من يتخرجون قتاله لما قاتلوهم بعزيمة وحماس

بغير الامرأته النوار - ثم قال : من استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت
وينجو بأهله فليفعل ، ولحق بالشام وارفض جمعه . ثم أسلم فيما بعد
وحسن إسلامه ^(١) وكان ذا غناء وأثر محمود في حروب الفرس في أيام
عمر بن الخطاب واستشهد هناك وقد قيل كثير من الشعر في هذه الموقعة ،
فمن ذلك قول القعقاع بن عمرو :

ويوما على ماء البزاخة خالدٌ أثار بها في هبوة الموت عثيراً
وقول ربيعة بن مقروم الضبي :

وقومي فان أنت كذبتني بقولي فاسأل بقومي خيراً
بنو الحرب يوماً إذا استلأموا حسبتهم في الحديد القروما
فدى ببراخة أهلي لهم إذا ماؤوا بالجموع الحرما ^(٢)

هذا ولم يصب خالد على البزاخة عيلاً واحداً من عيالات بني أسد
لأن عيالاتهم كانت محرزة ^(٣)

كان بنو عامر بن صعصعة في سادتهم وقادتهم بالقرب من ساحة
القتال لا يقدمون ولا يحجمون فلما دارت الدائرة على طليحة أقبلوا
يقولون : ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله ، فبايعوا خالداً على
ما بايع عليه أهل بزاخة . وكانت بيعته : « عليكم عهد الله وميثاقه لتؤمنن
بالله ورسوله ولتقيمن الصلاة ، وتؤتن الزكاة ، وتبايعون على ذلك أبناءكم
ونساءكم . فيقولون نعم » ثم إن خالداً لم يقبل من أحد من أسد ولا غطفان

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٢٩ - ٢٣٢

(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ١٦٢

(٣) الطبري ج ٣ ص ٢٣٢

ولا من لف لفهم إلا أن يأتوه بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا على أهل الاسلام في حال ردتهم فأتوه بهم فقبل منهم إلا قرّة بن هبيرة ونفراً معه أو ثقتهم ، ثم إنه مثل بالذين عدوا على الاسلام فأحرقهم ورضخهم ورمى بهم من الجبال . وكتب إلى أبي بكر : إن بني عامر أقبلت بعد إعراض ، ودخلت في الاسلام بعد تربص وإني لم أقبل من أحد قاتلني أو سالمني شيئاً حتى يحيئوني بمن عدا على المسلمين ؛ فقتلتهم كل قتلة ، وبعثت إليك بقرة وأصحابه ^(١)

أوثق خالد عيينة بن حصن وقرّة بن هبيرة فبعث بهما إلى أبي بكر فلما قدما عليه تجاوز عنهما وحقن دماءهما . ثم كتب إلى خالد : « ليزدك ما أنعم الله به عليك خيراً ، واتفق الله في أمرك ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . جد في أمر الله ، ولا تثنين ولا تظفرن بأحد قتل المسلمين إلا قتله ، ونكلت به غيره ، ومن أحبت من حاد الله أو ضاده ممن ترى أن في ذلك صلاحاً فاقتله » ^(٢)

أقام خالد على البزاحة شهراً يصعد ويصوب ويتبع الثأر ويأخذ الصدقات ، ويدعو الناس ويسكنهم وفيما هو كذلك إذ بلغه تجمع الفلال من جند طليحة على أم زمل سلى بنت مالك بن حذيفة (وهي من بني فزارة) وقد أمرتهم بقتال المسلمين ، وكثر جمعها وعظم أمرها فسار إليها وقاتلها وفض جمعها . وكانت تقاتل على جمل لأمها فعقره المسلمون حتى

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٣٣

(٢) الطبري ج ٣ ص ٢٣٣

يقصر أمد القتال وقتلوها وقتل حول جملها مائة جمل^(١)
يحسن بنا بعد أن فاءت بنو أسد ومن تأشب إليهم إلى أمر الله أن
نتعرف الأسباب التي ساعدت خالداً على النصر ورجحت كفته . وأهم
هذه الأسباب فيما نرى : —

١ — أن خالداً وجيشه يقاتلون عن عقيدة واثقين بنصر الله وتأيده
يرددون قوله تعالى : (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) فمن قتل
منهم قتل شهيداً ومن سلم عاش سعيداً في حين أن أعداءهم إنما ينصرون
شخصاً للعصية لا أزيد . وليس هناك ما يحجبهم في الموت أو ينشطهم
للترامى على القتال . وشتان بين الحالتين

٢ — تورية أبي بكر ومكيدته من أنه سائر بجيش آخر يلاقى به خالداً
لقتال العدو فان وصول هذا الخبر لمسامع العدو ثبط من همته وبطأ بكثير
من كان يريد الانضمام إليه ، وجعل الروح المعنوية في جيشه خاملة
لا حماسة فيها ، وهذا السبب وحده كاف لخذلان أكبر جيش ، في حين
أن جيش المسلمين يقاتل بحماس وشجاعة وثقة بالفوز

٣ — قتل الرجلين اللذين أرسلهما خالد طليعة للجيش أحفظت
قلوب المسلمين وحرصتهم على قتال عدوهم ، وتشفيهم منه . ويتبين ذلك
من قول الطبري الذي ذكرناه آنفاً

٤ — انضمام طيء لجيش المسلمين زاد في عدتهم بقدر ما أنقص من

(١) كانت أم زمل هذه يضرب بها المثل في عزها وكان يقال : من نخس جملها فله
مائة من الابل — انظر الطبري ج ٣ ص ٢٣٤

عدد عدوهم وكسر نفسه لانهياز من يعتبرهم كجزء منه لصف عدوهم
 ٥ - تمليل عيينة بن حصن من القتال وانصرافه في بني فزارة
 والمعركة في شدتها حتى أدى ذلك إلى متابعة بقية الجيش لهم فحقت
 الهزيمة عليهم.

٦ - إن طليحة الأسدي نفسه - وهو قلب الجيش وروحه - كان
 غير واثق من النصر ، ورجل يقاتل على نية الهرب خليق بالهزيمة بله أن
 يكون رئيس الجيش ^(١)

(٢) مالك بن نويرة ^(٢)

كان بنو تميم قد وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا وأمر
 على بطونهم أمراء منهم : ومن بينهم الزبرقان بن بدر ، وصفوان بن صفوان
 وقيس بن عاصم ، ومالك بن نويرة . فلما سمعوا بموت النبي صلى الله عليه
 وسلم كان منهم من بقى على وفائه بما عاهد عليه الرسول ، فأرسل الصدقة
 إلى أبي بكر ومنهم من تردد ثم فاء إلى أمر الله ، ومنهم من منع الزكاة حتى
 قوتل وهو مالك بن نويرة

فرغ خالد من طليحة ومن تابعه فسار يريد مالك بن نويرة بالبطاح ^(٣)
 ويظهر أن مالكا كان يتوقع مجيء خالد لقتاله ولذا فانا نراه قد أمر قومه

(١) الطبرى ج ٣ ص ٢٢٩

(٢) هو مالك بن نويرة بن جهمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع - طبقات
 الشعراء لابن سلام الجعفى ص ٤٨ ، خزنة الأدب للبغدادى ج ٢ ص ١٩ طبع منير ،

الاصابة ج ٦ ص ٣٦

(٣) البطاح بالضم منزل لبني يربوع - معجم البلدان ج ٢ ص ٢١٤

بالتفرق ونهاهم عن الاجتماع فلما قدمهم خالد لم يجد أحداً بالبطاح فبث سراياه وأمرهم بداعية الاسلام وأن يأتوه بكل من لم يجب فان امتنع قتلوه، وذلك طاعة لوصية أبي بكر التي تنص على: أن يؤذنوا إذا نزلوا منزلاً فان أذن القوم فكفوا عنهم وإن لم يؤذنوا فاقتلوا وانهبوا وإن اجابوكم إلى داعية الاسلام فسائلوهم عن الزكاة، فان أقرؤا فاقبلوا منهم، وإن أبوا فقاتلوهم»^(١)

جاءت السرايا بمالك بن نويرة في نفر من قومه بنى ثعلبة بن يربوع واختلفت السرية التي جاءت به، فقائل إنهم لم يؤذنوا، وقائل شهد بانهم أذنوا وعلى رأس هذه الفئة أبو قتادة الصحابي الجليل. فلما اختلفوا في أمرهم أمر بهم خالد فحبسوا وكانت ليلة شديدة البرد، فأمر خالد منادياً أن دافئوا أسراكم — والمدافأة في لغة كنانة القتل — فقاتلوهم، وهو لم يرد إلا أدفئوهم وسمع خالد الواعية^(٢) نخرج وقد فرغوا منهم فقال: «إذا أراد الله أمراً أصابه». وكان الذي قتل مالكا ضرار بن الأزور.

خرج أبو قتادة حتى أتى أبا بكر وأخبره بمقتل مالك فغضب عليه وألزمه الرجوع للقتال تحت لواء أميره^(٣) فرجع إلى خالد وما زال معه حتى قدم وإياه المدينة. وقال عمر لأبي بكر: «إن في سيف خالد رهقا» وأكثر عليه في ذلك وألح في عزله فقال له: «هيه يا عمر تأول فأخطأ

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٤٢

(٢) الواعية الصراخ والصوت - القاموس المحيط

(٣) وتلك سياسة رشيدة من أبي بكر

فأرفع لسانك عن خالد فاني لا أشيم سيفاً سله الله على الكافرين،^(١) وكتب إلى خالد أن يقدم عليه فقدم ودخل المسجد وعليه قباء له عليه أثر الحديد، وقد غرز في عمامة أسهما فقام إليه عمر فحطمها وأغلظ له القول^(٢) ونال منه وخالد لا يتكلم ظناً منه بأن رأى الخليفة كراى عمر. ثم دخل على أبي بكر فأخبره الخبر، واعتذر إليه، فعذره وقبل منه وعنفه في التزويج الذي كانت تعيب عليه العرب من ذلك، وودى مالكا من بيت المال

الفصل في أمر مالك

بقى علينا أن نعرف: هل راجع مالك الاسلام حين قدم عليه خالد أم كان لا يزال مصراً على رده؟ وعلى فرض إسلامه فهل قتله خالد قصداً أو متأولاً؟

وفي الحق أن الفصل في أمر مالك لمن الدقة والصعوبة بمكان، لما يعتور هذه الحادثة من اللبس والغموض وتضارب الرأي والاختلاف، قال ابن سلام: «وحديث مالك مما اختلف فيه فلم نقف منه على مانريد»^(٣) على أن ذلك لا يقعد بنا عن إبداء رأينا لعلنا نوفق إلى شيء من الصواب فنقول:

(١) الطبرى ج ٣ ص ٢٤٢، ابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٢ وشام سبفه يشيمه غمده القاموس المحيط. وكانت سياسة أبي بكر أنه لا يقيد من عماله ووزعته - الطبرى ج ٣ ص ٢٤٢

(٢) الطبرى ج ٣ ص ٢٤٣، ابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٣

(٣) طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ص ٤٨

أما عن النقطة الأولى فإن مالكا كان ظاهر العداء للإسلام من بدء
الردة حتى قدوم خالد عليه ، ومعاودة أشراف تميم الإسلام صراحة
سواه ، وإغارته على إبل الصدقة التي كانت برحرحان^(١) وتفريقه ما كان
بيده منها ، وإنشاده الشعر الذي يظهر فيه رجوعه عن الإسلام ، وعدم
مبالاته بما يجيء به الغد كقوله :

فقلت خذوا أموالكم غير خائف ولا ناظر فيما يجيء من الغد
بعد أن كلمه الأقرع بن حابس والقعقاع بن معبد الدارمي ونصحا
بالتريث وعدم التسرع بقولهما : إن لهذا الأمر قائما وطالبا فلا تعجل
بتفرقة ما في يدك فما كان جوابه إلا أن قال :

أراني الله بالنعم المندی بركة رحرحان وقد أراني
أن قررت عيون فاستفيئت غنائم قد يجود بها بناني
حويت جميعها بالسيف صلتا ولم ترعد يداي ولا جناني
تمشي يا ابن عوذة في تميم وصاحبك الأقيرع تلحياني

الخ ما قال^(٢) كل ذلك يدل في بادىء الرأي على عدم إسلامه . ثم
ما باله يأمر قومه بالتفرق حين سمع بقدوم خالد ولماذا لم يقدم بين يديه
الصدقة حتى في آخر فرصة ويلاقى بها خالدا كما فعل وكيع بن مالك وسماعه
وهما من أشراف تميم — ليدرا عن نفسه وقومه القتل وليكون أعذر له
عند الناس .

(١) رحرحان ماء دوين بطن نخل خزانة الأدب ج ٢ ص ٢٠ طبع منير

(٢) راجع طبقات الشعراء لابن سلام الجحى ص ٤٨ وما بعدها وخزانة الأدب

ج ٢ ص ٢٠ وما بعدها من طبعة منير

على أن شهادة من شهد بإسلامه^(١) من المسلمين وفي مقدمتهم أبو قتادة تجعلنا لا نجزم بالرأى السابق لعلمنا بصدق شهادة أبي قتادة ولا موجب لأن يكذب ، وما كان مثله أن يقدم على مخالفة أميره بل ويتركه في جهاده ويذهب لشكايته للخليفة من غير أن يكون متبثاً من رأيه جازماً به ولم يتبين بعد خطأ شهادته . كما أنه من البعيد أن يحضر أبو بكر خالداً - وهو القائد الأعلى للجيش - لأمر مظلون . وما كان لعمر أن ينال من خالد ما نال حتى إنه طلب من أبي بكر أن يقيده بمالك وهو برىء من دمه أو قتله كافرأ مهما كان بينهما من عدااء شخصي . وقد ودى أبو بكر مالكا من بيت مال المسلمين ورد السبي وهذا يحمل في طيه أن مالكا قتل مسلماً وأن خالداً لم يكن مصيباً في سبيهم .

لكن من الجائز أن يكون أمر أبو بكر خالداً بالقدوم خشية أن يكون في الجيش من يرى رأى أبي قتادة فيخرج على خالد أو يكره القتال تحت لوائه كما أن قدوم أبي قتادة المدينة قد أشاع الخبر بين أهلها بالصيغة التي رواها لهم مما أدى إلى تشدد عمر وطلبه أن يقيده خالداً . فتحت هذه المؤثرات طلب أبو بكر قدوم خالد ليسمع رأيه كما أنا نلاحظ أن عمر لما آلت إليه الخلافة لم يرجم خالداً ولم يقتله ولا نظن بحال أن عمر الشديد في الحق الذي لا يبالى بغير الله - وقد أصبح الأمر بيده يترك خالداً يمشى على الأرض وعليه حد زنا أو مهدر الدم قصاصاً . ثم إن أبا بكر

(١) من المحتمل أن يكون الأذان من مالك وتابعيه اتقاء القتل وفرقا من السيف كما آمن فرعون حين شارف الغرق « الآن وقد عصيت قبل وكنت من الكافرين » .

قد ودى مالكا وحده ولم يد أحداً ممن قتل على شاكلته^(١) ومن غير مرأ
حكم من قتل معه حكمه ، ولو كان أبو بكر يرى أن هؤلاء قتلوا مسلمين
لوداهم إن لم يقتص من قاتلهم ولعل ودى مالك ورد السبي كان تطيباً
لقلب أخيه متمم بن نويرة وقومه وتخفيفاً عنهم من مصيبتهم بقتل عميدهم.
ونحن إزاء هذا الغموض وتطرق الاحتمال إلى كل من طرفي الإثبات
والنفي لا يمكننا أن نرسل القول باسلام مالك ولا بقتله مرتداً وكل
ما يمكن أن نقوله بشيء من التسامح والتساهل هو: إن مالكا راجع الاسلام
وعن النقطة الثانية نقول: إن المؤرخين قد ذكروا فيها عدة روايات
منها: ما سبق أن ذكرناه: من أن خالداً قال: دافئوا أسراكم^(٢) يريد
أدفعوهم - وكانت الليلة باردة - ولكن القوم فهموا أنه يريد اقتلوهم
فقتلوهم.

ومنها أن عمرو بن العاص قال لخالد: يا أبا سليمان إن رأيت عينك
مالكاً فلا تزايله حتى تقتله^(٣).

فان صحت الرواية الأولى فلا ذنب على خالد في قتله لأن الناس فهموا
خطأ أنه يريد قتله. ويبدو لنا أن هذه الرواية لا يعتمد عليها ولا يعتذر
خالد بذلك عن نفسه، ولما كان هناك معنى لذهاب أبي قتادة لأبي بكر
ولما قامت حول خالد كل هذه الضجة.

(١) كان عدة من أصيب مع مالك خمسة وأربعين رجلاً من بني بهان - خزاعة
الأدب ج ٢ ص ٢١ طبع منير

(٢) إكرام الأسارى أمر معروف عن المسلمين حتى إن أحدهم ليؤثر أسيره على
نفسه وينفحه بما عنده؛ وصنيع المسلمين مع أسارى بدر خير شاهد

(٣) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٥٠ طبع ليدن

والرواية الثانية — على فرض صحتها — لا تصلح مبرراً للقتل لأن
خالداً لا يتلقى أوامره من عمرو بن العاص وليس فيها ما يشير إلى أن
ما قاله عمرو لخالد صادر عن رأى الخليفة
والذى يصلح في رأينا أن يكون عذراً لخالد هو : —

(١) — الأشعار التي قالها مالك مظهراً فيها رجوعه عن الاسلام وعدم
مبالاته بالمسلمين وبما يجيء به الغد^(١)

٢ — وصية أبي بكر التي سبق ذكرها ؛ فهي تنص على مقاتلة من لم
يقر بالزكاة . ومالك قد التوى بالزكاة فقتاله إذن طاعة لأمر الخليفة^(٢)

٣ — كتاب أبي بكر لخالد بعد أن فرغ من طليحة الأسدى الذى
يقول فيه : « جد في أمر الله ولا تثنين ولا تظفرن بأحد قتل المسلمين
إلا قتله ونكلت به غيره ، ومن أحببت ممن حاد الله أو ضاده ممن ترى
أن في ذلك صلاحاً فاقتله »^(٣)

٤ — إن خالد لما حاوره وراده سمع مالك بالصلاة والتوى بالزكاة
فقال خالد أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً لا تقبل واحدة دون الأخرى
فقال مالك : قد كان صاحبكم يقول ذلك . قال خالد : أو ما تراه لك صاحباً
والله لقد هممت أن أضرب عنقك ثم تجاوزاً في الكلام فقال له خالد :
إنى قاتلك فقال له : أو بذلك أمرك صاحبك قال وهذه بعد تلك . وقد فهم
خالد أن ذلك منه إنكار للنبوة . وهذا العذر الأخير ذكرته معظم كتب

(١) طبقات الشعراء لابن سلام ص ٥٠

(٢) الطبرى ج ٣ ص ٢٤٢

(٣) الطبرى ج ٣ ص ٢٣٣

التاريخ الموثوق بها بل هو مجتمع عليه كما قال ابن سلام في طبقاته^(١)
وربما قيل: إن كل واحد من هذه المعاذير لا يعدو عن أن يكون
شبهة والشبهة لا تجيز القتل في شرعة الاسلام. فنقول: لو سلمنا أن كل
واحد منها شبهة لكنها شبهة قوية - ولا سيما في مثل موقف مالك المتردد -
تجعل لخالد عذراً في قتله. على أنه إن لم يصلح كل واحد من هذه المعاذير
بانفراده مبرراً للقتل عند كثير من الباحثين فانها مجتمعة متضامة مراعا
فيها صدورها من رجل مرتد لم يكن عنده من الاخلاص لدينه والوفاء له
ما يجعله مستمسكاً به متفانياً فيه مدافعاً عنه، بله أن يرتد عنه وينأوئه تصلح
عذراً عند كثير منهم إن لم يكن عند عامتهم

هذا وإن أبا بكر قد حكم الحكم الذي نستطيع في غير ما تخرج أن
نجزم بصحته وصوابه حين رد على عمر بقوله: « تأول فأخطأ فارفع
لسانك عن خالد »^(٢) إذ يبعد أن يحكم من غير تثبت واقتناع. وإذا
نحن علمنا أنه رضى عنه بل وولاه توا قتال مسيلة سهل علينا أن نعرف
أن خالداً اعتذر لدى الخليفة بعذر مقبول وأنه لم يقتل مالكا عن قصد
وعمد. ولو لم يكن لخالد عذر مقبول فلا أقل من أن يعزله عن الامارة
إن لم يقتص منه

والنتيجة إذن أن له عذراً وأنه كما قال أبو بكر: تأول فأخطأ
بقيت مسألة أخرى لها اتصال بقتل مالك تلك هي زواج خالد بامرأة

(١) الطبرى ج ٣ ص ٢٤٣، طبقات الشعراء لابن سلام ص ٤٩، الاصابة ج ٦

ص ٣٦ المختصر لأبي الفدا ج ١ ص ١٥٨

(٢) الطبرى ج ٣ ص ٢٤٢، المختصر لأبي الفدا ج ١ ص ١٥٨

مالك بعد أن قتله وقد شنع الناس بها على خالد وإذا نحن جارينا هذا الفريق في أن هذا الأمر جرم وأنه كبيرة فذلك لأن السيئة إذا بدت من دهماء الناس لا يعبأ بها، ولا يشعر الناس بحدوثها وهي هي تصدر من العظيم فتبدو بارزة ظاهرة كأنها النقطة السوداء في الثوب الناصع البياض، وهكذا « حسنات الأبرار سيئات المقربين »

وهذه الحادثة يحوطها أيضا شيء من اللبس والغموض ؛ فلم يكشف لنا التاريخ شيئا قاطعاً في أمرها ؛ فبينما يذكر بعض المؤرخين أن خالداً اشتراها من الفيء ثم تزوجها يقول لنا البعض الآخر : إنها اعتدت بثلاث حيض وتزوجها^(١) . ولو كنا نجزم بشيء في أمر مالك لانبجى الموقف وسهل الحكم . وإذا نحن سالكنا مسلك من يقول : إن مالكا قتل كافراً وإن خالداً اشترى زوجته من الفيء لكان أمر زواجه بها لا شيء فيه . والمسألة لا تبدو مقنعة بقناع من الغموض إلا على أساس اسلام مالك ومهما يكن الأمر فلم يكن من الحسن زواجه بها في وقت القتال لأن ذلك كانت تعيبه العرب ؛ ولذا فانا نرى أبا بكر يعنفه على هذا الزواج ثم يأمره بطلاقها . لكننا لا نعرف بالضبط متى كان طلاقها ومن المؤكد أنها كانت معه في واقعة اليمامة وأن بعض جنود مسيلة تمكنوا في جولة من دخول فسطاط خالد وبه أم تميم . وهذا يفيدنا أن طلاقها كان بعد هذه الواقعة . هذا ولا يفوتنا أن نقول : إن بعض المؤرخين يذكر أن امرأة مالك هي السبب في قتله لجمالها وفرط حسناتها فمال إليها خالد ووقع في نفسه

(١) المختصر لأبي الفداء ج ١ ص ١٥٧ ، طبقات الشعراء لابن سلام ص ٥٠ ،

الطبرى ج ٣ ص ٢٤٢

ويستدل بما روى عن مالك من أنه قال لها : لم يقتلني غيرك . وإنا نربا
بخالد — وهو الصحابي الجليل — أو أى صحابي آخر ليس في منزلته أن
يقتل امرأ لأمر دنيوى بل شهوى . ورد خالد على مالك — حين سمع
منه مقالته التى قالها لامرأته كاف لدحض هذا القول . إذ قال له : « بل الله
قتلك برجوعك عن الاسلام »^(١)

ولعل خالدًا — وقد قتل زوجها — رأى أن يجبر كسرهما ، وأن
يخفف عنها مصيبتها ؛ فتزوجها جبراً لها مما أصابها وتطيبها لخاطرها حتى
تستعيض عن زوجها الشاعر الفارس ، المطاع بالقائد الماهر العظيم

(٣) مسيلة الكذاب

كان بنو حنيفة قد وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم مسيلة
وحين قدموا المدينة خلفوه في رحالهم يحفظ لهم ظهرهم ، ثم ذهبوا إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا وأعطاهم ما أعطاهم وذكروا له مسيلة
فأعطاهم كواحد منهم وقال : « أما انه ليس بشركم مكانا يحفظ ضيعة أصحابه »
ولما رجعوا إلى ديارهم ادعى مسيلة النبوة وقال للوفد : ألم يقل لكم أما
إنه ليس بشركم مكانا . ما ذلك إلا لأنه يعلم أنى قد أشركت معه ، وصار
يسجع لهم السجاعات وأحل لهم كثيراً من المفاسد كالخمر والزنا ؛ فاتبعته
بنو حنيفة ، وظاهرته على أمره . وأرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقول
له : « من مسيلة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك فانى قد

(١) المختصر لأبى الفداء ج ١ ص ١٥٧ ، وراجع الاصابة ج ٦ ص ٣٧

أشركت في الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض
ولكن قریشاً قوم يعتدون ، فكتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم : « بسم
الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب سلام على من
اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين » ^(١)

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم استشرى شره وعظم أمره
وكان وقود فتنه نهار الرجال بن عنفوه ^(٢) — الذي كان قد هاجر إلى
النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ القرآن وفتنه في الدين — وكان النبي صلى
الله عليه وسلم بعثه معلماً لأهل اليمامة ، وليشغب على مسيلة ، وليشدد
من أمر المسلمين ، ولكنه بدلاً من أن يقوم بما ندب له أيد مسيلة في
ادعائه النبوة ، وشهد له بأنه سمع محمداً يقول : « إن مسيلة قد أشرك معه ؛
فصدقه أهل اليمامة ، واستجابوا له ؛ فكان أعظم فتنة على بني حنيفة من
مسيلة . وكان مسيلة يحله وينتهي عند أمره .

ولما عقد أبو بكر الألوية لحروب الردة عقد لعكرمة بن أبي جهل إلى
اليمامة لقتال مسيلة وأردفه بشر حيل بن حسنة وأراد عكرمة أن ينفرد
بفخرها فتعجل ولم ينتظر شرحبيل وواقع بني حنيفة فنكبوه وحين بلغ
أبو بكر خبر هزيمته كتب إلى شرحبيل أن يتمهل ريثما يأتيه المدد مع خالد

(١) الطبري ج ٣ ص ١٦٧

(٢) الطبري ج ٣ ص ٢٤٤ ، ابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٤

ولكنه بادر خالداً بقتال مسيلة فنكب كسابقه فعنفه خالد ولامه حين قدم عليه ^(١)

ولما رضى أبو بكر عن خالد وقبل عذره من قتل مالك وجهه إلى اليمامة لقتال مسيلة وأوعب معه المهاجرون والأنصار وعلى الأنصار ثابت ابن قيس بن شماس وعلى المهاجرين أبو حذيفة وزيد بن الخطاب وعلى كل قبيلة رجل؛ فتعجل خالد حتى قدم على أهل العسكر بالبطح وانتظر البعث الذي ضرب بالمدينة ^(٢)

لما قدم البعث على خالد نهض حتى أتى اليمامة ثم أمده أبو بكر بسليط ليكون رداءً له من أن يأتيه أحد من خلفه. ولما بلغ مسيلة دنو خالد منه خرج في أربعين ألف مقاتل فعسكر بعقرباء ^(٣) ثم التقى الجمعان وعلى مقدمة المسلمين خالد بن الوليد المخزومي وفيها شرحبيل وعلى المجنبتين زيد وأبو حذيفة وجعل مسيلة على مجنبيه محكم اليمامة ^(٤)

(١) الطبرى ج ٣ ص ٢٤٤ - وكان الواجب عليه أن يتعظ بعكرمة وأن ينتظر خالداً إجابة لأمر الخليفة إن لم يكن الواجب الحربى يحتم عليه ذلك «ولكن إذا أراد الله أمراً أصابه»

(٢) الطبرى ج ٣ ص ٢٤٤

(٣) منزل من أرض اليمامة في طريق النجاج قريب من قرقرى وهو من أعمال العرض... نزل بها مسيلة لأنها في طرف اليمامة ودون الأموال وجعل ريف اليمامة وراء ظهره... «ياقوت ج ٦ ص ١٩٤»

(٤) ورماه عبد الرحمن بن أبى بكر بسهم فقتله - الطبرى ج ٣ ص ٢٤٨ ابن الأثير

ج ٢ ص ٢٤٧

والرجال بن عنفوة، وهو أول من لقي المسلمين^(١)

دارت رحى الحرب واشتد القتال، وصبر الفريقان، وتراموا على الموت
ونزل بالناس ما لم يروا مثله قط؛ وغدا النصر لأصبر الفريقين، وأكرم
الجندين، وأسوسهم للحرب

رأى خالد هذه الحال. وأدرك أن استمرارها في غير مصلحته
وخشى أن ينهزم أخلاط العرب فيوهنوا أهل النجدة من المهاجرين
والأنصار ويختل نظام الجيش وتكون الهزيمة؛ فأداه رأيه وحسن سياسته
وممارسته الحروب إلى أن يميز الناس فقال: «امتازوا أيها الناس لنعلم بلاء
كل حي ولنعلم من أين نؤتى». فلما امتازوا قال بعضهم لبعض: اليوم
يستحي من الفرار، فما روى يوم كان أعظم نكايه من ذلك اليوم.

لم يكتف خالد بهذا التدبير الموفق حين رأى أن بني حنيفة لا يبالون
بمن يقتل منهم وعرف أنها لا تركد إلا بقتل مسيلة، فدعاه للبارزة
فأجابه فعرض عليه أموراً مما يشتهيها؛ فأعرض بوجهه متظاهراً بأنه
يستشير شيطانه، فركبه خالد وصاح في الناس: دونكم فلا تقيلوهم،
فركبوهم فكانت الهزيمة، ونادى محكم اليمامة: يا بني حنيفة الحديقة الحديقة
فدخلوها وأغلقوا عليهم بابها

لم يشأ المسلمون أن ينتهي الأمر عند هذا الحد، وفي بني حنيفة بقية
تصلح للقتال، ولا سيما أن رأس الفتنة مازال حياً، فقال البراء بن مالك
يامعشر المسلمين ألقوني عليهم فاحتمل حتى أشرف على جدار الحديقة

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٤٨ وقتله زيد بن الخطاب - ابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٥،

وفتوح البلدان للبلاذري ص ٩٤

وقاتل على الباب حتى فتحه للمسلمين فدخلوا عليهم حديقتهم ، واقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل مسيلة ^(١) وولت بنو حنيفة ، وأخذهم المسلمون بسيوفهم من كل جانب ، وقتل منهم نحو من أحد وعشرين ألفاً : سبعة آلاف بعقوباء ، ومثلها في الحديقة ، وفي الطلب نحو من ذلك ^(٢) كان خالد قد أسر جماعة بن مرارة الحنفي وهو معرس ^(٣) في سرية يطلب ثأراً له في بني عامر ، فقتل أصحابه واستحياه كرهينة لشرفه في بني حنيفة إذ رأى أصحابه يجودون بأنفسهم دونه وأدرك من كلامهم أن في استبقائه مصالحة للمسلمين سواء أكانت لهم أم عليهم . وحين انتهت الموقعة وأدال الله للمسلمين قال جماعة لخالد : هلم إلى الصلح على ما ورائي فصالحه على كل شيء إلا الرجال ، فقال جماعة أنطلق فأشاورهم ، فلما ذهب إليهم لم يجد في الحصون إلا النساء والصبيان ومشيمة فانية ، فألبسهم الحديد وأمرهم أن يشرفوا من الحصون حتى يراهم المسلمون فتتم الخدعة . ثم رجع إلى خالد وقال له : قد أبوا أن يجيزوا ما صنعت وقد أشرف لك بعضهم نقضاً على ، وهم مني براء

رأى خالد الرجال — فيما يرى — على الحصون عليهم الحديد ، فالحصون — في نظر العين مسودة — وقد نهكت المسلمين الحرب ، وطال اللقاء ؛ وأحبوا أن يرجعوا على الظفر ، ولم يدروا ما كان كائناً لو

(١) اشترك في قتله وحشي (مولى جبير بن مطعم وقاتل حمزة عم النبي ﷺ)

ورجل من الأنصار — الطبري ج ٣ ص ٢٤٨ ، ابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٧ ، فتوح

البلدان للبلاذري ص ٩٥ ، ٩٦

(٢) الطبري ج ٣ ص ٢٥٢ ،

(٣) الطبري ج ٣ ص ٢٤٦

كان فيها رجال وقتال ، وقد قتل من المهاجرين والأنصار من أهل قصبة المدينة يومئذ ثلاثمائة وستون ^(١) فصالحه خالد على الذهب والفضة والسلاح ونصف السبي وبذلك انتهى أمر بني حنيفة ، وكان قتل هذا العدد الكبير من المهاجرين والأنصار وأهل السابقة وحفاظ القرآن مدعاة لأن يجمع أبو بكر رضى الله تعالى عنه القرآن خوفاً من الضياع بموت حفاظه .

بعد انتهاء الصلح جاء كتاب من أبي بكر يأمر خالدًا بقتل كل محتلم ، ولكن القضية كانت قد انتهت بينهم ، فرفى لهم خالد ، وأرسل خالد وفداً منهم إلى أبي بكر ، فلما قدم الوفد عليه قال لهم : ويحكم ما هذا الذى استنزل منكم ما استنزل ؟ قالوا يا خليفة رسول الله قد كان الذى بلغك مما أصابنا كان امرأ لم يبارك الله عز وجل له ولا لعشيرته فيه ، ثم سأهم عن بعض أسجاع مسيلة فذكروا له شيئاً منها فقال : سبحان الله ! والله ما خرج هذا من إل ولا فاجر فأين يذهب بكم .

أما وقد انتهى أمر بني حنيفة بمراجعتها الاسلام ، فانه يحسن بنا أن نبحث عن سبب ما كان لمسيلة من فضل قوة وثبات لم يتح لغيره من المتنبة حتى كان أكثرهم ثباتاً ، وأشدهم مراساً ، فمن هذه الأسباب :

(١) - شهادة نهار الرجال بانه سمع محمداً يقول : إن مسيلة قد أشرك معه مما جعل أهل اليمامة يصدقونه ويستجيبيون له ، فكان منهم من يقاتل على زعم أنه تحت لواء نبي

٢ — كانوا يقاتلون عن بلادهم وأحسابهم يعلم ذلك من قول
 شرحبيل بن مسيلة الكذاب : « اليوم يوم الغيرة ! قاتلوا عن أحسابكم
 وامنعوا نساءكم »

٣ — القوم يقاتلون عن بلادهم أهلها ، وأعلم بشعابها ، واخبر
 بارضها .

٤ — ازدادوا نشاطاً بعد أن نكبوا عكرمة ، وازدادوا قوة على قوة
 حينما خذلوا جيش شرحبيل ، فأصبحت لهم بذلك جرأة وضراوة على
 جيوش المسلمين وسرت فيهم روح لم توجد في غيرهم من جنود المتنبيين
 مما أدى إلى أن يقفوا في وجه خالد — وهو ماهو — وكادوا أن يهزموه
 لولا لطف الله بالمسلمين

وإذا كان مسيلة قد نكب جيشين من جيوش المسلمين ، وأصبح لجنده
 ضراوة على قتالهم ، وغدوا لا يتهيبونهم ، والروح المعنوية فيهم في أحسن
 درجاتها ، وهم في باديتهم ، وأعلم بشعابها وثناياها فضلاً عن أن عددهم
 عظيم يكفي للقضاء على أكبر جيش للمسلمين في ذلك الوقت ، فما هو
 السر إذن في انكساره ؟ أو ماهي العوامل التي ساعدت المسلمين على النصر ؟
 من هذه العوامل : —

١ — أمر خالد الناس بأن يمتازوا ، ليتبين أهل العزم ، حقا لقد كانت
 مرة موفقة ، فقد تبين أهل العزائم ، واستحيا أهل الشرف من الهزيمة
 ٢ — وقوف خالد بين الصفوف يطلب المبارزة وهو كالأسد
 المحصور ، لا يخرج إليه أحد إلا صرعه ، فحين رأى المسلمون ذلك تذا مروا
 وتراموا على الموت

٣ - لما برز مسيلة لخالد وعرض عليه خالد بعض الأمور تظاهر مسيلة باستشارة شيطانه ، فلم يترك خالد هذه الفرصة تضيع منه - وهو القائد الماهر ويعلم أن مسيلة هو قلب الجيش - فركبه وساعفه المسلمون ، فانهزم مسيلة وتابعه جنده ، فكانت الهزيمة ، وليس في ذلك ما يعاب على خالد لأن أحدهما لم يأخذ من صاحبه أماناً ، فالحالة بينهما خداع ومغالبة

٤ - كان يؤازر خالد كثير من أهل النجدة والغناء الذين باعوا أنفسهم في طاعة الله ، وطلبوا ما عنده أمثال حذيفة الذي كان يذمر الناس بقوله : « يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال » . وزيد بن الخطاب الذي كان يقول : « غضوا أبصاركم ، وعضوا على أضراسكم أيها الناس ، واضربوا في عدوكم وامضوا قدماً » ؛ فصادت مهارة خالد وسياسته الحرية نفوساً دعاها فلبت سراعاً

٥ - كان أبو بكر قد أمد خالداً بسليط ليكون ردهاً له لئلا يؤتى من خلفه ؛ فكان المسلمون يقاتلون وهم آمنون على ظهورهم ، وجهدهم منصرف لمواجهة عدوهم

٦ - كان بعض من ناصر مسيلة إنما ناصره للعصية فقط ؛ وهو يعتقد كذبه أو على الأقل يشك في أمره وإني أرجح أن جانباً كبيراً من جنده كان يساور نفوسهم الشك في أمره ، والشك في مثل هذه الأحوال كاف لزلزلة قلوبهم ، وفتور عزائمهم

هذا إلى الأسباب العامة التي كانت تتوافر في كل جيش من جيوش المسلمين بل في كل فرد من أفرادهم هي التي سهلت لخالد سبل النصر والظفر أقام خالد بعد أن انتهى من أمر بني حنيفة بواد من أودية اليمامة يقال له الوبر حتى جاءه أمر أبي بكر بالتوجه إلى العراق لفتح بلاد الفرس

فتوحه في العراق

(١) الأبله (٢) المذار (٣) الوحلة (٤) اليس
وامعشيا (٥) المقر (٦) الحيرة (٧) الأنبار (٨) عين
التمر (٩) دومة الجندل (١٠) الحصيد والحنافس
(١١) المصيخ (١٢) الثني والزميل (١٣) الفراض

الأبله

في أواخر السنة الحادية عشرة بعد ما هدأت الحال في معظم الجزيرة ،
وقد راجع أغلب العرب المرتدين الاسلام بدأ أفراد من المسلمين يغيرون
على أطراف العراق من ناحيتي الحيرة ^(١) والأبله فاذا طلبوا أمعنوا في
الصحراء وتوغلوا فيها ؛ فيامنون من الطلب ، وأصبحت لهم بذلك ضراوة
وجرأة على الاغارة على أطراف البلاد الخاضعة للفرس ^(٢)

أرسل أحد أولئك وهو المشي بن حارثة ^(٣) إلى أبي بكر يعلمه ضراوته
بفارس ويسأله أن يمدّه بجيش لغزو الفرس وحين وصل كتابه إلى
أبي بكر كان خالد قد فرغ من أمر بني حنيفة ، ومقيما في وادي الوبر ؛
فكانت الفرصة سانحة أمام الخليفة لندب فاقئ عين الردة ، ومنكس أعلام

(١) الحيرة مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة — معجم البلدان ج ٣
ص ٣٧٦ والأنبار مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ — معجم
البلدان ج ١ ص ٣٤١

(٢) راجع الطبري ج ٤ ص ٢ ، الأخبار الطوال ص ١١٧ ، فتوح البلدان ص ٢٥٠

(٣) وقيل إن المشي قدم المدينة على أبي بكر فولاه على من قبله — راجع الطبري

ج ٤ ص ٣ والبلاذري في فتوح البلدان ص ٢٥٠

الفتنة لفتح السواد ، والبدء في إزالة امبراطورية الأكاسرة
ففي المحرم ^(١) من اثنتي عشرة أرسل يأمره بغزو فارس ، وأن يبدأ
منها بثغر الأبله ، كما أمر عياض بن غنم أن يغزوها من الشمال وأن يبدأ
بالمصيخ ^(٢) وأمرهما أن يستنهضا من قاتل أهل الردة ، وألا يستعينا
بمرتد ، وأن يسيرا بمن يحب ، ولا يستكرها أحدا ؛ فانفض عنهما كثير
من معهما فاستمدا أبا بكر فأمد عياضا بعبد غوث الحميري ، وأمد خالداً
بالقعقاع بن عمرو ؛ فقليل له : أتمد رجلا قد ارفض عنه جنوده برجل
فقال : لا يهزم جيش فيهم مثل هذا ^(٣)

وقبل أن يسير خالد إلى العراق كتب إلى هرمز - صاحب ثغر
الأبله - كتاب إنذار يقول فيه : أما بعد فأسلم تسلم ، أو اعتقد لنفسك
وقومك الذمة وأقرر بالجزية وإلا فلا تلومن إلا نفسك ؛ فقد جئتكم
بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ^(٤)
سار خالد في عشرة آلاف وانضم إليه المشني ^(٥) وأصحابه في ثمانية

(١) الطبري ج ٤ ص ٢ ، ابن الأثير ج ٢ ص ٢٦١

(٢) هي بين حوران والقلت - معجم البلدان ج ٨ ص ٧٩

(٣) الطبري ج ٤ ص ٤ ، ابن الأثير ج ٢ ص ٢٦٢

(٤) الطبري ج ٤ صفحة ٥

(٥) قال الطبري : « فلما قدم الكتاب على خالد بتأمر العراق كتب إلى حرمله
وسلمى والمشني ومذعورا بالحقاقبه وأمرهم أن يواعدوا جنودهم الأبله وذلك أن أبا بكر
أمر خالدا في كتابه إذا دخل العراق أن يبدأ بفرج أهل السند والهند وهو يومئذ
الأبله ليوم قد سماه ثم حشر من بينه وبين العراق فحشر ثمانية آلاف من ربيعة ومضر
إلى ألفين كانا معه فقدم في عشرة آلاف على ثمانية آلاف من كان مع الأمراء الأربعة
يعني بالأمراء الأربعة المشني ومذعورا وسلمة وحرمله فلقى هرمز في ثمانية عشر ألفا
اه ج ٤ ص ٥

آلاف وحين قارب العدو جعل جيشه ثلاث فرق ^(١) ولم يحملهم على طريق واحد : فرقة مع المشي وهي المقدمة، وتلتها فرقة عليها عدى بن حاتم وخرج خالد بعدهما وواعدهما الحفير ليجتمعوا به ، ويصدموا عدوهم سمع هرمز بمسير خالد فكتب إلى أردشير « ملك الفرس » بالخبر وتعجل في سرعان أصحابه يريد الكواظم ^(٢) فعلم أن المسلمين تواعدوا الحفير ^(٣) فسبقهم إليه ، وجعل على مقدمته الأخوين : قباذ وأنوشجان « وهما من أولاد أردشير الأكبر » وتعي هرمز وأصحابه ، واقتربوا بالسلاسل لئلا يفروا ولما بلغ خالدا أنهم يمموا الحفير عدل عنها إلى كاظمة فسبقه هرمز إليها ، ونزل على الماء ، واختار المكان الملائم لجيشه ، وجاء خالد فنزل على غير ماء ؛ فقال له أصحابه في ذلك فقال : « حطوا أثقالكم ثم جالدوهم على الماء ؛ فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين ، وأكرم الجندين » ^(٤)

(١) ابن الأثير ج ٢ ص ٢٦٢

(٢) الكواظم : جو على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب . وقد أكثر الشعراء من مدحها ؛ فمن ذلك :

يا حبذا البرق من أكناف كاظمة يسعى على قصرات المرخ والعشر

معجم البلدان ج ٧ ص ٢٠٨

(٣) الحفير : ماء لباهلة بينه وبين البصرة أربعة أميال - معجم البلدان ج ٣ ص ٢٠٤
(٤) بعض الرواة يذكر أن أول بلد قصده خالد : بانقيا وباروسما واليس والبعض يذكر أن خالدا ابتدأ بالأبله وهو ما اخترناه لأن الأخبار في ذلك أكثر ولأنه الموافق لكتاب أبي بكر لخالد بالبداة بشجر الهند . ونصه : « أن سر إلى العراق حتى تدخلها وابدأ بفرج الهند وهي الأبله » الطبري ج ٤ ص ٢ وراجع أيضا صحيفة ٧ من هذا الجزء . وهو ما يجب أن يكون من الوجهة الحربية حتى لا يتركوا وراءهم =

لاقى المسلمون أعداءهم ، وخرج هرمز فدعا خالداً للبارزة واتفق مع أصحابه على الغدر به ، فبرز إليه خالد وتضاربا ؛ فاحتضنه خالد ولم يشغله حمل أصحاب هرمز عليه عن قتله ، وخف القعقاع بن عمرو التميمي فحمل عليهم في جماعة من المسلمين ؛ فأزاحوهم ، وشدوا عليهم فهزموهم ؛ ومنح الله المسلمين أكتافهم إلى الليل

نادى خالد بالرحيل ، وسار بالناس واتبعته الأتقال حتى نزل بموضع الجسر الأعظم من البصرة (والبصرة لم تبني إذ ذاك) فبعث المشي بن حارثة في آثار القوم ، وبعث معقل بن مقرن المزني إلى الأبله فجمع الأموال والسبايا

أرسل خالد إلى أبي بكر بالفتح والخنس ، ونفله أبو بكر قلنسوة هرمز وهي مفصصة بالجواهر وقيمتها مائة ألف لأنه قد تم شرفه ^(١)
المذار « الثاني » ^(٢)

١ وصل كتاب هرمز إلى أردشير بنخبر خالد ، فأمدده بقارن بن

= عورة وقد أوصاه أبو بكر بذلك حين ندبه هو وعياض بن غم لفتح العراق بقوله : « إذا اجتمعتما بالحيرة وقد فضضتما مسالح فارس ، وأمنتما أن يوثي المسلمون من خلفهم » ولو ابتداء خالد بيانقيا لخلف هرمز خلفه وقد أطبق المؤرخون على أنه مضرب المثل في الخبث وشر جار للعرب ، ولرأينا له أثرا في أعمال السيف في ظهور المسلمين وربما كانت شبهة القائلين بالرأي الأول هي أن الأبله فتحت زمن عمر على يد عتبة بن غزوان ولكن تلك الشبهة يمكن حملها على أنها فتحت في زمن عمر رضى الله عنه الفتح الدائم ويؤيد رأينا أيضا البلاذري ، يراجع ص ٢٥٠ وما بعدها (١) كان أهل فارس يعملون قلانسهم على قدر أحسابهم في عشائهم ؛ فمن تم شرفه فقيمة قلنسوته مائة ألف ، فكان هرمز بمن تم شرفه ؛ فكانت قيمتها مائة ألف فنفلها أبو بكر خالداً ، الطبري ج ٤ ص ٦

(٢) المذار في ميسان بين واسط والبصرة وهي قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار =

قريانس وفصل قارن من المدائن حتى إذا انتهى إلى المذار لقيه فلال جيش هرمز فتدامروا وقالوا : « إن افترقتم لم تجتمعوا بعدها أبداً »
فأجمعوا أمرهم وعسكروا بالمذار وكان قباذ وأنوشجان قد نجيا فيمن نجا من جيش هرمز ، فاستعملهما قارن على مجنبتيه

وصل خبر اجتماعهم إلى خالد : فخرج حتى التقى بهم وهو على تعبئة فقتلوا على حنق وحفيظة ودعا قارن للبارزة فاستبق إليه خالد ومعقل^(١) ابن الأعشى ، فسبقه معقل إليه فصرعه^(٢) وانهزم الفرس وقتلت منهم يومئذ مقتلة عظيمة قدرت بثلاثين ألفاً . ولولا أنهم ضموا السفن إليهم ، والمياه منعت المسلمين من طلبهم لأنفوهم عن آخرهم . وقد غنم المسلمون منهم مغام كثيرة حتى زاد سهم الفارس على ثلاثين ألفاً . واخذوا الجزية من الفلاحين ، وصاروا ذمة لهم . وأقام خالد بالمذار وقسم الفئ ونقل من الأخماس أهل البلاء وبعث ببقيتها إلى أبي بكر مع سعيد بن النعمان ، وتبجح المسلمون وصارت كل واقعة أنكى على الفرس من التي قبلها .

= أربعة أيام . . . وبها قبر عبد الله بن علي بن أبي طالب . . . وأهلها لهم شيعة غلاة طعام أشبه شيء بالأنعام ؛ معجم البلدان ج ٧ ص ٤٣٣ والثني بكسر أوله وسكون ثانيه وياء مخففة . والثني من كل نهر أو جبل منعطفه ويقال الثني اسم لكل نهر . ويوم الثني لخالد على الفرس قرب البصرة مشهور . قال القعقاع بن عمرو :

فنحن وطئنا بالكوأظم هرمزا وبالثنى قرني قارن بالجوارف

معجم البلدان ج ٣ ص ٢٥

(١) هو أبيض الركبان معقل بن الأعشى بن النباش ، وقتل عاصم بن عمرو الأنوشجان ، وقتل عدى بن حاتم قباذ — الطبري ج ٤ ص ٧

(٢) كان شرف قارن قد انتهى ولم يقاتل المسلمون بعده أحداً من انتهى شرفه

في الأعاجم — الطبري ج ٤ ص ٧

الوجة (١)

وصل نبأ نكبة الفرس في المذار إلى أردشير ، فبعث الأندرزغر على رأس جيش عظيم ، وأردفه بجيش آخر عليه بهمن جاذويه وفصل الأندرزغر من المدائن (٢) حتى انتهى إلى كسكر ومنها إلى الوجة . وخرج بهمن جاذويه سالكا وسط السواد وحشر من بين الحيرة وكسكر من العرب والدهاقين واجتمع هؤلاء وأولئك بالوجة وتتام جمعهم وأعجب الأندرزغر ما هو فيه من كثرة ؛ فأجمع السير إلى خالد

بلغ خالداً - وهو بالثني - تجمع الفرس ونزولهم الوجة خلف سويد ابن مقرن على من ورائه ، وليحمي ظهره ، ويحتفظ بما فتح ، وأوصى من خلف بالحذر والحيلة وسار هو قاصداً الأندرزغر ومن اجتمع عليه بالوجة وجعل جيشه فرقاً ثلاثاً : تقدم هو باحداها يلقي بها عدوه والثنتين جعلهما كميناً له في ناحيتين وعليهما بسر بن أبي رهم وسعيد بن مرة التقى الجمعان في صفر واقتلوا قتلاً شديداً حتى نفذ الصبر واستبطا خالد كمينه وهما على ذلك إذا بالكمين يكتنف الفرس من ناحيتين فانهزموا

(١) الوجة بأرض كسكر مما يلي البر وفيها يقول القعقاع بن عمرو :

ولم أرقوما مثل قول رأيهم على ولجات البر أحى وأنجبا
وأقتل للرواس في كل مجمع إذا ضعضع الدهر الجوع وكسكبا

معجم البلدان ج ٨ ص ٤٣٣

(٢) المدائن مسكن الملوك من الأتاسرة الساسانية وغيرهم — معجم البلدان

ج ٧ ص ٤١٣

(٣) كسكر بالفتح ثم السكون وكاف أخرى وراء معناه عامل الزرع . كورة واسعة وقصبتها اليوم واسط القصبة التي بين الكوفة والبصرة — معجم البلدان ج ٧ ص ٢٥١

وولوا الأدبار ، فأخذهم خالد من بين أيديهم والكمين من خلفهم ومضى
الأندرزغر في هزيمته حتى مات عطشاً ، ولم يتعرض خالد للفلاحين بسوء
ودعاهم إلى الجزاء والذمة فأجابوا وترجعوا

وأصيب في هذه الموقعة كثير من نصارى العرب من بكر بن وائل
فيهم ابن لجابر بن بجير وابن لعبد الأسود العجلي ، فغضب لهم نصارى
قومهم ، وكاتبوا الفرس وواطؤوهم على حرب المسلمين فكان ذلك سبباً
في واقعة اليس

اليس^(١)

في هذه الموقعة انضم نصارى العرب إلى الأعاجم وصاروا عوناً
للفرس على المسلمين وكان عليهم عبد الأسود العجلي وعلى الفرس جابان
وكان قد أمره بهمن جاذويه ألا ينزل العرب إلا أن يعجلوه وأن يكفكف
جنده حتى يلقي الملك فيحدث به عهداً ثم يلحق به
بلغ خالد أجمع نصارى العرب من بني عجل و تيم و ضبيعة و عرب الضاحية
فنهدهم لهم وكل همهم متجه لمواقعتهم ولا علم له بجابان وانضمام الفرس
لجموع العرب

أقبل خالد وهو على تعبئة ، وقد أعد القوم طعامهم فأظهروا عدم
الاكتراث بخالد والتهاون بأمره ، وتذاعوا إلى الطعام ، وتوافوا إليه
بيد أن خالد لم يدعهم يهنأون بطعامهم بل أجهضهم عنه واقتتلوا أشد

(١) اليس بوزن فليس والسين مهملة الموضع الذي كانت فيه الواقعة بين
المسلمين والفرس في أول أرض العراق من ناحية البادية — معجم البلدان ج ١ ص ٣٢٨

القتال وكان على مجنبتى جابان عبد الأسود والأبجر وقد زاد في كلب
الأعداء وشدتهم ما يتوقعونه من لحاق بهم من جاذويه بهم في مدد كبير
وحر بهم المسلمون ، فكشفوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة قدرت
بسبعين ألفاً جلهم من أمغيشيا ، وأمعن خالد في قتلهم حتى اختلط دمهم
بالنهر^(١) ، وخلفهم المسلمون على طعامهم ونقلهموه خالد ، وبعث إلى
أبي بكر بالفتح والأخماس وبقدر الفى وأهل البلاء مع أحد بنى عجل
واسمه « جندل »^(٢)

ومن طريف ما يذكر أن المسلمين حينما قعدوا لعشائهم جعل من لم
ير الأرياف ولا يعرف الرقاق يقول : ما هذه الرقاق البيض فيجيبه
مازحاً من قد عرفها قائلاً : « هل سمعتم برقيق العيش ؟ فيقولون نعم ،
فيقولون هو هذا ، فسمى الرقاق ، وكانت العرب تسميه القرى وكانت هذه
الوقائع التي تقدمت في صفر من سنة ١٢ ما عدا الأبله فانها كانت في المحرم .

أمغيشيا^(٣)

بعد أن فرغ خالد من أليس نهض حتى أتى أمغيشيا وقد جلا عنها

(١) كان خالد قد نذر إن منحه الله أكتافهم ألا يستبق منهم أحداً قدر عليه حتى
يجرى نهرهم بدمهم ، فلما تمكن منهم وكل بهم من يضرب أعناقهم في النهر ، ولما لم تجر
دماؤهم أشار عليه القعقاع بن عمرو وأشياه له بأن يرسل الماء على الدماء برا يمينه فجرى
دما عيطا ، فسمى نهر الدم لذلك الشأن إلى اليوم — الطبرى ج ٤ ص ١١

(٢) كان هذا العجلى دليلاً صارماً ولما قدم على أبي بكر وأخبره بما صنع المسلمون
أمر له بجارية من ذلك السبي — الطبرى ج ٤ ص ١١

(٣) أمغيشيا بفتح أوله وسكون ثانيه والغين المعجمة مكسورة وياء ساكنة والشين =

أهلها وأعجلوا عما فيها وتفرقوا في السواد ، فأمر بهدمها وهدم كل شيء كان في حيزها (وكانت مصر الحيرة وكانت أليس من مسالحها وعندها ينتهي فرات بادي) وأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله منذ وقعة ذات السلاسل ، فقد بلغ سهم الفارس ١٥٠٠ درهم سوى أنفال أهل البلاء ولما وصلت الأخماس والفتح لأبي بكر وبلغه ما صنع خالد والمسلمون قال : « يامعشر قريش ... عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله أعجزت النساء أن ينشئن مثل خالد » ^(١)

وهذه القولة من أبي بكر من أحسن المدح لخالد ، فهي تبين لنا الكثير من نواحي عظمته وتكشف في جلاء ووضوح عن تقدير أبي بكر له واعتقاده فيه أنه وحيد متفرد

وكان الاستيلاء على أمغيشيا توطئة لفتح الحيرة
الحيرة ^(٢)

بلغ الأراذبة مرزبان الحيرة ما صنع خالد فعلم أنه غير متروك فاستعد

= معجمة ويا وألف قال أبو مقرن الأسود بن قطبة

لقينا يوم أليس وأمغى	ويوم المقر آساد النهار
فلم أر مثلها فضلات حرب	أشد على الجحاحجة الكبار
قتلنا منهم سبعين ألفا	بقية حربهم نخب الاسار
سوى من ليس يحصى من قتيل	ومن قد غال جولان الغبار

معجم البلدان ج ١ ص ٣٣٦

(١) الطبري ج ٤ ص ١١

(٢) الحيرة بالكسر ثم بالسكون وراء مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ... وبالحيرة : الخورتق بقرب منها ما يلي الشرق على نحو ميل ، والسدير في وسط البرية التي بينها وبين الشام كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نصر ... ويقال =

وتهيأ للحرب ، وقدم ابنه أمامه ، وخرج على أثره وعسكر خارج الحيرة
وأمر ابنه بسد الفرات ، وتفجير الأنهار التي تأخذ منه
خرج خالد من أمغيشيا ، وحمل الرجل في السفن مع الأنفال والأثقال
فلم يفجأ المسلمين إلا السفن جوانح ، فارتاعوا لذلك فأخبرهم الملاحون
بأن الفرس قد فجروا الأنهار وسدوا الفرات ، فسلك الماء غير طريقه ،
فتعجل خالد في جريدة من الخيل نحو ابن الأزازبة وفجىء خيلا من خيله
على فم العتيق وهم آمنون من الغارة في تلك الساعة ، فأنامهم بالمقر^(١)
ثم سار من فوره وسبق الأخبار حتى لقي ابن الأزازبة وجنده على فم
فرات بادقلى فاقتتلوا ، فأوقع بهم خالد وفجر الفرات ، وسد الأنهار
فسلك الماء سبيله .

قصد خالد الحيرة ، وسار حتى نزل الخورنق فعبر الأزازبة الفرات
هارباً من غير قتال لما دهمه من مصاب ابنه وموت أردشير . ولما تلاحت
جموع المسلمين بالخورنق خرج بهم خالد حتى عسكر بين العزيين والقصر
الأبيض (وهو موضع عسكر الأزازبة) وأهل الحيرة متحصنون في

== لها : الحيرة الروحاء . قال عاصم بن عمرو :

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا ورجلا فوق أثباح الركاب
حضرنا في نواحيها قصورا مشرفة كأضراس الكلاب

معجم البلدان ج ٣ ص ٣٧٦

(١) المقر بالفتح ثم السكون . . . موضع قرب فرات بادقلا من ناحية البر من
جهة الحيرة كانت به وقعة للمسلمين وأميرهم خالد . . . قال عاصم بن عمرو :

ألم ترنا غداة المقرقتنا بأنهار وساكنها جهارا
قتلناهم بها ثم انكفأنا إلى فم الفرات بما استجارا

معجم البلدان ج ٨ ص ١٢٤

قصورهم فاجال عليهم الخيل في عرصاتهم^(١) ووكل بكل قصر رجلاً يحاصر من فيه ويقاتلهم، وعهد إلى أولئك القواد أن يدعوهم فإن لم يقبلوا أجلوهم يوماً ثم يناجزونهم ففعلوا واختار القوم المنابذة، وكان أول الأمراء بدءاً للقتال ضرار بن الأزور^(٢) فإنه حين رآهم عمدوا الرمي المسلمين بالخزف أمر بأن يرشقوهم بالنبل وتابعه الأمراء على مثل ذلك، فافتحو الدور والديرات، وأكثروا القتل؛ فنادى القسيسون والرهبان يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم. ونادى أهل القصور أن قد قبلنا واحدة من ثلاث؛ فكفروا عنا، وبلغونا خالدًا فنزل نقيباء الحيرة إلى أمراء المسلمين؛ فأرسلوهم إلى خالد وهم على مواقفهم.

وكان أول الرؤساء طلباً للصلح عمرو بن عبد المسيح وتبعه بقية الرؤساء فأرسلهم الأمراء إلى خالد ومع كل واحد منهم ثقة ليصالح عليه أهل الحصن، فخلا خالد بأهل كل حصن على حدة ولا مهم. ومما قال لهم: «ويحكم ما أتم؟ أعرب فما تنقمون من العرب أو عجم فما تنقمون من الانصاف والعدل»^(٣) وقال لهم اختاروا واحدة من ثلاث: الدخول

(١) العرصات جمع عرصة بوزن ضربة وهي كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها

بناء — مختار الصحاح

(٢) وكان محاصراً للقصر الأبيض وفيه إياس بن قبيصة الطائي وكان ضرار بن الخطاب محاصراً قصر العدسيين وفيه عدي بن عدي. وضرار بن مقرن المزي محاصراً قصر بني مازن وفيه ابن أكال. والمثنى محاصراً قصر ابن ببيعة وفيه عمرو بن

عبد المسيح — الطبري ج ٤ ص ١٢

(٣) تلك سياسة رشيدة تدل على الكياسة والمهارة وتشعرنا بأن خالدًا سياسيًا

ماهر يتأقن للأمر كما هو قائد بطل مجرب

في الاسلام أو الجزية أو المنابذة فقد والله أتيتكم بقوم هم على الموت
أحرص منكم على الحياة ، فاختاروا الجزية وصالحوه على ١٩٠ ألف
وأهدوا له الهدايا

أرسل خالد بالفتح والهدايا إلى أبي بكر فقبلها على أن تكون من
الجزاء وكتب إلى خالد : أن احسب لهم هديتهم من الجزاء وخذ بقية
ما عليهم فقبوها أصحابك ، وكتب لهم خالد كتاب صلح هذا نصه : ^(١)
« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عدياً
وعمر بن عدى وعمرو بن عبد المسيح وإياس بن قبيصة وحيرى بن أ كال
وهم نقباء أهل الحيرة ورضى بذلك أهل الحيرة وأمروهم به ، عاهدتهم
على تسعين ومائة ألف درهم فقبل في كل سنة جزاء عن أيديهم في الدنيا
رهبانهم وقسيسهم إلا من كان منهم على غير ذى يد حبساً عن الدنيا
تاركاً لها وعلى المنعة فإن لم يمنعهم فلا شيء عليهم حتى يمنعهم ، وإن غدروا
بفعل أو بقول فالذمة منهم بريئة ، وكتب في شهر ربيع الأول من سنة ١٢
ومن طريف ما يحكى أن رجل اسمه شويل كان قد سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبشر المسلمين بفتح الحيرة فسأله كرامة بنت عبد المسيح
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هي لك إذا فتحت عنوة فلما فتح
خالد الحيرة وطلب أهلها الصلح جاء شويل هذا إلى خالد يطلب الوفاء

(١) الطبرى ج ٤ ص ١٤ - وقال القعقاع بن عمرو في أيام الحيرة :

سقى الله قتلى بالفرات مقيمة وأخرى أثباج النجاف الكوائف
فنحن وطيننا بالكواظم هرما وبالثنى قرنى قارن بالجوارف
ويوم أحطنا بالقصور تتابعت على الحيرة الروحاء إحدى المصارف

بما وعده إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له جماعة بان ذلك كان
 فجعل خالد في صلحهم تسليم لرامة فشق ذلك على قومها ، وأظلموا
 الخطر فقالت لا تخطروه ولكن اصبروا ما تخافون على امرأة بلغت ثمانين
 سنة فانما هذا رجل أحق رأي في شيبتي فظن أن الشباب يدوم فدفعوها
 إلى خالد فدفعها خالد إليه فقالت ما أربك إلى عجز كما ترى : فادنى
 قال لا إلا على حكى ، قالت فلك حكك مر سلا فقال : لست لأم شويل
 إن نقصتك من ألف درهم فاستكثر ذلك لتخذه ثم أتته بها فرجعت
 إلى أهلها فتسامع الناس بذلك فعنفوه فقال : ما كنت أرى أن عدداً
 يزيد على ألف فقال خالد أردت أمرا وأراد الله غيره نأخذ بما يظهر
 وندعك ونيتك كاذبا كنت أو صادقا^(١)

ولما صالح خالد أهل الحيرة جاء صلوبا بن نسطونا صاحب قس
 الناطف حتى دخل على خالد فصالحه على بانقيا وباروسما^(٢) وضمن له
 ما عليهما وعلى أرضيهما من شاطئ الفرات على عشرة آلاف دينار
 سوى خريزة كسرى وكتب لهم كتابا هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن
 نسطونا وقومه إنى عاهدتكم على الجزية والمنعة على كل ذي يد بانقيا وباروسما

(١) الطبرى ج ٤ ص ١٦

(٢) وذكروا ياقوت في معجمه أنهم قاتلوا خالدا ليلة حتى الصباح ؛ فلما رأوا أنه
 لا طاقة لهم بحربه طلبوا الصالح ؛ فصالحهم وقال في ذلك ضرار بن الأزور :
 أرقبت بيانقيا ومن يلق مثل ما لقيت بيانقيا من الحرب يارق

وبانقيا بكسر النون ناحية من نواحي الكوفة - معجم البلدان ج ٢ ص ٥٠ وباروسما
 الواو والسين ساكتان : ناحيتان من سواد بغداد - معجم البلدان ج ٢ ص ٣٤

جميعا على عشرة آلاف دينار سوى الخرزة : القوى على قدر قوته والمقل على قدر إقلاله في كل سنة وإنك قد نقبت على قومك وإن قومك قد رضوا بك وقد قبلت ومن معي من المسلمين ورضيت ورضى قومك فلك الزمة والمنعة فان منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا حتى نمنعكم . شهد هشام بن الوليد والقعقاع ابن عمرو وجرير بن عبد الله الحميري وحنظلة بن الربيع . وكتب سنة اثنتي عشرة في صفر «^(١)

كان الدهاقين يتربصون بخالد وينظرون ما يصنع أهل الحيرة فلما استقام ما بينهم وبين خالد أتته الدهاقين فصالحوه على ما بين الفلاليج^(٢) إلى هرمز جرد على ألف درهم إلا ما كان لآل كسرى ومن لف لفهم وأبى الدخول في الصلح فانه للمسلمين ولا يشملهم الصلح . وهاك نص كتاب صلحهم :^(٣)

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لزاد بن بهيش وصلوبا بن نسطونا إن لكم الذمة وعليكم الجزية وأتم ضامنون لمن نقبتم عليه من أهل البهقباذ الأسفل والأوسط على ألفي ألف تقبل في كل سنة عن كل ذي يد سوى ما على بانقيا وبسما وإنكم قد أرضيتموني والمسلمين وأنا قد أرضيناكم وأهل البهقباذ الأسفل ومن دخل معكم من أهل البهقباذ الأوسط على أموالكم ليس فيها ما كان لآل كسرى ومن مال ميلهم

(١) الطبري ج ٤ ص ١٦

(٢) الفلاليج بالفتح وفلاليج السواد قراها إحداها فلوجة - معجم البلدان ج ٦ ص ٣٩١ ، وهرمز جرد ناحية كانت بأطراف العراق - معجم البلدان ج ٨ ص ٤٦٠

(٣) الطبري ج ٤ ص ١٧

شهد هشام بن الوليد والقعقاع بن عمرو وجريز بن عبد الله الحميري
وبشير بن عبيد الله بن الخصاصية وحنظلة بن الربيع . وكتب سنة اثنتي
عشرة في صفر» (١)

فتح خالد جانباً كبيراً من العراق ، وغلب الفرس على خير شقي السواد
وجعل الحيرة مقراً للقيادة العليا ، ومركزاً للأعمال الحربية ، ومعقلاً
لجيوش المسلمين وأن له أن ينظر فيما فتحه نظر تنظيم وتدير ، ويرتب
أمور البلاد التي غلب عليها فيوهن عزم الفرس ويقضى على أملهم في إعادة
شيء مما فقدوه ؛ فبث مساحله وعماله لجباية الخراج ، وحماية الشغور . وبهذه
المناسبة نرى من الحسن أن نذكر كلمة عن عمال خالد وأمرائه :

عمال خالد وأمرؤه :

كان عمال الخراج في زمنه : عبد الله بن وثيمة النصرى على الفلاليج
وجريز بن عبد الله على بانقيا وبسما وبشير بن الخصاصية على النهرين
وسويد بن مقرن المزني على تسترواط بن أبي أط على روذمستان (٢)
وأما أمراء الشغور فكانوا : ضرار بن الأزور . وضرار بن الخطاب .
والمشني بن حارثة . وضرار بن مقرن . والقعقاع بن عمرو وبسر بن
أبي رهم وعتيبة بن النهاس فنزلوا على السيب (٣) في عرض سلطانه

(١) يظهر أن تاريخ هذا الكتاب والذي قبله بشهر صفر ليس على ما ينبغي لأن
كتابتهما كانت بعد فتح الحيرة وهي فتحت في شهر ربيع الأول ويبدو لنا أن تحديد
الشهر من وضع الرواة وليس من صلب العقد لأن التاريخ لم يكن اصطلاح عليه

(٢) وقد جئنا الخراج إلى خالد في خمسين ليلة - الطبري ج ٤ ص ١٨

(٣) السيب بكسر أوله وسكون ثانيه وأصله مجرى الماء كالنهر وهو كورة من سواد

الكوفة . والسيب أيضاً نهر بالبصرة فيه قرية كبيرة - معجم البلدان ج ٥ ص ١٩٠

أراد خالد أن يتقدم إلى الفرس وأن يعذرهم من نفسه بعد ما صدمهم مراراً وعرفوا حدته ويمن نقيبته لعل منهم من يثوب إليه رشده ويعاوده عقله فيعطى بيده فيأمن ويأمن قومه ، ثم أراد أن يمر عيشهم ويحل عزائمهم فبعث إليهم بكتابين هما أشد من الصواعق وأمر على أنفسهم من كل ما لا قوه منه: أحدهما للخاصة والآخر للعامة . وقال مرة الحيرى حين بعثه لمملك فارس: اذهب إليهم فلعل الله أن يمر عيشهم أو يسلموا أو ينيبوا . وهذا نص كتاب الخاصة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى ملك فارس . أما بعد فالحمد لله الذى حل نظامكم ، ووهن كيدكم ، وفرق كلمتكم ولو لم يفعل ذلك بكم كان شراً لكم فادخلوا فى أمرنا ندعكم وأرضكم ونجوزكم إلى غيركم وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على غلب على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة »

وقال لهز قيل حين وجه به إلى المرازبة : اللهم أزهِق روحهم . وهذا نص كتابهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس أما بعد فأسلوا تسلموا وإلا فاعتقدوا منى الزمة وأدوا الجزية ، وإلا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر » ^(١)

وفى هذا الوقت الذى كان يمخر فيه المسلمون فيما دون دجلة ، كان أهل فارس يموتون أردشير مختلفين فى الملك مجتمعين على قتال خالد متساندين وكانوا بذلك سنة والمسلمون يمحرون ما دون دجلة وليس لأهل فارس

فيما بين الحيرة ودجلة أمر وليس لأحد منهم ذمة إلا الذين كاتبوه واكتبوا
منه وسائر أهل السواد جلاء محصنون ومحاربون (١)

ولم يكن لأهل فارس هم إلا المدافعة عن بهر سير (٢) فلما أن جاءتهم
كتب خالد أحبوا أن يفرغوا من تنازعهم واختلافهم وأن يجمعوا كلمتهم
على رجل يختارونه ؛ فولوا عليهم الفرخزاد بن البندوان (ولم يكن من
بيت الملك) إلى أن يجدوا من آل كسرى من يجتمعون عليه

ولما استقام لخالد أمره واطمأن على الشغور استخلف على الحيرة
الققعقاع بن عمرو وسار لاغاثة عياض بن غنم الذي بعثه أبو بكر لفتح
العراق من أعلاه وعلى مقدمته الأقرع بن حابس فسلك الفلوجة (٣) حتى
نزل بكر بلاء (٤) وعلى مسلتها عاصم بن عمرو فأقام بها أياماً ثم نادى بالرحيل
حتى انتهى إلى الأنبار .

الأنبار (٥)

لما بلغ أهل الأنبار نبأ خالد تحصنوا وامتنعوا وخندقوا على أنفسهم
وأشرفوا من الحصن ووافاهم خالد على مقدمة الجيش فأطاف بالخندق

(١) الطبري ج ٤ ص ١٨

(٢) بالفتح ثم الضم وفتح الراء وكسر السين المهمة وياء ساكنة وراء . من نواحي

سواد بغداد قرب المدائن - معجم البلدان ج ٢ ص ٣١٤

(٣) الفلوجة الأرض المصلحة للزرع - معجم البلدان ج ٦ ص ٣٩٨

(٤) كربلاء موضع قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما وهي في طرف البرية قريبا

من الكوفة - معجم البلدان ج ٧ ص ٢٢٩

(٥) الأنبار مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ - معجم البلدان

وتوأ أنشب القتال — لأنه كان لا يصبر عن الحرب إذا رآها أو سمع بها — وقال لرماته : « إني أرى أقواماً لا علم لهم بالحرب فارموا عيونهم ولا تحروا سواها » فأصابوا فيهم ألف عين ، فتصايح القوم : ذهبت عيون أهل الأنبار فراسل شيراز صاحب ساباط — وكان أعقل أعجمي يومئذ وأسوده وأقنعه في الناس العرب والعجم — خالداً في الصلح على أمر لم يرضه وعمد خالد إلى الابل العجاف ^(١) في جيشه فنحرها ورمى بها في أضيق مكان في الخندق فأفعمه ثم اقتحمه على جسر من تلك الرذايا وصار معهم داخل الخندق فأرزوا ^(٢) إلى حصنهم فطلب شيراز الصلح على ما أراد خالد ، على أن يخليه ويلحقه بمأمنه في جريدة خيل ليس معهم من الأموال والمتاع شيء ، فوفي له خالد وانتهى بذلك أمر الأنبار . وجاء من حولها كذلك فصالحوه

وقيادة خالد لمقدمة الجيش وطوافه بنفسه حول الخندق لتعرف مواطن الضعف فيه ثم إنشابه للقتال توأ ولونه لا يصبر عن الحرب إذا رآها أو سمع بها ثم فراسته في تعرف قدرة عدوه على الحرب وخبرته بها فيتحرى ناحية الضعف في عدوه فيأتيه منها ويحاربه بنوع السلاح الذي لا يحسنه وهو بعد ذلك لا يفوته أن يعتمد إلى الحيلة للنكاية بعدوه كل هذا يكشف لنا عن كثير من نواحي تلك المهارة الحربية التي امتاز بها ولما استقام لخالد أمر الأنبار استخلف عليها الزبرقان بن بدر وتوجه إلى : —

(١) العجاف جمع عجفاء وهي الهزيلة - مختار الصحاح . والرذى كفى من أثقله

المرض والضعيف من كل شيء وهي بهاء جمع رذايا - القاموس المحيط

(٢) أرزى إليه التجأ واستند - القاموس المحيط

عين التمر^(١)

وكان بها يومئذ مهران بن بهرام جوين في جمع عظيم من العجم ،
وعقّة بن أبي عقّة في جمع عظيم من العرب من التمر وتغلب وإياد ومن
لافهم وحين سمعوا بمسير خالد إليهم قال عقّة لمهران : « إن العرب
أعلم بقتال العرب فدعنا وخالد أقال صدقت لعمري لأنتم أعلم بقتال
العرب وإنكم لمثلنا في قتال العجم » فخدعه وغرر به وورطه ليتقى به
عز ذلك على من معه من العجم فقالوا له : كيف تقول ما قلت لهذا
الكلب ، وكان العجم يحقرون العرب . فقال لهم دعوني فاني لم أرد إلا
ما هو خير لكم وشر لهم : إنه قد جاءكم من قتل ملوككم وفل حدمكم
فاتقيته بهم فان كانت لهم على خالد فهي لكم وإن كانت الأخرى لم يبلغوا
منهم حتى يهنوا فنقاتلهم ونحن أقوىاء وهم يضعفون ، فحمدوا له رأيه
نزل عقّة لخالد على الطريق وصار كالخفير لمهران الذي اعتصم بالحصن
وبينه وبين عقّة مقدار غدوة أو روحة وقدم خالد على تعبئة ووكل بنفسه
حوامى ثم حمل على عقّة وهو يعدل صفوفه فاحتضنه فأخذه أسيرا
وانهزم جنده وأتبعهم المسلمون وأمعنوا في أسرهم
بلغ الخبر مهران فترك الحصن وهرب في جنده من غير قتال والتجأ
فلال عقّة إلى الحصن فاحتجموه واعتصموا به ونزل خالد على الحصن

(١) عين التمر بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة . . . وهي على طرف البرية
افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد سنة ١٢ - معجم البلدان

وحاصره وعقة أسير معه وكان من في الحصن يرجون أن يكون خالد
كغيره من مغيرة العرب لا يلبث أن يتركهم متى ظفر بالغنائم والأموال
فلما رأوه غير تاركهم طلبوا الأمان فأبى إلا على حكمه فلبوا فدفعهم إلى
المسلمين وضرب عنق عقة وطرحه على الجسر ليؤيسهم من الحياة،
ثم انثنى عليهم فضرب أعناقهم جميعا واستلم الحصن وغنم كل ما فيه ووجد
في بيعتهم أربعين غلاما يتعلمون الانجيل فقال ما أتم قالوا رهن فتمسهم
في أهل البلاء وكان منهم من أعقب رجالا عظماء كان لهم شأن يذكر في
دولة الاسلام: منهم نصير أبو موسى بن نصير، وسيرين أبو محمد بن
سيرين، وحران مولى عثمان

أرسل خالد الوليد بن عقة بالفتح والآنخاس إلى أبي بكر فوجهه
أبو بكر مددا لعياض بن غنم؛ فقدم عليه وهو محاصر دومة الجندل وأهلها
محاصروه وقد أخذوا عليه الطريق فقال له: الرأى في بعض الحالات
خير من جند كثيف ابعث إلى خالد واستمده ففعل وقدم رسول عياض
على خالد مستغيثا عقب فراغه من عين التمر؛ فعجل خالد إلى عياض
بكتابه المشهور: من خالد إلى عياض إياك أريد

لبث قليلا تأتتك الجلائب يحملن آسادا عليها القاشب

كتائب يتبعها كتائب

استخلف خالد على عين التمر: عويم بن السكاھل الأسلى وخرج في

تعبئته التي دخل بها العين يريد دومة الجندل :

دومة الجندل (١)

ولما بلغ أهل دومة سير خالد إليهم استنفروا أشياعهم ، من بهراء و كلب وغسان و تنوخ والضجاعم ومن قبل قد أتاهم وديعة في كلب و بهراء و مسانده ابن وبرة بن رومانس و أتاهم ابن الحدر جان في الضجاعم و ابن الأيهم في طوائف من غسان و تنوخ « فأشجوا عياضا و شجوا به و كان عليهم رئيسان : أكيدر بن عبد الملك ، و الجودي بن ربيعة فلما دنا منهم خالد اختلفوا فقال أكيدر : أنا أعلم الناس بخالد لا أحد أيمن طائرا منه و لا أحد في حرب و لا يرى وجه خالد قوم أبدا قلو أو كثروا إلا انهزموا عنه فأطيعوني و صالحوا القوم فأبوا عليه فقال : لن أملككم على حرب خالد فشأنكم فخرج لطيته (٢)

علم خالد بخروج أكيدر فبعث إليه عاصم بن عمرو فعارضه و أتى به خالد فضرب عنقه جزاء غدره و خيائته لأنه كان قد عاهد النبي صلى الله عليه و سلم من قبل فغدر

مضى خالد حتى نزل على أهل دومة و عليهم الجودي بن ربيعة و وديعة

- (١) دومة الجندل بضم أوله و فتحه و قد أنكر ابن دريد الفتح ... و هي على سبع مراحل من دمشق بينها و بين مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم ... و قال أبو عبيد السكوني : دومة الجندل حصن و قرى بين الشام و المدينة قرب جبل طيء ... و أهل كتب الفتوح مجمعون على أن خالد بن الوليد غزا دومة أيام أبي بكر عند كونه بالعراق سنة ١٢ و قتل أكيدر لأنه كان قد نقض و ارتد - معجم البلدان ج ٤ ص ١٠٦ : ١٠٧
- (٢) رأى أكيدر هذا رأى صائب مبنى على خبرة سابقة ، فقد كانت له مع خالد موقعة قبل ذلك حين بعثه النبي صلى الله عليه و سلم و هو بتبوك فقتل أخاه و أسره و جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فصالحه و رده إلى بلده

الكلبي وابن رومانس الكلبي وابن الأيهم وابن الحدرجان وكان موقف
خالد بحيث جعل دومة بينه وبين عياض بن غنم وكان الذين أمدوا أهل
دومة من نصارى العرب محيطين بالحصن لأنه لم يتسع لهم

لم يخف على القوم ما حل بهم : فرتبوا أنفسهم ، فنقض الجودي
بوديعة لخالد وابن الحدرجان وابن الأيهم لعياض فأمكن الله المسلمين من
الفريقين فأسر خالد الجودي والأقرع وديعة والتجأ بقية الناس إلى الحصن
فلم يحملهم وأوصده من فيه دونهم ، فظلوا تحت السيف حرداء وأجار
عاصم بن عمرو ومن معه من تميم حلفاءهم من كلب (١)

وأعمل خالد السيف في الذين التجأوا إلى الحصن حتى أفناهم وسد بهم
بابه وضرب عنق الجودي والأسرى ما عدا أسارى كلب لأمان عاصم
وبني تميم لهم ثم اقتلع باب الحصن وقتل من فيه

أمر خالد الأقرع بن حابس بالرجوع إلى الأنبار وأقام هو بدومة
فكانت إقامته مدعاة لطمع الأعاجم وظهرهم به الظنون وكذلك ظنها عرب
الجزيرة فرصة — وهم لم ينسوا بعد مصرع عقة — فكاتبوا الأعاجم
ليكونوا معهم على خالد غضباً لعقة : فخرج زرمهر من بغداد ومعه روزه
يريدان الأنبار واتعدا حصيدا والخنافس : فوصل خبرهم الزبرقان بن
بدر — وهو على الأنبار — فاستمد القعقاع خليفة خالد على الحيرة فأمدّه
بأعبد بن فدي السعدي وأمره بالحصيد وبعروة بن الجعد البارقي وأمره
بالخنابس وقال لهما : إن رأيتما مقدماً فاقداً فخرجا ومنعاهما وحالا بينهما

(١) قال عاصم بن عمرو : « حلفاؤكم كلب أسروهم وأجبروهم فانكم لا تقدرون

وبين الريف فتربصا بالمسلمين اجتماع من كاتبهما من ربيعة ثم يصادمونهم
فلما رجع خالد إلى الحيرة وبلغه الذي كان عجل بارسال القعقاع وأبي ليلى
إلى روزبة وزرمهر فسبقاهما إلى عين التمر

وصل خالد أ كتاب من امرئ القيس الكلبي بأن الهذيل بن عمران
قد عسكر بالمصيخ وربيعة بن بشر قد عسكر بالشني وبالبشر غضباً لعقة
وأنهما يريدان زرمهر وروزة فاستخلف عياض بن غنم على الحيرة ونهد
وعلى مقدمته الأقرع بن حابس فسللك طريق القعقاع وأبي ليلى إلى الخنافس
حتى قدم عليهما بعين التمر ، فبعث القعقاع إلى الحصيد وجعله أميراً على
الناس وأبا ليلى إلى الخنافس وأمرهما أن يزجوهن ويدفعوهن كي يجتمعوا
هم ومن تاشب إليهم فيصدمهم المسلمون صدمة واحدة ويفرغوا منهم .
ولكن يظهر أنهم فطنوا لنية المسلمين بهم ؛ فلم يجتمعوا ولم يمكنوهم
من أنفسهم

رأى القعقاع بن عمرو أن وزرمهر وروزة لم يتحركا فسار يريد الحصيد

الحصيد (١)

وكان روزبة رئيس من به من العرب والعجم فلما علم بقصد القعقاع
إليه استمد زرمهر فأمده بنفسه واستخلف على عسكره المهبودان والتقى

(١) الحصيد بالفتح ثم بالكسر ويا ساكنة ودال مهملة : موضع في أطراف
العراق من جهة الجزيرة ... قال القعقاع بن عمرو :

ألا أبلغا أسماء أن حليلها قضى وطرا من روزمهر الأعاجم
غداة صبحنا في حصيد جموعهم بهندية تغرى فراخ الجماجم

الجمعان فقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة من بينهم رزمهر وروزبه (١)
وغنموا منهم مغنم كثيرة والتجأ فلال الحصيد إلى :

الخنافس

فسار إليهم أبو ليلى بمن معه ومن انضم إليه فلما أحس به المهوذان
هرب هو وجنده ومن التجأ إليه وأرزوا إلى المسيخ وبه الهذيل بن
عمران فاستولى المسلمون على الخنافس بغير قتال وبعثوا إلى خالد بالخبر

المسيخ (٢)

انتهى خبر الحصيد والخنافس إلى خالد فواعد قواده القعقاع بن عمرو
وأبا ليلى وأعبد وعروة ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المسيخ فتوافوا إليها
في موعدهم وبيتوا الهذيل ومن أوى إليه من ثلاثة أوجه فأناموهم وامتلاً
الفضاء برمهم كائهم غنم مصرعة وأفلت الهذيل في نفر قليل من أصحابه
أصاب جرير بن عبد الله وهو في المعركة يوم المسيخ رجلين كانا
قد أسلما ومعهما كتاب من أبي بكر بإسلامهما وهما : عبد العزى بن

(١) رزمهر قتله القعقاع وروزبه قتله عصمة بن عبد الله الضبي - الطبري ج ٤ ص ٢٤
(٢) المسيخ . قال الطبري هي بين حوران والقلت وذكره في بعض رواياته
وتابعه ابن الأثير بضاد وفي آخره حاء وهو غلط كما يعلم من معجم البلدان إذ يقول :
المسيخ بضم الميم وفتح الصاد المهملة وياء مشددة وخاء معجمة يقال له مسيخ بن البرشاء
وهو بين حوران والقلت وكانت به وقعة هائلة لخالد على بني تغلب . فقال التغلبي :
يا ليلة ما ليلة المسيخ . . . وقال القعقاع بن عمرو :

سائل بنا يوم المسيخ تغلبا وهل عالم شيئا وآخر جاهل
طرقناهم فيها طروقا فأصبحوا أحاديث في أفناء تلك القبائل

أبي رهم وليد بن جرير ولما بلغ أبا بكر قول عبد العزى ليلة الفارة :
 أقول إذا طرق الصباح بغارة سبحانك اللهم رب محمد
 سبحان ربى لا إله غيره رب البلاد ورب من يتورد
 وداهما وأوصى بأولادهما . وكان عمر يعتد على خالد بقتلهما وقتل مالك
 ابن نويرة فيقول أبو بكر « كذلك يلتقى من ساكن أهل الحرب في ديارهم »
 وفي الحق إنه كان للرجلين متسع من الأرض يأمنان فيه وليس
 بهما من ضرورة تضطرهما إلى المقام في مستنقع الموت وفي وصف أعداء
 دينهم والمشاقين لأهل الاسلام . ومن ظن أنه يصنع صنيعهما ولا يكون
 موطناً نفسه على أن يكون طعاماً للسيوف فقد ظن عجزاً وليس لعمر حق
 في الاعتداد بهما على خالد (١)

الثنى والزميل (٢)

فرغ خالد من امر المصيح فأمر القعقاع وأبا ليلى أن يرتحلا أمامه
 وواعدهما ليلة ليغيروا على ربيعة بن بجير التغلبي وقد نزل الثنى والبشر
 ورتب الاغارة عليهما من نواح ثلاث كما فعل باهل المصيح ثم خرج واجتمع
 باصحابه فبيته ومن اجتمع له وإليه وجرده فيهم السيف فلم يفلت منهم مخبر

(١) تاريخ الخلفاء لأستاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار ص ٨٧

(٢) الثنى بالفتح ثم الكسر وياء مشددة بلفظ الثنى من الدواب ... وهو علم
 لموضع بالجزيرة قرب الشرقى شرقى الرصافة ... قال أبو مقرر :

طرقنا بالثنى بنى بجير يياتا قبل تصدية الديوك
 فلم نترك بها أرما وعجما مع النضر المؤزر بالسهوك

وبعث بالجنس مع النعمان بن عوف الشيباني^(١)

ولما انتهى خالد من الثنى قصد الزميل وفيه عتاب بن فلان في عسكر
ضخم وقد سبق إليه الخبر عن ربيعة وأوى إليه الهذيل حين نجا من المصيخ
فبيتهم بمثلها غارة شعواء من ثلاث جهات فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يقتلوا
قبلها مثلها وقسم الفء في الناس وبعث بالأخماس إلى أبي بكر مع الصباح
ابن فلان المزني

عطف خالد من البشر إلى الرضاب^(٢) وبها هلال بن عقة فأرفض
عنه أصحابه حين سمعوا بدنو خالد منهم واضطر هلال لأن يغادرها فلم
يلق المسلمون بها كيذا

الفراض^(٣)

بسط خالد سلطانه على سواد العراق وأبلى في عرب الجزيرة ونال
منهم ثم قصد الفراض (وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة) حتى
يحفظ ظهره ويأمن من أن يكون وراءه عورة حتى إذا قدر له أن يجتاز
السواد إلى فارس كان آمنا مطمئنا على ما فتحه^(٤)

فلما اجتمع المسلمون بالفراض اغتاضت الروم واحتاجت واستعانت
بمن يليها من مسالح الفرس فلبوا سراعا لأنهم حانقون حاقدون على خالد

(١) اشترى على كرم الله وجهه من السبايا بنت ربيعة بن بجير التغلبي فولدت له
عمرا ورقية - الطبري ج ٤ ص ٢٥

(٢) الرضاب موضع الرصافة قبل بناء هشام إياها - معجم البلدان ج ٤ ص ٢٥٩

(٣) الفراض تخوم الشام والعراق والجزيرة في شرق الفرات - معجم البلدان

ج ٦ ص ٣٥٠

(٤) تلك سياسة حكيمة وهي توافق إرشاد أبي بكر لخالد وعياض حينما بعثهما
لفتح العراق. راجع الطبري ج ٤ ص ٥

والمسلمين الذين أذلّوهم وكسروا شوكتهم كما استمدوا العرب من تغلب وإياد والنمر فأمدوهم وهم لم ينسوا بعد مصارع رة سائهم وأشرفهم فاجتمعت على المسلمين في تلك الموقعة جيوش الروم والفرس والعرب ثم ناهدوهم حتى إذا صار الفرات بينهم قالوا : إما أن تعبروا إلينا أو نعبر إليكم ؛ فلم ير خالد أن يزج بجيش المسلمين في تلك المخاطرة التي قد اتوا من فأجابهم : أن اعبروا إلينا فقالوا : ابتعدوا حتى نعبر فأبى خالد وقال : بل اعبروا أسفل منا فعبروا أسفل منهم فلما تناموا قالت الروم : امتازوا حتى نعرف اليوم ما كان من حسن أو قبيح من أين يجيء ^(١) ، فامتازوا ونشبت المعركة فاقتتلوا قتالا شديدا طويلا وحققت الهزيمة على جيوش المؤتلفين فقال خالد لأصحابه : ألحوا عليهم ولا ترفهوا عنهم فقتلوا منهم في المعركة وفي الطلب مائة ألف ^(٢) . وكانت هذه الواقعة آخر حروب خالد في العراق

أقام خالد على الفراض عشرة أيام بعد الموقعة ثم أذن بالرحيل إلى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة وأمر عاصم بن عمرو أن يسير بالجيش وجعل شجرة بن الأغر ساقه له وأظهر هو أنه سائر في الساقه بيد أنه ترك الجيش ومضى إلى الحبح

- (١) يشبه هذا ما صنعه خالد في حربه لمسيلمة الكذاب حيث أمر بأن يمتاز الناس فكان لعمله هذا أثر محمود في النصر ، راجع تفصيل ذلك في حربه لمسيلمة .
(٢) وفي هذه الموقعة يقول القعقاع بن عمرو :

لقينا بالفراض جموع روم وفرس غمها طول السلام
أبدنا جمعهم لما التقينا وبيتنا بجمع بني رزام
فما فتئت جنود السلم حتى رأينا القوم كالغنم السوام

حج خالد

فخرج متكئاً في عدة من أصحابه يعتسف البلاد حتى أتى مكة على السميت فتأتى له من ذلك ما لم يتأت لدليل ولا ريبال ، فقد جاز طريقاً من طرق الجزيرة لم ير أعجب ولا أصعب منه ، فكانت غيبته عن الجند يسيرة فما توافى إلى الحيرة آخرهم حتى وافاهم مع صاحب الساقة فقدموا معه ، ولا يعلم بحجه إلا من أفضى إليه بذلك من الساقة ولم يعلم الجند بحجه حتى رأوه وأصحابه محلقين رؤوسهم ومقصرين

علم أبو بكر بحجة خالد وتركه للجند وهو خير بأثر ذلك في نفوس جنده وجند أعدائه ، فأكبر ذلك واعتده إعجاباً منه بنفسه وبما أتيه له من الظفر واغتراراً بمن يجاوره من عدوه واستضعافاً لشأنهم^(١) فكتب إليه كتاباً قاربه فيه وباعده وهناه بحجه وعاتبه وتصادف أنه في ذلك الحين أرسل أمراء المسلمين الذين وجهوا لفتح الشام إلى أبي بكر يستمدونه فرأى أن يصيب غرضين بحجر فيظهر عتبه على خالد في صورة محسة كما يرسل نجدة ومدداً للمسلمين ويرمى الروم بالأسد الذي رمى به فارس فينسيهم به وساوس الشيطان فيقوض عرشهم كما زلزل عرش الأكاسرة من قبل فكتب إليه مع عبد الرحمن بن جميل الجمحي^(٢) :

« أن سر حتى تأتى جموع المسلمين باليردوك فأنهم قد شجوا وأشجوا وإياك أن تعود لمثل ما فعلت فإنه لم يشج الجموع من الناس يعون الله شجيك ولم ينزع الشجى من الناس نزعك فليهنأك أبا سليمان النية والحظوة

(١) تاريخ الاسلام لأستاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار ص ٩١

(٢) الأخبار الطوال ص ١١٢

فأتمم يتمم الله لك ولا يدخلنك عجب فتخسر وتذل وإياك أن تدل بعمل فان الله له المن وهو ولي الجزاء» (١)

والآن بعد أن انتهينا من فتوح العراق وقبل أن يسير خالد إلى الشام يحسن بنا أن نلقى نظرة على تلك الفتوح لنتبين مدى أثره فيها وما كان لها من عائدة مادية وأدبية لجيوش المسلمين

أثر خالد في فتوح العراق وفائدة ذلك للمسلمين

كان العرب ينظرون إلى الفرس نظر إجلال وتهيب مطمح نظر الواحد منهم أن يقف بباب كسرى وأن يؤذن له ليسجد بين يدي « شاهنشاه » ولقد بلغ من احتقار الفرس للعرب أنهم حتى بعد أن أوقع بهم خالد في عدة وقائع لم يعنوا بالعرب ولم يكثر ثوابهم ويظهر ذلك مما مر بنا في موقعة الیس فقد هياؤا طعامهم ولم يأبها بجيوش العرب أمامهم.

أتاهم خالد فأراهم أن تلك الأمة بعد ما أراد الله بها من الخير ما أراد بارسال نبيه واتباع دينه استعدت لتأخذ بدورها وأن تدل لنفسها وأنه يجب أن يذعن الفرس طوعاً أو كرهاً لأرادتها وأنه قد آن للفلاحين والمستضعفين أن يعرفوا أنهم من جنس البشر وأن لهم حقوقاً وعليهم واجبات شأنهم في ذلك شأن أولئك الذين كانوا يظنون في أنفسهم أو

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٦، ٤٠. والناظر لكتاب أبي بكر هذا يرى فيه من الحكمة وبعد النظر ما ينم عن سداد رأى الخليفة ومعرفته بالرجال وأن تأديبه لقواده تأديب حازم حكيم لا يشوبه إلا الاخلاص وحب المصلحة كما أنه اشتمل على وصف لخالد هو والحقيقة صنوان.

يظن لهم غيرهم أنهم — ولو من ناحية الالتزامات للمجتمع على الأقل —
طبقة فوق المستوى العادي لسواد الناس فعرفهم خالد بأن الناس من آدم
وآدم من تراب

ولقد كان إرسال خالد لفتح العراق بدء ظهور الدولة الإسلامية في
مصاف الدول العظمى كما كان إيداناً بتقلص سلطان الأكاسرة فزواله فيما
بعد لا جرم فقد ظهرت تلك الأمة وأتيح لها أن تخلف ملوك الأكاسرة
على رقعة فسيحة من أراضيها فاقطعت تحت قيادة خالد حوض نهر الفرات
من شمال الأبله إلى الفراض وغلبت الفرس على خير شقي السواد
وتحبحت في ريف العراق

ظن الفرس في بادئ الأمر أن غارة العرب عليهم ربما كانت تحت
تأثير عوامل اقتصادية ومعيشية وأنهم سرعان عند ما تقع أيديهم على شيء
من الغنيمة والسلب ما يرجعون إلى باديتهم ويعودون من حيث أتوا
ولكن تتابع الغزوات وتوالي الفتوح نبههم إلى خطئهم وجعلهم يفتحون
أعينهم ويخرجون منها القذى ليروا تلك الأمة الناهضة . وحق على دولة
الفرس وقد أتت على شيخوختها أن تسلم زمامها أو تفنيها أمة العرب
يقودها خالد بن الوليد

كان خالد في فتوحه حازماً حكيماً إذا فتح بلداً لا يجوزها إلى غيرها
حتى يجعل عليها أميراً لحمايتها وإقامة القسط فيها وآخر يجبي خراجها وحتى
يحفظ ظهره ولا يترك وراءه عورة ومن ثم يتقدم لغيرها مطمئناً على
ما فتحه ، وإذا تم له الفتح أمن الفلاحين وشملهم بعطفه ورعايته ومنعهم
عن يريدتهم بسوء فكانوا لذلك يرحبون بقدومه ويسرون له ولا يمانعون

ويحاربونه إلا مكرهين، فهم يفضلون حكمه على حكم الفرس الذين
أذلّوهم واستعبدوهم ولم يجدوا منهم إلا غاظة عليهم وإعناتاً لهم، وبنسبة
رافته بهؤلاء كانت شدته وقسوته على السادة والمحاربين فانه كان لا يصبر
عن الحرب إذا رآها ولا يدع الجيوش متواقفة ينظر بعضها إلى بعض
وتركد نار الحماس من نفوسهم بل سرعان ما يظهر بين الصفوف طالبا
رئيس القوم فيهتصره، فيقع الرعب في قلوب من وراءه وقل أن يطول
أمد الحرب بعد ذلك، فاذا تمكن منهم أخش في قتلهم ولم تجد الرأفة بهم
إلى قلبه سيلا. فكان عمله في الحاليتين مدعاة لابتهاج المستضعفين وتنغيصا
ونكدا على المحاربين وسببا في فشلهم وإلقاء الرعب في قلوبهم

كان الواجب على مرابطة فارس ورؤسائها بعد ما عرفوا خالدا في
موقعتين أو ثلاث أن يعتبروا ويتعظوا - والعامل من اتعظ بغيره -
ولا ينازلوه وقد تبين لهم حدة سيفه ولا سيما وأنه يجعل لهم نوعا من
الاختيار يجعلهم بمنجاة من الموت. أمّا كان في الناس رجل رشيد
يحثهم على المسالمة وبذل ما يريد يحقن على الناس هذا الدم الممار؟ إن
الابتعاد عن خالد نهاية الحزم. وليس الانحراف عن طريقه أو إعطائه
ما يريد ضعفا أو جبنا بل إن ملاقاته والوقوف في وجهه تهلكة وتغريز
على أن القوم الذين كانوا يجمعون له ويرصدونه أو ينفذون إليه
كان يكون لهم شبه عذر أو أن الذي يقع في يده محاربا يجد منفذاً إلى
النجاة أو طريقا إلى السلامة فيكون القوم قد أقدموا على طمع في الفوز
أو أمل في النجاة إن خانهم الظفر فلم يخنهم عفو المنتصر^(١)

ويظهر أنهم فعلوا ذلك لما هو عالق بنفوسهم من العزة والكبرياء
والتهاون بالعرب واحتقارهم مما جعلهم يتجادون في منازلة خالد ومقاتلته
واستعظاما لأن يكونوا تحت سلطان العرب ورحمتهم

رعدار ليطسطر التاريخ خالد صفحات من المجد ما زال لها في نفوس
المسلمين أثرا أي أثر . على أن ما تقدم ليس كل ما استفاده المسلمون من
فتوح خالد فانه فضلا عن تلك الأموال والمغانم التي أخذوها — والتي
بيناهما في مواضعها — فان هناك أمر له خطره وقيمه ؛ ذلك ان جنود
المسلمين الذين فتحوا العراق تحت إمرة خالد قد ضروا وجرؤا على منازلة
الفرس وأصبحوا لا يتهيبونهم ولا يخشون بأسهم ؛ فكان ذلك تمهيدا
للفتوح التي جاءت بعد ، والتي قضت على دولة الأكاسرة

وفضلا عن ذلك فان جنود المسلمين قد اعتادوا رؤية الجيوش المنظمة
ذات العدة والعدد وخبروا أساليب الحروب معهم فتارة ينزلونهم وهم
في حصونهم وأخرى يفصل بينهم نهر وآونة يصاحفونهم بالسيوف ومرة
يقضون عليهم بياتا وهم نائمون كل هذه الأحوال المتغيرة في ملاقات الأعداء
وطرق خالد في معالجتها وما كان يبتكره من أساليب لمدافعتها قد أفادتهم
وبصرتهم بالحروب وفنون القتال وأوجدت منهم جنودا مدربين وقوادا
مبرزين يخوضون غمار الحروب على نور من مواقع خالد ويهزمون
جحافل الجيوش على قبس من أساليبه

أقام خالد في العراق سنة وشهرين من المحرم سنة اثنتى عشرة إلى صفر
من سنة ١٣ كان له فيها من الوقائع زهاء خمس عشرة موقعة وفي جميعها
يصادمه عدوه بأضعاف جيشه ومع ذلك فقد نال من عدوه وأثنى في

جنده وكان في كل وقائعه ظافرا منتصرا لم تهزم له راية ، ولم ينثن سيفه
عن ضربته ، وفعل في تلك المدة القصيرة وفي سنته هذه ما لم يفعله أكبر
قائد في مثل عدد جنده وفوق عدوه في عدده وعدده حتى لقد كان اسمه
يسبقه إلى كل مهجة أو أدهاء سدة سيفه تعمل حملها في كل قوم أجمع
السير إليهم وكان ظهوره بين الصفوف بمثابة مدد وسكينة لجيوش المسلمين
كما كان خورا ورعبا وتخلخلا واضطرابا في صفوف المخالفين

ويظهر لنا عظيم ما قام به خالد في سنته وما كان لهذه الفتوح من اثر
في نفوس جنده ما قاله ابن الهيثم ^(١) البكائي عن ابيه : « كان أهل الأيام
من أهل الكوفة يوعدون معاوية عند بعض الذي يبلغهم ويقولون :
ما شاء معاوية نحن أصحاب ذات السلاسل — وهي أولى وقائع خالد في
العراق — ويسمون ما بينها وبين الفراض ما يدكرون ما كان بعد احتقارا
لما كان بعد فيما كان قبل » ^(٢)

فتوحه في الشام

كان البدء في فتح الشام متأخرا عن العراق ، فان أول لواء عقده
أبو بكر لحرب الشام كان في أول سنة ثلاث عشرة لخالد بن سعيد ثم
عزله ^(٣) — بتأثير عمر — قبل أن يسيره وجعله ردها للناس بتيماء ^(٤) ثم

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٧

(٢) وهذه الرواية ترشح أيضا رأينا من أن خلادا ابتداء في حرب العراق
بذات السلاسل

(٣) وولى مكانه يزيد بن أبي سفيان فهو أول الأمراء الذين خرجوا إلى الشام
وخرجوا في سبعة آلاف — الطبري ج ٤ ص ٢٨

(٤) تيماء : بالفتح والمد بليد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق =

اهتم أبو بكر بالشام ، واعتزم الجند في أمر الروم ، فاستنفر الناس وجند الجنود وعقد الألوية لأربعة من كبار القواد وهم : يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وأبو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص^(١) وعين لكل واحد منهم طريقه والجهة التي يغزوها ويلبها بعد الفتح : فجعل يزيد دمشق وشرحبيل الأردن ولأبي عبيدة حمص وعمرو بن العاص فلسطين^(٢)

فصل الأمراء وساروا حتى وصلوا الشام فنزل يزيد باللقاء وشرحبيل الأردن وأبو عبيدة الجابية وعمرو العربية . ولما علم الروم بنزول الأمراء كاتبوا هرقل وهو بالقدس فخرج عنها حتى نزل « حمصا » فأعد الجنود وعبي العساكر وأراد أن يشغل كل قائد عن أصحابه ويضعفه عن يكون بأزائه لكثرة جنده وفضول رجاله فأرسل إلى كل قائد أضعاف ما معه من الجند فهابهم المسلمون ، ورأوا التريث حزماً ، وراسلوا عمرا وأبا بكر أن ما الرأي ؟ فأجابهم عمرو : « ان الرأي لمثلنا الاجتماع وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قلة وإذا نحن تفرقنا لم يبق الرجل منا في عدد

= حاج الشام ودمشق والأبلق الفرد حصن السموأل بن عادياء اليهودي مشرف عليها فلذا كان يقال لها تيماء اليهودي — معجم البلدان ج ٢ ص ٤٤٢

(١) وهم على هذا الترتيب في خروجهم للشام — الطبري ج ٤ ص ٣٩ وهؤلاء القواد قرشيون ما عدا شرحبيل فانه كندى أو أزدى وهو شرحبيل ابن عبد الله بن المطاع ابن عمرو من كندة ويقال من الأزد ، وحسنة أمه راجع الطبري ج ٤ ص ٣٩ ، وفتوح البلدان للبلاذري ص ١١٤

(٢) والناظر في هذا التعيين وتخصيص كل بجهة يتأمر عليها ليدرك مقدار وثوق المسلمين بنصر الله لهم واعتزازهم بمعونته حتى إن خليفتهم يعين الولاية قبل أن يفصلوا من بلادهم وقبل أن يلاقوا عدوهم

يقرن فيه لأحد ممن استقبلنا وأعد لكل طائفة منا»^(١) فاتعدوا اليرموك ليجتمعوا به ووافاهم كتاب أبي بكر بمثل مشورة عمرو ، بأن اجتمعوا فتكونوا عسكرياً واحداً والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين فانكم أعوان الله والله ناصر من نصره وخاذل من كفره ولن يؤتى مثلكم من قلة وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب فاحترسوا من الذنوب واجتمعوا باليرموك متساندين وليصل كل رجل منكم بأصحابه»^(٢)

بلغ ذلك هرقل فكتب إلى قواده وبطارقته « أن اجتمعوا لهم وانزلوا بالروم منزلاً واسع العطن ، واسع المطرد ، ضيق المهرب » ولم يخف على هرقل أن جيش المسلمين فيه حدهم وجدهم وأنهم قد جمعوا فيه كل ما أمكنهم وفي طليعتهم أهل القرية والغناء وأن المعركة التي ستدور بين جيشه وجيوش المسلمين معركة فاصلة إن كانت له لم يفلح العرب بعدها ولم يجرؤا على غزو بلاده مرة أخرى وإن كانت عليه فسلام على سوريا ولذا فانه قد اهتم بهذا الجيش وعين له الأمراء والقواد وبينهم القسيسون والرهبان يحرضون ويشجعون ونزلوا الواقصة^(٣) وهي على ضفة اليرموك وصار الوادي خندقاً لهم وهو لهب لا يدرك وأراد قواد الروم أن يستفيق عسكريهم ويأنسوا بالمسلمين حين يروا قلتهم وكثرة جموع

(١) الطبري ج ٤ ص ٣١

(٢) الطبري ج ٤ ص ٣١ ورأى عمرو وأبي بكر كلاهما يقوى ماسنختاره بعد من أن اليرموك سابقة على أجنادين

(٣) الواقصة : واد بالشام في أرض حوران نزله المسلمون أيام أبي بكر على

اليرموك لغزو الروم — معجم البلدان ج ٨ ص ٣٨٩

قومهم فترجع إليهم أفندتهم وتسكن نفوسهم ولما نزلوا منزلهم هذا اتقل المسلمون عن جمعهم فنزلوا بجذائهم وعلى طريقهم وليس لهم طريق إلا عليهم فقال عمرو: «أيها الناس أبشروا حصرت والله الروم وقلبا بجاء تخصور بخير» فاقاموا بأرائهم وعلى منفذهم صفراً وشهري ربيع من سنة ١٣ لا يقدر من الروم على شيء ولا يخلصون إليهم: الواقصة من ورائهم والخنديق من أمامهم وكلما خرجوا خرقة نال المسلمون منهم^(١)

كان المسلمون في مبدأ أمرهم (في صفر) عند مارأوا تلك الجموع الكشيفة استمدوا أبا بكر وأعلموه الشأن فقال حين بلغه ذلك: «خالد لها». «والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد»^(٢) فبعث إليه واستحثه في السير وكتب إليه الكتاب^(٣) الذي قدمنا (عقيب حجه ورجوعه إلى الحيرة) لأغاثة المسلمين بالشام وأن يخلف على العراق المشي بن حارثة في نصف الجيش ويسير هو في النصف الثاني^(٤) فاذا فتح الله على المسلمين الشام رجع إلى عمله بالعراق. وحين تهيأ للسير استأثر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى المشي إلا أن يكون الأمر على ما كتب أبو بكر فلم يزل به خالداً حتى أَرْضاه من أهل النجدة

(١) الطبري ج ٤ ص ٣١

(٢) الطبري ج ٤ ص ٤٠ وهذه القولة من أبي بكر شهادة كبرى لها قيمتها

(٣) الطبري ج ٤ ص ٢٦، ٤٠

(٤) الطبري ج ٤ ص ٤٠، ٤٢

والقناعة ممن لم يكن له صحبة^(١)، ولقد كان إرسال خالد إلى الشام توفيقاً من الله لأبي بكر لأنه كان صاحب اليوم الذي حصلت فيه الصدمة الأولى وتتابع فتوح بعده^(٢)

سار خالد من الحيرة حتى إذا انتهى إلى قراقر^(٣) أراد التفويض^(٤) منها إلى سوى لأنه إن دار مع الطريق المألوفة وضرب حول المفازة استقبل الروم فيضطر لمبارزتهم فيحبسه ذلك عن غياث المسلمين^(٥) فالتمس الأدلاء فدل على رافع بن عميرة الطائي فمال له في ذلك فقال : إنك لن تطيق ذلك بالخييل والأثقال والله إن الراكب المفرد ليخافها على نفسه وما يسلكها إلا مغرور، إنها لخمس ليال جياذ لا يصاب فيها ماء مع مضلتها فقال له ويحك إنه والله إن لي بد من ذلك إنه قد أتتني من الأمير عزمة بذلك فمر بأمرك قال : استكثروا من الماء من استطاع منكم أن يصر أذن ناقته على ماء فليفعل فانها المهالك إلا ما دفع الله ابغى عشرين جزوراً عظاماً سماناً مساناً فأتاه بهن فعمد إليهن رافع فظأهن حتى إذا أجهدهن عطشاً أوردهن فشربن حتى إذا تملأن عمد إليهن فمقطع فشافرن ثم كعمهن

(١) الطبري ج ٤ ص ٤٢

(٢) تاريخ الاسلام لاستاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار ص ٩٥

(٣) قراقر: ماء لـكـب - الطبري ج ٤ ص ٤٤ . وقال ياقوت في معجمه : واد لكـب بالسماوة من ناحية العراق ج ٧ ص ٤٤ - وسوى: ماء لبهاء على الجانب الآخر للمفازة مما يلي الشام - الطبري ج ٤ ص ٤١ - وقال ياقوت : سوى بضم أوله والقصر ... ماء لبهاء من ناحية السماوة - ج ٥ ص ١٥٧

(٤) يقال فوز الرجل بابله إذا ركب بها المفازة . قال في الخنار : المفازة واحدة المفاز ... من فوز تفويزاً أي هلك وقال الأصمعي سميت بذلك تفاؤلاً بالسلامة والفوز

(٥) الطبري ج ٤ ص ٤٠

لئلا يجترن ثم أخلى أدبارهن ثم قال لخالد سر فسار خالد معه مغذا بالخيول
والأثقال فكلما نزل منزلا اقتطع أربعا من تلك الشرف فأخذ ما في أكراشها
فسقاه الخيل ثم شرب الناس مما حملوا نعيمهم من الماء فلما خشي خالد على
أصحابه في آخر يوم من المفازة قال لرافع بن عميرة - وهو أرمد - ويحك
يارافع ما عندك قال أدركت الرى إن شاء الله فلما دنا من العلين قال للناس
انظروا هل ترون شجيرة من عوسج كقعدة الرجل قالوا ما نراها قال
إنا لله وإنا إليه راجعون هل كنتم والله إذن وهل كنتم لا بأبالكم انظروا
فطلبوا فوجدوها قد قطعت، وبقيت منها بقية فلما رآها المسلمون كبروا
وكبر رافع ثم قال احفروا في أصلها فحفروا فاستخرجوا عينا فشربوا
حتى روى الناس فاتصلت بعد ذلك لخالد المنازل . وفي ذلك يقول
شاعر المسلمين :

لله عينا رافع أنى اهتدى فوز من قراقر إلى سوى
خمسا إذا ما سارها الجيش بكى ما سارها قبلك من إنس يرى^(١)
انتهى خالد إلى سوى فطلع على قوم يشربون الخمر وبين أيديهم
جفنة وحر قوص مغنيهم يقول :

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر لعل منايانا قريب وما ندرى
أظن خيول المسلمين وخالدا سيطر قكم قبل الصباح من البشر
فما هو إلا أن فرغ من قوله حتى دهمهم خالد قبيل الصبح وهم لا يظنون
أن أحدا يأتيهم من هذه المفازة^(٢) في مثل ذلك الوقت وشد رجل على

(١) الطبرى ج ٤ ص ٤١، ٤٥، الأغاني ج ١ ص ١٤٢، عيون الأخبار ج ١

ص ١٤٢، ١٤٣

(٢) الأغاني ج ١ ص ١٤٣

مغنيهم فضرب عنقه فاذا رأسه في الجفنة ونال المسلمون منهم وأصابوا
من أموالهم. ثم أتى أرك^(١) فصالحوه فجازها إلى تدمر^(٢) فتحصن منه
أهلها ثم صالحوه فأتى القريتين^(٣) وقاتل أهلها وظفر بهم وغنم منهم ثم
قصد حوارين^(٤) فقاتل أهلها وهزمهم وسبي منهم ثم أتى قصم^(٥) فصالحه
بنو مشجعة من قضاة ثم سار حتى وصل ثنية العقاب^(٦) ناشراً راية
سوداء كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب. ثم أتى
مرج راهط^(٧) فأغار على غسان وهم في فصخهم فقتل منهم وسبي وأرسل
سرية إلى كنيسة بالغوطة فنالت منهم ثم سار حتى وصل بصرى^(٨) فقاتل

(١) أرك بفتح الحاء وضم ابن دريد همزته : مدينة صغيرة في طرف بركة حلب قرب
تدمر وهي ذات نخل وزيتون... وهي من فتوح خالد بن الوليد في اجتيازه من العراق

إلى الشام — معجم البلدان ج ١ ص ١٩٥

(٢) تدمر بالفتح ثم السكون وضم الميم : مدينة قديمة مشهورة في بركة الشام بينها
وبين حلب خمسة أيام — معجم البلدان ج ٢ ص ٣٦٩

(٣) القرستان : اسم لقرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البرية — معجم البلدان
ج ٧ ص ٧٠

(٤) حوارين بالضم وتشديد الواو ويختلف في الراء فمنهم من يكسرها ومنهم
من يفتحها وياء ساكنة ونون : من قرى حلب — معجم البلدان ج ٣ ص ٣٥٨

(٥) موضع بالبادية قرب الشام من نواحي العراق مر به خالد بن الوليد رضى
الله عنه لما سار من العراق إلى الشام فصالحه بنو مشجعة بن التميم بن النمر — معجم

البلدان ج ٧ ص ١١٣

(٦) ثنية العقاب بالضم : ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطؤها القاصد من دمشق
إلى حمص — معجم البلدان ج ٣ ص ٢٤

(٧) مرج راهط : موضع في الغوطة من دمشق في شرقيه — معجم البلدان ج ٤
ص ٢١٧، ج ٨ ص ١٦

(٨) بصرى من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران — معجم البلدان ج ٢ ص =

من بها ثم صالحوه فكانت بصرى أول مدينة بالشام فتحت صلحا على يد خالد وجند العراق وبعث بالأخماس إلى أبي بكر ثم سار فطلع على المسلمين في ربيع الآخر وصادف أن جاء باهان مددا لجيوش الروم ومعه القسيسون والرهبان يذمرون الروم ويحرضونهم على القتال فاستبشر المسلمون بخالد وفرح الروم بياهانهم

وقبل البدء في حروب الشام نرى أن نحدد مركز خالد من حيث القيادة العليا لجيوش الشام وهل كان أميرا على أمراء الجيوش جميعا أم كان أميراً على جنده الذين جاء بهم من العراق فقط مثله مثل غيره من أمراء الأجناد الذين أرسلوا لقتال الروم.

هل كان خالد قائدا عاما لجنود الشام؟

اختلفت رواية المؤرخين في مركز خالد بالنسبة للقيادة العامة فذكر الطبرى في بعض رواياته أن أبا بكر ولاه القيادة العليا لجيوش الشام ومن ذلك قوله : فوجه أبو بكر خالد بن الوليد أميراً على الأمراء الذين

= ٢٠٨ وبعض الرواة يذكر أن خالدا وجد بها أبا عبدة وشر حبيب ويزيد ففتحوها معا ثم ساروا منها إلى فلسطين مددا لعمر بن العاص ونحن نختار أن خالدا وحده في جند العراق هو الذى تولى فتحها لما هو مشهور من أن خالدا هبط على جند المسلمين باليرموك وكما يعلم من كتب أبي بكر وغيرها وفي ذلك يقول شاعر جند العراق :

بدأنا بجمع الصفرين فلم ندع	لغسان أنفا فوق تلك المناخر
صديحة صاح الحارثان ومن به	سوى نفر نجتد هم بالبواتر
وجئنا إلى بصرى وبصرى مقيمة	فألقت إلينا بالحشا والمعاذر
فضضنا بها أبوابها ثم قابلت	بنا العيس في اليرموك جمع العشائر

بالشام ضمهم إليه ^(١) وقوله في موضع آخر : وكان بالشام ابو عبيدة
وشرحيل ويزيد وعمرو كل رجل منهم على جند وعليهم خالد بن
الوليد ^(٢) ويقول المقدسي : ثم بعثه إلى الشام وأمره على جميع من
بها من المسلمين

على أن الأخذ بهذه الروايات لا يستقيم ويترجح القول الذي يرى
أنه أمير على جند العراق فقط لأموه منها :

١ — أن خالدًا إنما جاء مدداً للأمراء الشام ومعيناً لهم لا أميراً عليهم
٢ — ذكر الطبري أنه حينما اجتمع الأمراء وتساندوا لقتال الروم
كان كل أمير يصلي بجنده اتباعاً لأمر أبي بكر وربما صلى البعض خلف
البعض فلما جاء خالد نزل بناحية وصلى بجنده على حدة ولو كان أميراً
على الأمراء لصلى بهم وبجندهم

٣ — خطابه المشهور للأمراء بأن يتناوبوا الامارة وأن يدعوه
يتأمر عليهم في غده معناه أنه لم يكن أميراً عاماً وإلا فلا معنى لخطابه
ومشورته بتناوب الامارة وطلبه أن يكون أميراً عليهم

٤ — ما قاله البلاذري من أنه لما قدم خالد بن الوليد على المسلمين
بصرى اجتمعوا عليها وأمروا خالدًا في حربها . وهو صريح في أنه لم
يكن رئيساً على الأمراء من قبل أبي بكر ولكن الأمراء هم الذين أمروه
عليهم لعرفانهم بمقدرته وخبرته بالحروب .

(١) الطبري ج ٤ ص ٣٩

(٢) الطبري ج ٤ ص ٥١

موقعة اليرموك^(١)

كان المسلمون يقاتلون الروم وهم على تساند كل أمير يلي قتال من وجه إليه وهي خطة في مثل عدد جيش المسلمين لا تنيلهم من عدوهم نيلا فقد كان كل أمير لا يقرن بمن باذائه وأعد له ، فجموع الروم كانت متكاثفة عظيمة بلغت أربعين ومائتي ألف على مارواه الطبرى بينما جموع المسلمين كانت تبلغ ٣٦ ألفا والمكث من المؤرخين يقول إنها ٤٦ ألفا ومهما يكن أمر الاختلاف في عدد الجمعين فان جنود المسلمين كانوا في قلة بالنسبة للروم

جاء خالد فوجد أمراء المسلمين يقاتلون الروم على تساند يصل كل أمير بجنده على حدة فعمسكرو هو أيضا على حدة وصلى بجنده ووجد المسلمين متضايقين والروم نشاط بمدد باهان ولما أن جاءهم خالد نازلوهم فنالوا منهم وألجأوهم إلى خنادقهم فلزموها عامة شهر والقسيسون والرهبان يحضونهم ويذمرونهم وينعون لهم النصرانية حتى أحسواهم فخرجوا بعد الشهر في جمادى الآخرة في تعبئة لم ير الراؤون مثله قط ولكن إلى حتوفهم وإلى القتال الذي لم يكن بعده ما يشبهه

(١) اليرموك : واد بناحية الشام في طريق الغور يصب في نهر الأردن ثم يمضى إلى البحيرة المنتنة — معجم البلدان ج ٨ ص ٥٥٥ . وهو نهر معقد وهبته الطبيعة أسراراً وألغازاً ينبع من مرتفعات حوران ويصب في الأردن جنوبى بحيرة طبرية بأميال قليلة وعلى نحو ثلاثين ميلا من التقائه بالأردن يكون في الطرف الشمالى فتحه على شكل نصف دائرة تحيط بسهل متسع صالح لمعسكر جيش كبير . وضاف هذا النهر وعرة منحدره وعند مضيق هذه الفتحة عنق يكون مدخل هذه الأرض المنبسطة التى فى الداخل . وهذه البقعة تسمى الواقعة ذات الشهرة العظيمة فى الوقائع الإسلامية — الأمير على ص ٣٧

أحس المسلمون بخروجهم فارادوا الخروج متساندين فلم يرق ذلك في نظر خالد ورأى أن تلك خطة أجدى على الروم من أمدادهم وأشد على المسلمين من عدوهم ؛ إذ كيف يقاتلون قوما مجتمعين على رأى وفي نظام وتعبئة وهم على تساند لأن في ذلك من الوهن واختلاف الرأى وتجزىء قوة المسلمين بتعدد الأمراء ما يطيل أمد القتال ولا ينيلهم من عدوهم خصوصا وأنه أدرك ما فيه الروم من نظام ومقدار تحمسهم وتحرقهم لقتال المسلمين وأن ما فيه المسلمون أمر يقتضى الحزم والتدبر واجتماع الكلمة والقبض على أزيمة الجيش كله وترتيبه ترتيبا مغيرا لما ألفه العرب يتكافأ مع النظام الذى تهيأ لهم فيه عدوهم فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغى أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم فان هذا يوم له ما بعده ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبئة على تساند وانتشار فان ذلك لا يحل ولا ينبغي وإن من وراءكم لو يعلم عليكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذى ترون أنه الرأى من واليكم ومحبتهم . قالوا هات فما الرأى ؟ قال : إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أننا سنتياسر ولو علم بالذى كان ويكون لقد جمعكم إن الذى أنتم فيه أشد على المسلمين مما غشيتهم وأنفع للمشركين من أمدادهم ولقد علمت أن الدنيا قد فرقت بينكم فالله الله فقد افرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه إن دان لأحد من أمراء الجند ولا يزيده عليه إن دانوا له . إن تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا فان هؤلاء

قد تهيأوا وهذا يوم له مابعده إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم
وإن هزمونا لم نفلح بعدها فهللوا فلتتعاور الامارة فليكن عليها بعضنا
اليوم والآخر غدا والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم ودعوني إليكم اليوم،
فأمروه وهم يرون أنها كخرجاتهم وأن الأمر أطول مما صاروا إليه ^(١)
عبي خالد الجيش تعبته لم تعبها العرب قبل ذلك : فجعله ٣٨ كردوسا ^(٢)
وقال : إن عدوكم قد كثر وطغى وليس من التعبته تعبته أكثر في رأي
العين من الكراديس فجعل القلب ١٨ كردوسا وعليه أبو عبيدة وفيه
عكرمة بن أبي جهل والققعاق بن عمرو وجعل الميمنة ١٠ كراديس وعليها
عمرو بن العاص وفيها شرحبيل بن حسنة ، وجعل الميسرة ١٠ كراديس
وعليها يزيد بن أبي سفيان . وجعل على كل كردوس رجلا ياتمر بأمر
من فوقه رئيس الميمنة أو الميسرة أو القلب وكان رؤساء الكراديس
من أهل النجدة والفناء أمثال الققعاق بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل
وعياض بن غنم وهاشم بن عتبة وعبد الرحمن بن سيف الله ^(٣) إلى
أمثالهم ممن عرف بالشجاعة والاقدام

لم يكف هذا النظام البديع خالدا بل جعل للجيش طليعة ^(٤) وعليها
قباث بن أشيم وقاضيا وهو أبو الدرداء وقارئاً وهو المقداد (كان يقرأ

(١) الطبرى ج ٤ ص ٣٣

(٢) وقد فصل الطبرى في صفحتي ٣٣ ، ٤٤ من ج ٤ رؤساء هذه الكراديس
تفصيلا واضحا والكردوس القطعة من الجيش وكان الكردوس يزيد قليلا عن الألف

(٣) وكان عمره إذ ذاك ثمانى عشرة سنة — الطبرى ج ٤ ص ٣٣

(٤) والناظر إلى هذا الترتيب يرى أنه لا يبعد كثيرا عما عليه حال الجيوش في زماننا
إذا تغاضينا عن أنواع الأسلحة التي استحدثت

عليهم سورة الجهاد « الأنفال » كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم من بعد بدر عند لقاء العدو (وصاحب أقباض وهو عبد الله بن مسعود وواعظا وهو أبو سفيان فكان يسير في الجيش ويقف على الكراديس فيقول : الله الله إنكم زادة العرب وأنصار الاسلام وإنهم زادة الروم وأنصار الشرك اللهم إن هذا يوم من أيامك اللهم أنزل نصرك على عبادك . فأنت ترى أن خالدا لما تولى إمرة الجيش لم يدع أمرا يزيد في قوة المسلمين ويوقظ فيهم الحماس ويذمرهم ويألبهم للقاء عدوهم كما أنه من الناحية الأخرى يوقع الرعب في قلوب أعدائه ويحالم عزائمهم إلا فكر فيه وفعله في ذلك اليوم

أمر خالد مجنبتى القلب أن ينشبا القتال وكان عليهما القعقاع وعكرمة نخرجا في حماس وأنشبا القتال والقعقاع يرتجز :

يا ليتنى ألقاك في الطراد قبل اعترام الجحفل الورد
وأنت في حلبتك الورد

وعكرمة يجاوبه بقوله :

قد علمت بهكنة الجوارى أنى على مكرمة أحامى (١)

التحم الناس وتطارد الفرسان وخرست الألسن وصمت الآذان إلا عن قعقعة السيوف وزئير الفرسان . ثم خرج قائد القلب من جيش الروم وهو « جرجه » حتى كان بين الصفين ونادى ليخرج إلى خالد نخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه فواقفه بين الصفين حتى اختلفت

(١) الطبرى ج ٤ ص ٣٤ - وكانت هذه الأراجيز تفعل فعلها في النفوس فتثير حماسهم وتهيج كامن وجدانهم فكأنها الموسيقى في استشارة النفوس وتشجيع القلوب

أعناق دابتيهما وقد أمن أحدهما صاحبه فقال جرجه : يا خالد أصدقني
ولا تكذبنني فان الحر لا يكذب ولا تخادعني فان الكريم لا يخادع
المسترسل بالله هل أنزل الله على نبيكم سيفاً^(١) من السماء فأعطاكم فلا تسلمه
على قوم الا هزمتمهم قال : لا . قال فيم سميت سيف الله قال إن الله عز وجل
بعث فينا نبيه صلى الله عليه وسلم فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعاً ثم إن
بعضنا صدقه وتابعه وبعضنا باعده وكذبه فكنت فيمن كذبه وباعده
وقاتله ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه فقال أنت سيف
من سيوف الله سلمه الله على المشركين ودعالي بالنصر فسميت سيف الله
بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين قال صدقتني ثم أعاد عليه جرجه
يا خالد أخبرني إلى ما تدعوني قال إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً
عبده ورسوله والاقرار بما جاء به من عند الله قال فمن لم يحبكم قال فالجزية
ونمنعهم قال فان لم يعطها قال تؤذنه بحرب ثم نقاتله قال فما منزلة الذي
يدخل فيكم ويحببكم إلى هذا الأمر اليوم قال منزلتنا واحدة فيما افترض
الله علينا شريفنا ووضعنا وأولنا وآخرنا ثم أعاد عليه جرجه : هل لمن دخل
فيكم اليوم يا خالد مثل مالكم من الأجر والذخر قال نعم وأفضل قال وكيف
يساويكم وقد سبقتموه قال : إنا دخلنا في هذا الأمر وبايعنا نبينا صلى الله
عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا تاتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتب ويرينا

(١) لعل بعض القوم أشاعوا في بلاد الشام أن خالداً في يده سيف نزل من
السماء يهزم به أعداءه ، أعطاه له رسول الله وأخذوا ذلك مما اشتهر به بين المسلمين
أنه سيف الله ويظهر أن ذلك القائد — ويسميه الطبري جرجه بن توذر ولعله جورج
ابن تيودور — كان يعرف العربية لأنه كلم خالداً بدون ترجمان « تاريخ الاسلام
لأستاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار ص ٩٩

الآيات وحق لمن رأى مارأينا وسمع ماسمعنا ان يسلم ويبايع وإنكم أتم
لم تروا مارأينا ولم تسمعوا ماسمعنا من العجائب والحجج فمن دخل
في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا قال جرجه بالله لقد صدقتني
ولم تخادعني ولم تألفني قال بالله لقد صدقتك وما بي اليك ولا إلى أحد منكم
وحشة وإن الله لولى ما سألت عنه فقال صدقتني وقلب الترس ومال مع
خالد وقال علمني الاسلام فقال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة من ماء
ثم صلى ركعتين

ولما مال ذلك القائد مع خالد ظن الروم أنها من قائدهم حملة فحملوا
فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية وعليهم عكرمة والحارث بن هشام
وركب خالدومعه جرجه - والروم خلال المسلمين - فتنادى الناس فثابوا
وتراجعت الروم إلى مواقفهم وحرب المسلمون وظهرت العزائم من أهل
العزم وزحف بهم خالد حتى تصاحفوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجه
من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب ثم أصيب جرجه
ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما وصلى الناس
الأولى والعصر إيماء^(١) وتضعضع الروم ونهد خالد بالقلب حتى كان
بين خيلهم ورجلهم وكان مقاتلهم واسع المطرد ضيق المهرب فلما وجدت
خيلهم مذهبا ذهبت تشتد بهم في الصحراء وأفرج لها المسلمون ولم يحر جوها
فذهبت وتفرقت في البلاد وتركوا رجلاهم في مصافهم فأقبل خالد والمسلمون
على الرجل ففضبوهم فكأنما هدم بهم حائط فاقتحموا في خندقهم فاقتحمه

(١) ثم أخر الناس الصلاة حتى صلوا بعد الفتح الطبرى ج ٤ ص ٣٥

عليهم فعمدوا إلى الواقصة فهو وافيا. وقد تهافت فيها - على ما ذكره الطبري -
 ١٢٠ ألفا سوى من قتل في المعركة وقد استمر القتال النهار كله ومعظم
 الليل ولم يطلع الصبح الا وخالد في رواق رئيس جند الروم .

وكانت هذه الموقعة أول فتح أتى عمر بعد وفاة أبي بكر بعشرين ليلة^(١)
 عظم على قواد الروم ورؤسائهم أن يروا هزيمتهم بأعينهم ففضلوا
 أن يريحوا أنفسهم من عار الهزيمة والذل فتجللوا برانسهم ينتظرون الموت
 وقالوا : لانحب أن نرى يوم السوء اذ لم نستطع أن نرى يوم السرور
 واذ لم نستطع أن نمنع النصرانية فأصيبوا في تذلهم^(٢)

كان لكثير من شجعان المسلمين وفرسانهم أثر يذكرون في تحمس
 المسلمين وإقدامهم وصبرهم وثباتهم ؛ فهذا عكرمة كان يقول : قاتلت
 رسول الله في كل موطن وأفر اليوم ! ثم ينادى : من يبائع على الموت ؛
 فبايعه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين
 وفرسانهم فقاتلوا أمام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعا جراحا وقتلوا
 إلا من برأ^(٣) وأتى خالد بعد ما أصبحوا بعكرمة جريحا فوضع رأسه
 على فخذه ، وبولده : عمرو بن عكرمة فوضع رأسه على ساقه وجعل
 يمسح عن وجوههم ما يقطر في حلوقهما الماء ويقول : كلا زعم ابن الحنتمه

(١) ومع أنها فتحت في زمن عمر فقد ذكرناها ضمن فتوح خالد في زمن أبي بكر
 لأنها تهيأت في عهده

(٢) وهذه العادة لم تزل إلى اليوم في بعض القبائل العربية إذا هزم الجيش عمد
 الرؤساء إلى التذمل وانتظروا الموت ليريحوا أنفسهم من عار الهزيمة — تاريخ الخلفاء
 لأستاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار

(٣) الطبري ج ٤ ص ٣٦

أنا لانستشهد (١)

وكما كان للشجعان والفرسان نصيب يذكر في هذا اليوم كان أيضا للنساء نصيب غير مندور ؛ فكن يقمن بسقي الماء ومداواة الجرحى واستنهاض الهمم وإثارة الحماس في قلوب الرجال بل وقاتلن في جولة فادين ما عليهن وفعلن ما في مكنتهن (٢)

استشهد من المسلمين في هذه الموقعة نحو ثلاثة آلاف بينهم كثير من أهل النجدة والغناء وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شهد اليرموك منهم ألف بينهم نحو مائة ممن شهد بدرا (٣)

في أثناء الموقعة جاء البريد يحمل وفاة أبي بكر وعزل خالد عن الإمارة وتولية أبي عبيدة وحين رأى الناس رسول عمر سأله عما وراءه فأخبرهم بالسلامة والامداد وأسر إلى خالد بالخبر وبما قاله للجند فحمد له رأيه واستحسنه وأخذ الكتاب منه فوضعه في كنانته ولم يدعه والناس فيما هم فيه لثلاثين قوتهم حتى إذا ما انتهت الموقعة سلم الكتاب لأبي عبيدة وسلم عليه بالإمارة.

انتهى خبر الهزيمة إلى هرقل وهو دون حمص فارتحل عنها وجعلها بينه وبين المسلمين وأمر عليها أميرا وخلفه فيها كما كان أمر على دمشق وودع سوريا الوداع الأخير بقوله : سلام عليك يا سوريا سلاما لا لقاء

(١) يريد بابن الحنطة عمر بن الخطاب

(٢) الطبري ج ٤ ص ٣٦

(٣) الطبري ج ٤ ص ٣٤ ، ابن الأثير ج ٢ ص ٢٨١

بعده . وقد أكثر الشعراء القول في هذه الموقعة . فمن ذلك قول القعقاع ابن عمرو :

ألم ترنا على اليرموك فزنا كما فزنا بأيام العراق
قتلنا الروم حتى ما تساوى على اليرموك مفروق الوراق
فضضنا جمعهم لما استحالوا على الواقوصة البتر الرقاق
غداة تهافتوا فيها فصاروا إلى أمر تعضل بالذواق^(١)

كانت هذه الموقعة من المواقع الفاصلة في تاريخ الشرق وبعبارة أدق بين المسلمين والروم فقد تقلص سلطان القياصرة عن رقعة فسيحة وظهر سلطان الاسلام وتتابع بعدها فتوح المسلمين في بلاد بني الأصفر إن ما حصل في تلك الموقعة يصلح تطبيقا عمليا على فنون القتال وقيادة الجيوش وهو درس جليل لمن يريد أن يمهر في فن التعبئة وملاقة الأعداء : ذلك إن خالدا جاء إلى الشام والمسلمون يقاتلون عدوهم على تساند في حين أنه يرجع إلى رأى واحد وهو فوق ذلك لديه من العدد والعدد أضعاف ما عند المسلمين وفي نظام وتعبئة لا قبل لجيوش المسلمين بها ماداموا على حالهم من التساند وهنا ظهرت تلك المواهب وذلك الاستعداد الفطرى للحروب يساعفه تلك المهارة والخبرة الحربية التي استفادها خالد من بيئته وطول ممارسته لملاقة الأعداء فنادى في المسلمين وخطبهم وبين لهم خطأ قتالهم على تساند وأن حال المسلمين في مثل موقفهم لا يصلحها إلا توحيد القيادة ورجع الأمر لرئيس واحد يصدر الجيش كله عن رأيه وكان ما أراد وأمن على رأيه قواد المسلمين فتسلم إمرة الجيش وعباه تعبئة

خالدية لأعهد للعرب بها فكان صاحب اليوم المشهود
ولقد عرف الضابط العظيم المرحوم سليم بك الجزائري^(١) (مدرس
فن السوقيات في مدرسة أركان الحرب في الاستانة بعد سنة ١٩٠٨)
لخالد فضله في الحروب وخبرته بأساليبها فكان دائماً يقرر القاعدة في
فن تعبئة الجيوش ويضرب لذلك المثل بفعل خالد بن الوليد في إحدى
وقائعه ثم بغيره من قواد أوربا ذوي المهارة الحربية

وما أشبه حال المسلمين في تساندهم بحال جيوش الحلفاء في الحرب
العظمى كل دولة لها قائدها يصدر أمره لجنده تبعاً لرأيه فلما عضتهم الحرب
ونال منهم الألمان ابتدأوا يفكرون في إنقاذ موقفهم وأخيراً تأسوا
بخالد ووحدوا قيادتهم ونسوا أنفسهم في سبيل غايتهم فكان النصر
في جانبهم

على أن هناك فرق بين الحالتين فخالد اضطلع بهذا الأمر وحده والحلفاء
لم يستطيعوا ذلك إلا بعد أن عقدوا المجالس العسكرية واجتمع رجال
حربهم مرات عدة ودامت المفاوضات بينهم في ذلك أكثر من سنتين^(٢)
وخالد لم يترب في مدرسة للحربية والحلفاء تخرج رجالهم من أرقى مدارس
الحربية في العالم وخالد رأى هذا الرأي منذ ثلاثة عشر قرناً مضت
والحلفاء عرفوا ذلك بعد مضي هذا الوقت الطويل ولولا أن الحلفاء

(١) سليم بك الجزائري: ضابط عظيم من أبناء مهاجري الجزائر الذين نزلوا الشام
مع الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الشهير وقد تعين مدرساً لفن السوقيات بمدرسة
أركان حرب الدولة العثمانية وكان من ضحايا جمال باشا السفاح المشهور في أيام
الحرب العظمى — اه عن استاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار

(٢) صحيفة الجهاد العدد ١٤٦

كانوا مختلفي الأغراض والغايات وخالد والمسلمون من أمة واحدة
وغايتهم واحدة لقلنا إن المستوى الفكري الحربي لخالد والمسلمين - ولو
في هذه الموقعة على الأقل - أرقى وأسبق للمستوى الفكري الحربي للحلفاء
نظر رجل يومئذ إلى الروم فقال ما أكثر الروم وأقل المسلمين فقال
خالد: «ما أقل الروم وأكثر المسلمين إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل
بالخذلان لا بعدد الرجال والله لوددت أن الأشقر براء من توجيه وأنهم
أضعفوا في العدد» (١)

ولعمري إن الانسان ليحار في وصف هذه النفس الكبيرة وثقتها
بالنصر حتى في أشد الأهوال وأحرج المواقف. ما هذا اليقين وما هذه
القوة النفسية؟ قائد يرى أنه لا يقرب لعدوه في عدده ويصير نظامه وبديع
ترتيبه وتعبئته ثم يستهين به إلى هذا الحد ويقول: إنما تكثر الجنود
بالنصر اللهم إن هذا نور الايمان وهدى الاسلام يهدي به الله من اتبع
رضوانه سبل السلام

لم يشأ خالد وقد خرج إليه قائد من قواد الروم يسأله عن سبب تسميه
بسيف الله أن يعمي عليه الأمر أو يخدعه ويكذب عليه - وكان في مكنته
ذلك - أبت نفسه إلا أن يصارحه ويعلمه بالواقع ولم يفته أن يحبب إليه
الاسلام ويدعوه إليه - رغم ما هو فيه من شدة - فكان ذلك سببا
في إسلام الرجل وهدايته وهكذا يضرب لنا خالد مثلا أعلى من أمثلة
الصراحة والحق والدعوة إلى الدين

(١) الأشقر اسم فرسه وكان قد حفي في مسيره وتفويزه من قراقر إلى سوى - راجع

وإذا أردت أكثر من هذا فاستمع إلى درس التضحية والجهاد في الوقت الذي ينتظر الناس له فيه أعظم المشوبة والجزاء وأسمى مراتب التقدير والرضى فاجأه أمر الخليفة بالعزل — والمعركة في أشدها — فما غضب ولا حقد ولكنه بقى على وفائه من النجدة والاقدام والجد في الجهاد والبأس في مناضلة العدو، لم تضعف حميته ولم تخمد جذوة إخلاصه لدينه بل ظل « جندياً في نفس قائد، وقائداً في صورة جندي » يقود الجيش ويمده برأيه وتديره ويفعل الأعاجيب في قتال الروم وهو يعلم أنه معزول ونتيجة الحرب قد أقيت على عاتق سواه حتى هزم عدوه وظفر به لو كان هذا العزل لقائد من قواد زماننا لحبثت نفسه وفسدت سريرته وعمل على أن يخذل من يخلفه وربما تربص الدوائر بتلك الأمة التي لم تعرف له حقه

تلك نفس لا تعد في الصفوف المألوفة من نفوس البشر تلك هي نفس خالد بن الوليد الذي لم يكن في يوم من الأيام الا قائدا يعزله عمر بن الخطاب ويصبح جندياً مجرداً من صفاة الرياسة والامارة فما وني ولا وهن ولا خان ولا ضعف ولم يلتفت لحبه لأبي بكر ولا لبغضه لعمر ولكنه التفت لدينه وإمامه فقال : الحمد لله الذي قضى على أبي بكر الموت وكان أحب إلى من عمر والحمد لله الذي ولي عمر وكان أبغض إلى من أبي بكر ثم الزمني حبه (١)

والذين يذكرون ما صنع مستر « تشرشل » حين عزل من وزارة البحرية أيام الحرب الكبرى وأنه ذهب إلى ميدان القتال جندياً فرداً يعرفون

اليوم أنه إنما كان يتمثل بخالد وأن هذه العظمة الخلقية التي تظهر في أفراد الأمم العظيمة كانت للإسلام قبل الانجيز بأربعة عشر قرناً، وهي هي سه نجاح أولئك ونجاح هؤلاء ونجاح من يوهبها من الأمم^(١) اللهم إن نفساً تحمل هذا الاخلاص لدينها وتبقى على ما عرف عنها من بأس وقوة لهي النفس المؤمنة التي تطلب رضوان الله وكفى وسواء عليها أن تجاهد في الله تحت لواء غير لوائها أو تغزو ولها السلطان، تلك هي النفس المطمئنة الراضية المرضية التي يقول الله فيها « فادخلي في عبادي وادخلي جنتي »

وباتهاء هذه الموقعة تنتهي الأعمال الجليلة والفتوحات العظيمة التي تمت في عهد أبي بكر رضي الله عنه على يد خالد وكان في جميعها موقفاً مسدداً موضع ثقة الخليفة، وفتحت عصرًا جديدًا ابتدئ بتولية عمر وعزل خالد عن الامارة ويظهر فيه خالد بمظهر الجندى الكريم الذي وهب نفسه وحياته لدينه وأمتة .

(١) افتتاحية صحيفة الاهرام العدد ١٦٦٨٠ - مقال لفضيلة الأستاذ الشيخ

محمد سليمان القاضي بالمحكمة العليا الشرعية

الباب الرابع

أعمال خالد وفتوحه

زمن عمر رضى الله عنه

- (١) فتح دمشق (٢) فخل (٣) مرج الروم
(٤) حمص (٥) الحاضر (٦) قنسرين (٧) الخلاف
بينه وبين عمر وما آل إليه (٨) الناحية الدينية له
(٩) صفته وأخلاقه (١٠) بينه (١١) وفاته

دمشق (١)

انتهت موقعة اليرموك بهزيمة الروم وتهاقتهم في الواقصة وبعزل خالد وتامير أبي عبيدة. وحين انتهى أبو عبيدة من أمر اليرموك فقسم الأنفال وبعث بالأخماس والوفود إلى المدينة استخلاف على اليرموك بشير بن كعب الحميري حتى لا يغتال بردة ولا تقطع الروم (٢) عليه موارده وسار حتى نزل بالصفرة وهو يريد اتباع القالة فأتاه الخبر بأنهم اجتمعوا بفحل وأن مدداً من حمص أتى أهل دمشق فكتب إلى عمر يستطلع رأيه في البداءة بأى الناحيتين : فخل أو دمشق. وأقام بالصفرة

(١) دمشق بكسر أوله وفتح ثانيه : هكذا رواه الجمهور والكسر لغة فيه وشين معجمة وآخره قاف . البلد المشهورة قصبة الشام - معجم البلدان ج ٤ ص ٧٢

(٢) الطبرى ج ٤ ص ٥٦

يلتظر رأى عمر فأتاه جوابه يقول فيه : «أما بعد فابدأوا بدمشق فانهضوا لها فانها حصن الشام وبيت مملكتهم واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بازائهم في نحورهم»

صدع أبو عبيدة بالأمر وأرسل إلى فحل عشرة قواد عليهم عمارة بن مخش وبعث ذا الكلاع حتى كان بين دمشق وحمص رداء كذلك سرح علقمة بن حكيم ومسروقا حتى كانا بين دمشق وفلسطين وبذلك أمن أبو عبيدة من وصول المدد إلى دمشق فسار بمن معه حتى حاصروا دمشق ونزلوا على أبوابها : فنزل عمرو بن العاص بباب «الهراديس» ونزل شرحبيل بباب «توما» وقيس بن هبيرة بباب «الفرج» وأبو عبيدة بباب «الجابية» ونزل خالد بالباب الشرقي . وشدد المسلمون الحصار عليها واستمروا على ذلك نحو من سبعين ليلة وهم يحاولون فتحها بالزحف والتراعى والمجانيق وأهلها معتصمون بها يرجون الغياث ويأملون في نجدة هرقل فلما يتسوا من الغياث وأيقنوا أن الأمداد لا تصل إليهم سقط في أيديهم وأبلسوا في أمرهم وزاد في وهنهم أنهم كانوا يظنون قفول المسلمين إذا نزل البرد ولكن خاب ظنهم وانقطع رجاءهم

كان خالد لا ينام ولا ينام ولا ينام ولا يبيت إلا على تعبئة ولا يخفى عليه من أمر عدوه شيء عيونه ذاكية وهو معنى بما يليه فبلغه أنه ولد لبطريقهم مولود وأنه صنع طعاما ودعى القوم يأكلون ويشربون وهم غافلون عن مواقفهم وكان قد اتخذ أوهاقا وأحبالا كهيئة السلايم فلما أمسى ذلك اليوم انتهز هذه الفرصة ونهض فيمن معه من جنده الذين قدم بهم من العراق وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومذعور بن عدى في أمثالهم

وقالوا: إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا إلينا وانهدوا للباب فلما
 انتهى إلى الباب الذي يليه فيمن معه من أصحابه رموا بالحبال الشرف
 - وكان على ظهورهم القرب التي قطعوا بها الخندق - فما أن ثبت لهم وهقان
 حتى تسلق فيهما القعقعاق ومذعور ولم يدعأ أحبولة إلا أثبتناها - وكان
 المكان الذي اقتحموا منه أحصن مكان يحيط بدمشق أكثره ماء وأشدّه
 مدخلا - وتوافوا لذلك حتى إذا استووا على السور حذر خالد عامة
 أصحابه وانحدر معهم وخلف من يحمي المرتقى لمن يرتقى وأمرهم بالتكبير
 فكبر الذين على رأس السور فهد المسلمون ومال إلى الحبال بشر كثير
 فوثبوا فيها وانتهى خالد إلى أول من يليه فقتلهم وانحدر إلى الباب فقتل
 البوابين وثار أهل المدينة وفزع الناس فأخذوا موافقهم ولا يدرون
 ما الشأن وتشاغل أهل كل ناحية بمن يليهم وقطع خالد ومن معه أغلاق
 الباب بالسيوف وفتحوا للمسلمين وأعملوا السيف في المقاتلة حتى لم يبق
 مما يلي باب خالد مقاتل والتجأ من أفاقت إلى أهل الأبواب التي تلي غيره
 كان المسلمون قد دعوا أهل دمشق إلى المشاطرة فابوا وأبعدوا فلما
 استحرفهم سيف خالد عرضوا مارفضوا وبدأوا الصلح فأجابهم المسلمون
 وقبلوا منهم وفتح الروم الأبواب للمسلمين وقالوا لهم: ادخلوا وامنعونا
 من أهل ذلك الباب فدخل أهل كل باب بصلح مما يليهم ودخل خالد
 مما يليه عنوة فالتقى خالد والقواد في وسطها هذا استعراضا وانتهابا وهذا
 صلحا وتسكينا فأجروا ناحية خالد مجرى الصلح فصار صلحا . وكان
 صلحهم على المقاسمة الدينار والعقار وعلى كل رأس دينار واقتسم
 المسلمون أسلابهم فكان أصحاب خالد فيها كأصحاب بقية القواد

وجعلوا على كل جريب أرض جريبا إلا ما كان للبلوك ومن صوب
إليهم فوقف فياً (١)

غزوة فحل (٢)

انتهى المسلمون من أمر دمشق وتبعاً لرأى الخليفة وما يوجبه الحزم
قصدوا فحل إذ من الخرق أن يتجهوا إلى حمص أو غيرها من بلاد الروم
ووراءهم تلك القوة العظيمة التي قال عنها المؤرخون : إنها ثمانون ألفاً (٣)
خصوصاً وأن من بفحل جنة الروم وإليهم ينظرون وأن الشام بعدهم سلم
خلف أبو عبيدة يزيد بن أبي سفيان على دمشق وسار يريد فحل وأمير
الناس شرحبيل بن حسنة - إذ هو صاحب السلطان في تلك المنطقة من
قبل أبي بكر - وهو ممن سبقت له حروب تحت إمرة خالد وقد خبره
وعرف له مقدرته الحرية ولذا فانا نراه قد جعله على مقدمته (٤) حين
قصدوا فحل وهذا من غير شك تكريم لخالد - وهو رئيسه القديم
وأستأذه في الحروب - وعرفان لفضله عليه

كان الروم قد بثقوا عليهم المياه حينما وجه أبو عبيدة القواد إليهم

(١) الطبري ج ٤ ص ٥٨ - وهذه الموقعة تعد من ضمن المواقع التي يتجلى فيها
نبوغ خالد وفوقه في الحروب وخدمها

(٢) بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره لام اسم موضع بالشام وكان
يوم فحل يسمى أيضاً يوم بيسان - معجم البلدان ج ٦ ص ٣٤٠

(٣) الطبري ج ٤ ص ٥٩

(٤) وجعل أبا عبيدة وعمراً على مجنبيه وعلى الخيل ضرار بن الأزور وعلى
الرجل عياض

وهم في مرج الصفر فأردغت الأرض ثم وحلت واغتم المسلمون لذلك
في بادئ الأمر ولكن تبين أن ذلك في مصلحتهم إذ قد حبسوا عن
المسلمين بها ثمانين ألف فارس^(١) « وعلى نفسها جنت براقش » وبعد
حصار دام طويلاً ظنوا بالمسلمين غرة فهاجموا عليهم واقتتلوا أشد قتال
ليلتهم ويومهم إلى الليل فلما جن الليل عليهم حازوا وانهزموا وهم حيارى
وضلوا الطريق وأسلمتهم هزيمتهم وحيرتهم إلى الوحل وركبهم المسلمون
فلم يفلت منهم إلا الشريد . وانصرف أبو عبيدة بخالد يريد حمص

وقعة مرج الروم وأثر خالد فيها

لما وصل إلى هرقل خبر هزيمة جنده في دمشق والأردن وأن نية المسلمين
اتجهت لقصد حمص أرسل إلى المسلمين جيشاً تحت قيادة توذر البطريق
وأردفه بآخر مثله وعليه شنس الرومي مدداً له ورداءاً لأهل حمص
التقى المسلمون بالجيش في مرج الروم غربي دمشق فكان أبو عبيدة
بأزاء شنس وخالد بأزاء توذراً وأصبح المسلمون وأمامهم شنس والأرض
خلوا من توذر^(٢)

أتى خالد الخبر بأن توذراً فيمن معه قد سار نحو دمشق فأجمع رأيهم
وراى أبي عبيدة على أن يتبعه فاقتفى أثره وقد ظن ذلك الغر أنه سوف لا يلقي
إلا حامية دمشق وأنه سيقصص للروم ويكيد للمسلمين ويضع يده على

(١) الطبري ج ٤ ص ٥٧ - فكان أهل فحل أول محصور بالشام ثم من بعدهم

أهل دمشق

(٢) يظهر أن تلك مكيدة دبرت بين قائدى الروم للنيل من المسلمين

دمشق ولم يدر أن خالداً من ورائه وفي أثره وأنه يتحرق لملاقاته فما إن
نشبت المعركة بينه وبين يزيد بن أبي سفيان - الذي خرج لملاقاته حين
بلغه مسيره إليه - حتى لحقه خالد وطلع عليهم من خلفهم فأخذتهم
رماح يزيد من أمامهم وسيوف خالد من خلفهم فلم يفلت منهم إلا الشريد
وقتل خالد توذراً وفي ذلك يقول :

نحن قتلنا توذراً وشوذرا وقبله ماقد قتلنا حيدرا

نحن أزرنا الغيضة الأيدرا

وقسم في هذه الموقعة بين أصحاب خالد ويزيد وانصرف خالد
راجعاً إلى أبي عبيدة وكانت هذه الموقعة في السنة الخامسة عشرة
للهجرة (١)

حمص (٢)

بلغ هرقل ما صنع المسلمون بجنده فسار عن حمص وأمر عامله عليها
بالتحصن وأن لا ينازل المسلمين إلا في كل يوم بارد رجاء أن يهلكهم البرد
قصد أبو عبيدة حمص عن طريق بعلبك وقدم إليها السمط بن الأسود
الكندى وأرسل خالداً إلى البقاع فسار إليها خالد وافتتحها وسار أبو عبيدة
حتى نزل على حمص وجاء بعده خالد فنزل عليها - بعد أن فتح البقاع -

(١) راجع الطبري ج ٤ ص ١٥٣

(٢) بالكسر ثم بالسكون والصاد مهملة بلد مشهور قديم كبير مسور . . . وهي بين
دمشق وحلب في نصف الطريق . . . وبها دار خالد بن الوليد وقبره وقبر زوجته
وقبر ابنه عبد الرحمن وعند قبر خالد قبر عباس بن غنم - معجم البلدان ج ٣ ص ٣٤٠

وحاصرها المسلمون وشددوا عليها الحصار فلما ذهب الشتاء وانقطع الرجاء طلبوا الصلح فصالحهم المسلمون

الحاضر

بعد أن فتحت حمص أرسل أبو عبيدة خالدا إلى قنسرين فلما نزل الحاضر التقى بجيش للروم عليه ميناس - وهو أعظمهم بعد هرقل - فقاتلهم قتالا شديدا وقتل ميناس وتساقط الروم عليه حتى هلكوا عن آخرهم. أرسل أهل الحاضر إلى خالد يعتذرون إليه بأنهم حشروا كرها ولم يكن من رأيهم حربه فقبل منهم وتركهم

قنسرين (١)

لما انتهى خالد من الحاضر سار حتى نزل على قنسرين فتحصن أهلها منه فقال لهم: « لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا (٢) » فظروا في أمرهم وذكروا ما لقي أهل حمص وغيرها من البلدان فطلبوا الصلح على مثل صلح حمص فأبى إلا على خراب المدينة وكان ما أراد فأخبرها كان هرقل قد ترك حمص إلى الرها فلما أباد خالد الروم بالحاضر وأخرب قنسرين يئس من بقاء الشام في يده فودع سوريا وداع الحزين بقوله: « عليك السلام يا سورية سلاماً لا اجتماع بعده ولا يعود إليك رومي أبداً »

(١) بكسر أوله وفتح ثانيه وتشديده وقد كسره قوم ثم سين مهملة... وهو كورة

بالشام منها حلب بينهما مرحلة من جهة حمص - معجم البلدان ج ٧ ص ١٦٩

(٢) ثقة هائلة بنصر الله وهي تكشف لنا عن نفس خالد العبقرية

وكانت وقعة خالد بالروم في الحاضر وقنسرين مدعاة لأن يغير عمر رأيه فيه ويرضى عنه . قال الطبري: فلما كان من أمره وأمر قنسرين ما كان رجع عن رأيه ^(١) وقال فيه قوله المشهورة: « أمر خالد نفسه يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال مني » وهذا رجوع صريح من عمر عن رايه في خالد وشهادة تعتبر بحق أكبر مدح له لصدورها من عمر

مرعش ^(٢)

بعد أن فتحت قنسرين سار خالد إلى مرعش ففتحها وأجلى أهلها وأخربها وفتح حصن الحدث ^(٣)

الآن وقد انتهينا من فتوح خالد وأعماله لا يفوتنا أن نعرض بكلمة عما يردده بعض المغرضين الذين في أعينهم قذى، وران على قلوبهم كراهة الاسلام وأهله من أن انتصار خالد على دولتي الفرس والروم واقتطاعه جانباً كبيراً من أرضيهما في ذلك الوقت الوجيز لم يكن لثقة المسلمين بأحدى الحسينين ولا بتأييد الله لهم لاظهار دينه ولا لكفاية قوادهم ودربة جنودهم وتآلف قلوبهم وإنما كان لأمر عارض تصادف وجوده والعرب في بدء نهضتها ذلك هو ما كانت فيه الدولتان من اختلاف واضطراب في الداخل . وهو كلام يبدو صحيحاً لكن لمن ينظر في بعض من حقائق التاريخ ويأبى إلا أن يغمض عينيه عن بعض؛ لأننا رأينا كلتا الدولتين

(١) الطبري ج ٤ ص ١٥٥ ، ابن الأثير ج ٢ ص ٣٤٤

(٢) مرعش بالفتح ثم السكون والعين مهملة مفتوحة وشين معجمة مدينة في الثغور

بين الشام وبلاد الروم — معجم البلدان ج ٨ ص ٢٥

(٣) تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٦٠

تحشد لجوع المسلمين جيوشاً جرارة متصلة المدد وهما فوق ذلك لهما عهد بتسيير الجيوش وتعبئتها ولقد رأينا في بعض المواقع أنهم لما يأبها بالعرب ولم يشكوا في القضاء عليهم وكانوا يعتقدون أن العرب إذا مادارت رحي الحرب انكفأوا راجعين إلى باديتهم ليتواروا فيها

هذه هي الحقيقة التاريخية التي لا مزية فيها وحسب الناظر أن ينظر إلى موقعة اليرموك والأعداد التي حشدها الروم لملاقاة المسلمين والتعبئة التي خرجوا فيها والتي لم ير الراؤون مشاهدا قط فانه لا يختلجه شك في صحتها ولكن بعض المرضى بكراهة المسلمين الذين يعز عليهم أن يكون فيهم أمثال خالد الملم يروا بدا من الاعتراف بغلبة المسلمين وانتصاراتهم المتوالية وزلزلة الدولتين على أيديهم في ذلك الوقت الوجيز ذهبوا يتلمسون المعاذير ويتبردون بكؤوس الباطل وهي معاذير كما ترى أو هي من باطلهم ولا بد للحق أن يعلو ولو كره المبطلون

هذا ولا يفوتنا أن نقول إن هذه الوقائع التي حصلت بين المسلمين والروم في بلاد الشام قد اتفق المؤرخون على حدوثها ولكنهم اختلفوا في ترتيبها وأزمان حدوثها

ترتيب الوقائع وأزمان حدوثها^(١)

وسندكر فيما يلي رواية بعض المؤرخين في ترتيبها وما اخترناه نحن مع بيان وجه الاختيار :

ذكر البلاذري^(٢) أن خالدا اجتمع مع المسلمين في بصرى وأنهم

(١) هذا الفصل وإن كان أنسب وله قيمته في تاريخ الفتوح إلا أننا قد رأينا أن الفائدة من اثباته تبرر ذكره في تاريخ خالد

(٢) ص ١١٩ وما بعدها

أمروه في حربها ثم ذكر موقعة أجنادين وأنها كانت في جمادى الأولى
أو جمادى الآخرة من سنة ١٣ وأن ممن قتل بها عكرمة بن أبي جهل وهبار
ابن سفيان وسلمة بن هشام وعمرو بن سعيد بن العاصي وأخيه أبان وجندب
ابن عمرو والدوسي الخ ثم ذكر بعدها موقعة سماها الياقوصة انتصر فيها المسلمون
وأثم في هذه الموقعة نعي أبي بكر وبعدها كانت فحل « ٢٨ القعدة سنة ١٣ »
ثم مرج الصفر « محرم سنة ١٤ » وأن دمشق كانت في رجب سنة ١٤
ثم بعدها حمص ، وأن اليرموك كانت في رجب سنة ١٥

واليعقوبى ^(١) يقول : وافاهم « يعنى خالدا » فافتتحوا بصرى وفحل
وأجنادين من فلسطين . . . وكانت أجنادين يوم السبت لليلتين بقيتا
من جمادى الأولى سنة ١٣ ، ثم مرج الصفر ثم دمشق في رجب سنة ١٤
ثم فحل ثم حمص وتراجع أبو عبيدة فحاصر بالمسلمين على اليرموك لما بلغه
ما جمع هرقل وكانت وقعة اليرموك سنة ١٥ وبعدها رجع أبو عبيدة إلى حمص
ورتبها الطبرى فيما عدا روايته عن ابن اسحاق على الوجه الذى ذكرنا .
وسنبدى ملاحظتنا على هذا الترتيب مبينين وجه اختيارنا للطريق
الذى سلكناه

١- ذكر البلاذرى وقعة فحل قبل دمشق وهذا يتنافى مع كتاب
عمر الذى يأمر فيه أبا عبيدة بأن يبدأ بدمشق لأن فيها قوة الروم « وقد
تقدم نص الكتاب »

واليعقوبى اضطرب فذكرها مرة قبل أجنادين ومرة بعد دمشق
ولم نر من وافق اليعقوبى على هذا الرأى

والطبري ذكرها بعد دمشق وهو يوافق رأى اليعقوبي في أحد موضعيه كما يوافق كتاب عمر لابن عبيدة وهو الأوفق من الوجهة الحربية لأن في ذلك قصد القوة الكبرى للعدو^(١)

٢ — ذكر البلاذري موقعين سمي إحداهما الياقوصة وقال إنها التي جاء المسلمون فيها نعى أبي بكر وسمى الثانية اليرموك وقدر جعنا المعجم البلدان وكتب التاريخ التي بين أيدينا فلم نجد فرقا بينهما فالياقوصة ضفة اليرموك ولم نر من المؤرخين من ذكر أن هذا المكان قد حصل فيه موقعتان . على أننا قد رأينا كلاما لبعض المؤرخين المحدثين يتضمن أن اليرموك يطلق على مكانين فإن صح ذلك فلا مانع من أن يكون هناك موقعتان في كل مكان موقعة ولكنه كلام يعوزه الإثبات

٣ — ذكر البلاذري واليعقوبي والطبري في روايته عن ابن اسحاق موقعة اجنادين قبل دمشق وأنها كانت في جمادى الأولى أو الآخرة سنة ١٣ وأن اليرموك كانت سنة ١٥

والطبري فيما عدا روايته السابقة قد عكس فذكر اليرموك سنة ١٣ واجنادين سنة ١٥ ، وقبل الحكم برجحنا إحدى الروايتين نقرر :

١ — إن القتلى الذين ذكرهم البلاذري في اجنادين هم بعينهم الذين ذكرهم الطبري في اليرموك وأن السبب الحامل لاجتماع المسلمين باليرموك على رأى البلاذري واليعقوبي هو بعينه الحامل على اجتماعهم في اجنادين على رأى الطبري

(١) وكذلك فعل الألمان في الحرب العظمى إذ وجهوا قواتهم الرئيسية إلى الميدان الغربي ووضعوا في الميدان الشرقي قوة بسيطة تقف فقط في وجه العدو

ب — إن المؤرخين اتفقوا على حدوث هاتين الموقعتين إحداهما قبل فتح دمشق والأخرى بعدها

ج — إن اليرموك واجنادين مكانين مختلفين: فاليرموك واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن ، واجنادين من الرملة من كورة جبرين

ويمكن تلخيص الخلاف بين المؤرخين في أى الواقعتين كانت قبل دمشق ونحن نميل إلى أن اليرموك كانت قبل دمشق وإن اجنادين بعدها وذلك : —

١ — لأن كتاب أبى بكر لخالد الذى يأمره فيه بالمسير إلى الشام لاغثة المسلمين صريح فى ذلك « أن سرحتى تأتى جموع المسلمين باليرموك »

٢ — صرح بذلك ياقوت فى معجمه ج ٨ ص ٥٠٤

٣ — الأبيات التى قالها القعقاع بن عمرو حين سار جيش العراق لنجدة المسلمين بالشام تصح بذلك وأنهم اجتمعوا مع المسلمين باليرموك ومنها : —

وجئنا إلى بصرى وبصرى مقيمة فألقت إلينا بالحشا والمعاذر
فضضنا بها أبوابها ثم قابلت بنا العيس فى اليرموك جمع العشائر
٤ — الطبرى فيما عدا روايته عن ابن اسحق ذكر أن اليرموك قبل دمشق

٥ — ضعف الطبرى^(١) رواية الواقدى التى تقول: بأن اليرموك

(١) الطبرى ج ٤ ص ٥٩

سنة ١٥ إذ يقول ما نصه : « وزعم - يعنى الواقدي - أن وقعة اليرموك كانت في سنة خمسة عشر

على أن روايته عن ابن اسحاق التي تقول بأن اجنادين سنة ١٣ ودمشق سنة ١٤ واليرموك سنة ١٥ يرتد آخرها بالمنافاة على أولها فقد صرح في أولها بأن عزل خالد كان والمسلمون على دمشق سنة ١٤ وفي نهايتها يقول : ولم يزل عمر عليه - يعنى خالداً - ساخطاً ولأمره كارهاً في زمان أبي بكر كله لوقعته بآبن نويرة وما كان يعمل به في حربه فلما استخلف عمر كان أول ما تكلم به عزله . وهذا صريح في أن العزل كان في بدء خلافة عمر يعنى في منتصف سنة ١٣ مع أنه في صدر روايته يقول : إن عزله كان وهم على دمشق سنة ١٤

٦ - ويقول ابن برهان الدين ^(٢) : « فان الصديق رضى الله تعالى عنه توفي وهم في الاستعداد للقتال باليرموك »

٧ - إن اليرموك من إقليم الأردن واجنادين من فلسطين والمسلمون بعد فتح دمشق كانت أقدامهم قد ثبتت في إقليم الأردن بأكملة بينما كان إقليم فلسطين لا يزال الكثير من مدنه كبيت المقدس وغيره تحت حكم الرومان وفيه كثير من جنودهم ولما يفتحه المسلمون بعد ، فالمعقول إذن أن جيوش الروم حينما سار بها هرقل يريد المسلمين تجتمع في بلد خاضع لها وبين أقوام ينصرونها ليكون ذلك أسلم عاقبة وأضمن للنصر ولا يعقل أن يخطر الروم بجيوشهم فيقصدوا المسلمين بالأردن ، وعلى هذا فالموقعة في فلسطين لا الأردن وبعبارة أخرى في أجنادين لا في اليرموك

ولهذا فقد اخترنا أن اليرموك قبل دمشق وأن الموقعة التي بعدها هي أجنادين . ولا يبعد أن يكون قد حدث بأجنادين موقعتان : إحداهما قبل اليرموك والثانية بعد دمشق في سنة ١٥ ويكون البلاذري واليعقوبي قد ذكرا الأولى ولم يلتفتا للثانية رغم أنها كانت من المواقع الهامة وهي التي كان لعمر بن العاص فيها القدح المعلى وفيها يقول عمر : قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب . ويرشح هذا أن الطبري في بعض رواياته ذكر أجنادين قبل اليرموك ثم عقد لها فصلاً خاصاً وذكرها ثانية بعد دمشق

هذا ولعل اختلاف روايات المؤرخين واضطرابهم في ترتيب الحوادث مرده تتابع الغزوات والوقائع في سني ١٣ و ١٤ و ١٥ وربما كانت واقعتان في وقت واحد فيذكر أحد الرواة إحدى الواقعتين قبل الأخرى ويعكس راو آخر ثم يأتي من يروي عن كل منهما فيرتبهما ترتيباً زمنياً مختلفاً وربما انتقضت بلد فأعاد المسلمون فتحها فيذكر راو الفتح الأول ويعتمد آخر الفتح الثاني فلا بدع إذن أن ينشأ الاختلاف والاضطراب .

النفور بين عمر وخالده ما آل إليه

أسبابه ، الغزل ومتى كان . أثر الغزل في نفس
عمر ، أثره في نفس خالده . أثره في نفوس الامراء .
اثره في نفوس الجند ، ما آل اليه الخلاف بينهما

أسبابه:

وقبل الكلام على الأسباب التي أدت إلى هذا النفور والأحوال
التي زادت ورشحته نرى أن نلم إلمامة خفيفة بأخلاق كل منهما وفي ضوء
ذلك نسير لتعرف أسباب هذا البغض
فمن أخص أوصاف عمر :-

- ١ - حب الحق للحق وتحت كل العوامل والمؤثرات ولا يعدل
ذلك عنده أى شىء مهما جل
- ٢ - مصلحة المسلمين عنده فى المقام الأول ، ورضى العامة عنده هو
المهم وسواء لديه أرضى عماله أم سخطوا
- ٣ - الشدة على عماله ومراقبتهم مراقبة شديدة دقيقة حتى إنه كان
لا يخفى عليه شىء من أمورهم
- ٤ - يرى أنه لا يحق للعمال التصرف فى شىء إلا بأمره ولا سيما
ما كان خاصاً بالأمور المالية فقد أثر عنه أنه كان يقول : « أنا تاجر المسلمين »
- ٥ - كان رجلاً متقشفاً ويعجبه من عماله أن يكونوا على مثاله ومن
رأيه أن تظل الأمة العربية على تقشفها وبدائها ولا يرغب فى أن تنغمس
فى نعيم الدنيا حتى لا تتركز إلى الراحة فالجنول^(١)

(١) وفى الحق لو استمرت الأمة الإسلامية على هذه الخطة التى كان يريد لها عمر
لما نالها الضعف والوهن

ومن أخص أوصاف خالد :-

١ - حب الحق للحق إلا أنه ربما تساهل في ساعات الحرب في بعض أمور صغيرة إذا رأى مصلحة المسلمين في ذلك وهو تساهل الحكيم الذي أيدته الشريعة الإسلامية حين رأت ألا تقام الحدود في الحرب

٢ - يرى أن العمال والأمراء يحسن أن يكون لهم بعض الحرية والاختيار ، وبالتالي ليس أمر الخليفة واستطلاع رأيه أمراً لازماً في كل الأحوال فلا مانع عنده أن يعمل الأمير برأيه في بعض الأمور التي ربما فأتت فرصتها انتظار الأمر الخليفة

٣ - لا بأس عنده من التمتع والرفاهة ما دام ذلك في حدود الدين^(١)

٤ - كان رجل حرب وهذا يستلزم أن يكون في طباعه شيء من الشدة والقسوة والنصر على الأعداء عنده الغاية تبرر أي وسيلة كانت من هذا التمهيد المجمل يمكن أن نقول إن الرجلين وإن اتفقا في حب الحق وتقديم مصلحة المسلمين لكن لكل منهما وجهة تغاير وجهة الآخر ومبررات تبرر رأيه وفي طباع كل منهما نوع من الشدة فالمعقول إذن أن يصطدما تبعاً لأخلاقهما واختلاف وجهتي نظريهما في بعض الأمور ولم يظهر لوجهتي نظريهما أثر في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لم تكن في زمنه عليه السلام شخصية كائنة ما كانت تطمع في أن يكون لها رأى يقرن برأيه صلى الله عليه وسلم وإنما غاية أحدهم أن يسأل عما لا يعرف

فلما جاء زمن أبي بكر ابتداءً أجلاء الصحابة وأهل السابقة والفقهاء منهم

(١) فقد أثر عنه دخول الحمام وإجازة الأشعث بعشرة آلاف

يدلون برأيهم فيما يجد من أمور و كان عمر في زمن أبي بكر كالوزير له
يستشيريه و كثيراً ما يعمل برأيه . و من هذا الوقت ابتداءً دور البغض
و الخلاف بين عمر و خالد يظهر في صورة محسنة عندما تعرض مناسبة لذلك
بيد أنه لم يتمكن من عزله زمن أبي بكر لأنه كان سهلاً ليناً عنده مرونة
لا يقيد من عماله و يرى أن يتغاضى عن بعض الشيء من خطئهم في سبيل
المصلحة العامة التي تعود على المسلمين من أعمالهم و في الحق أن أبا بكر كان
في حاجة لسيف خالد (لأنه الذي فحقاً عين الردة و زلزل عروش الأئ كاسرة
و القياصرة و مهد السبيل للفتوح العظيمة التي تمت بعد) و ليس من
السياسة في شيء عزله في زمن أبي بكر بل و لا في زمن عمر . و من رأينا
أن عمر رضى الله عنه كان متحاملاً على خالد . و قد اعترف عمر بسداد
نظر أبي بكر في خالد إذ يقول : « رحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال مني »
ولما تولى عمر بادر بعزله و سندكر فيما يلي بعض ما قاله المؤرخون
في أصل العداوة بينهما مما كان له أثر كبير في عزله

أصل العداوة بين عمر و خالد :

ذكر ابن عساکر^(١) و ابن برهان الدين أن السبب في هذا البغض
هو تصارعهما و هما غلامان و كسر خالد ساق عمر و أن البغض مازال بينهما
حتى تولى عمر فعزله . و نحن مع اعترافنا بحصول هذا الصراع لو سلمنا
بأن له أثراً ولو ضئيلاً في نفسيهما و هما غلامان فلا نسلم ببقاء هذا الأثر
عند انتهاء زمن الغلومة ولو سلمنا جدلاً أن هذا الأثر لازمهما بعد الكبر

(١) ابن عساکر ص ٧١٠ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٦

فلا نسلم بحال ببقاء ذلك بعد إسلامها ولا يمكن أن يعقل هذا رجل رشيد عرف الإسلام وأثره في نفوس الصحابة، وإذا كانت ثارات الجاهلية وما كانت تحمله نفوس العرب من حب الثأر والانتقام يحى أثره بالإسلام أفلا يحى أثر صراع بين اثنين؟ بيد أنه كان بينهما وهما غلامان ورغم أنهما قريبان. وإذا كان الرجل بعد الإسلام يلقي قاتل أبيه أو أخيه ولا يحمل له غلا في نفسه أفيجمل بعمر أن يحمل غلا لابن خاله خالد بعد إسلامهما لصراع كان بينهما وهما غلامان. اللهم إنا لانعقل ذلك. على أن قول عمر في خالد حين عزله عن قنشرين فقدم عليه المدينة ونصه: «... يا خالد والله إنك على لكريم، وإنك إلى لحبيب...» يدل بصراحة على أن عمر لا يحمل في نفسه حقدا لخالد وهو إليه حبيب «الطبرى ج ٤ ص ٢٠٥»

ولكن الأسباب الحقيقية التي يؤيدها الواقع وينطق بها التاريخ وتنطبق على خلق الرجلين هي: —

١ — قتل خالد مالك بن نويرة وتزوجه بامرأته الأمر الذي أدى إلى أن يطلب عمر من أبي بكر أن يقيده أو يعزله وما كان في نفسه قبل ذلك منذ أوقع بني جذيمة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يضاف إلى ذلك قتله للرجلين اللذين كانا يحملان كتابا من أبي بكر بإسلامهما وذلك في موقعة المصيح^(١)

٢ — كان فيه تقدم على رأى أبي بكر فلما تولى عمر لم يعجبه ذلك منه^(٢)

(١) راجع الطبرى ج ٤ ص ٥٦، والاصابة ج ١ ص ٩٩

(٢) راجع ابن عساكر ص ٧١٣، والاصابة ج ١ ص ٩٩

٣ — كان لا يرفع حساباً لأبي بكر ويفعل أشياء لا يراها وكان يغفر له ذلك وعمر على خلاف هذا

٤ — افتتان الناس به واستماتتهم تحت أوائه وجههم للقتال تحت رايته بخاف عمر أن يوكل الناس إليه فعزله ليعلموا أن الله ينصر دينه سواء أكان القائد خالداً أم سواه . وقد صرح بذلك عمر وكتب إلى الأمصار : « إني لم أعزل خالداً عن سخط ولا عن خيانة ولا كن الناس فتنوا به فخفت أن يوكلوا ويبتلوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وألا يكونوا بعرض فتنة » (١)

متى كان العزل ؟

اختلف المؤرخون في عزله متى كان ؟ فالبعض (٢) يقول : ان عزله كان والمسلمون على حصار دمشق ، وفريق يرى أن عزله حصل في أثناء موقعة اليرموك (٣)

فمن قال بانه عزل والمسلمون على حصار دمشق يتعلل بأن خالداً كان أمير القتال وأن كتاب الصلح مذيّل بامضائه وهو دليل كما ترى لا يكفي لأن إمرة القتال وإمضاء الكتاب ربما كانا لكفاءته في القتال ومرانه على كتابة العهد وفضلاً عن ذلك فإن في هذا الفريق من يقول : إن المسلمين حاصروا دمشق قبل وفاة أبي بكر بأربعة أيام وهو رأى غريب ومنه من يروى العزل بصيغة تشعر بالضعف كالبلاذري حيث يقول : « وقوم

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٠٦

(٢) رواية الطبري عن ابن اسحاق ج ٤ ص ٥٥ ، البلاذري ص ١٢١

(٣) وعلى هذا الرأي معظم روايات الطبري وهو ما ذكره ابن الأثير

يقولون إن ولاية أبي عبيدة الشام أتمته والناس محاصرون دمشق فكتبها
خالداً» ومنهم من آخر روايته يتنافى مع أولها، فبينما يقول إن عزل خالد
كان والمسلمون على دمشق سنة ١٤ نراه في نهاية روايته يصرح بأن أول
مابداً به عمر هو عزل خالد. وعلى هذا لم يسلم لهذا الفريق رأى صحيح.
على أن كل دليل يؤيد الرأي الذى نختاره ينقص هذا الرأى
والفريق الذى قال إنه عزل والمسلمون على اليرموك هو الفريق
الذى نرى رأيه وتأييده وطريقنا فى تأييده أمران: —

١ — نصوص تاريخية منها: —

١ — ما ذكره الطبرى فى عدة روايات^(١) ومن ذلك قوله: «وكانوا
بالياقوصة فأخبروا أبا عبيدة بوفاة أبى بكر وولايته حرب الشام
وضم عمر الأمراء إليه وعزل خالد ابن الوليد»

٢ — وقول ابن الأثير فى أثناء كلامه عن اليرموك: «وإنما جاء (يعنى
البريد) بموت أبى بكر وتأمير أبى عبيدة»^(٢)

٣ — وقول معجم البلدان فى صدد كلامه عن اليرموك: «وجاء
البريد يومئذ بموت أبى بكر وخلافة عمر وتأمير أبى عبيدة على الشام كله
وعزل خالد»^(٣)

٤ — ما قاله صاحب السيرة الحلبية من أن الصديق رضى الله عنه
توفى وهم فى الاستعداد للقتال باليرموك . . . ولما ولى سيدنا عمر أرسل

(١) راجع الطبرى ج ص ٤٦٠، ٥٥ ٣٨٠

(٢) ابن الأثير ج ٢ ص ٢٨٣

(٣) ج ٨ ص ٥٠٤

البريد بعزل خالد وتولية أبي عبيدة بن الجراح على العسكر^(١)

ب - أدلة تاريخية تعتمد على شيء من التدبر ، منها : -

١ - كان أول ما بدأ به عمر عزل خالد وتولية أبي عبيدة مكانه وقد روى البداية بالعزل جمهرة^(٢) المؤرخين مما لا يدع مجالاً للشك وإذا كان العزل أول ما بدأ به عمر وكانت اليرموك - كما تقدم - هي فاتحة الوقائع في زمن عمر ، فاذن يكون العزل الذي هو أول الأعمال في أول الوقائع اعني اليرموك

٢ - ذكر اليعقوبي^(٣) أن عمر كتب لأبي عبيدة بخبر وفاة أبي بكر مع يرفاً مولاه . وكتب بعقده وولايته الشام مكان خالد بن الوليد مع شداد بن أوس وصير خالداً موضع أبي عبيدة ، وقد ذكر أن الموقعة التي تهيأت زمن أبي بكر وتمت في عهد عمر هي اليرموك فعلى هذا يكون العزل باليرموك

٣ - قول ابن الأثير : « وكان أول كتاب كتبه إلى أبي عبيدة بتوليته جند خالد وبعزل خالد ... وأول ما تكلم به عزل خالد وقال : لا يلي لي عملاً أبداً »^(٤)

٤ - كتاب أبي بكر لخالد الذي يأمره فيه بالمسير إلى الشام لاغاثة المسلمين باليرموك : أن سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك^(٥) .

(١) ج ٣ ص ١٦٣

(٢) يراجع الطبري ج ٤ ص ٥٤ و ٥٦ واليعقوبي ج ٢ ص ١٥٨ وابن الأثير

ج ٢ ص ٢٩٣

(٣) ج ٢ ص ١٥٨

(٤) ج ٢ ص ٢٩٣

(٥) الطبري ج ٤ ص ٢٦ ، ٤٠ ، ابن عساکر ص ٧٠٧

صریح فی أن سیر خالد لا غائۃ المسلمین بالیرموک . والیرموک فاتحة عهد
عمر والعزل أول ما بدأ به فالعزل إذن فی الیرموک

ویبدو لنا أن عمر عزل خالدًا أكثر من مرة وهذا العزل الذی
حصل والمسلمون علی الیرموک عزل عن القيادة وجعل خالد خاضعا
لأبی عبيدة الذی عین قائدا عاما لجیوش المسلمین وأمیرا للأمرأ الذین
بالشام . ولما فتحت قنسرین عین خالد علیها تحت یدی أبی عبيدة ثم عزله
منها عمر . ویبان ذلك :

أنه حینما زار عمر بلاد الشام ورجع أدرب خالد وعیاض بن غنم
من الجایة وأصابا أموالا عظيمة ، ولما قفل خالد وبلغ الناس ما أصابت
تلك الصائفة انتجعه رجال ... فكان الأشعث بن قیس ممن انتجع خالدًا
بقنسرین فأجازه بعشرة آلاف وكان عمر لا یخفی علیه شیء فی عمله، كتب
إلیه من العراق بخروج من خرج ومن الشام بجائزة من أجیز فیها فدعا
البرید وكتب معه إلی أبی عبيدة أن یقیم خالدًا ویعقله بعمامته وینزع عنه
قلنسوته حتی یعلمهم من أين إجازة الأشعث أمن ماله أم من إصابة أصابها
فان زعم أنها من إصابة أصابها فقد أقر بخيانة وإن زعم أنها من ماله فقد
أسرف واعزله علی كل حال واضمم إلیك عمله

نفذ أبو عبيدة أمر الخلیفة فی خالد ولكنه لم یصرح له بالعزل فبقى
خالد لا یدری أمعزول أم غیر معزول ، ولما لم یقدم المدینة علی عمر ظن
الذی قد كان فكتب إلیه بالاقبال فأتی خالد أبا عبيدة فقال له فی ذلك
فقال له : « إنی والله ما كنت لأروعك ما وجدت لذلك بدا وقد علمت
أن ذلك یروعك فرجع خالد إلی قنسرین فخطب أهل عمله وودعهم

وتحمل ثم أقبل إلى حمص فخطبهم وودعهم ثم خرج نحو المدينة حتى قدم على عمر فشكاه وقال : لقد شكوتك إلى المسلمين وبالله إنك في أمرى غير مجمل يا عمر ، فقال عمر : من أين هذا الثرى ؟ قال من الأنفال والسهمان ما زاد على الستين ألفا فلك ، فقوم عمر عروضة فخرجت إليه عشرون ألفا فأدخلها بيت المال ثم قال : يا خالد والله إنك على لكريم وإنك إلى الحبيب ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء ^(١) وكتب عمر إلى الأمصار : إني لم أعزل خالدا عن سخطه ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به . . . وعند قدوم خالد قال عمر متمثلا :

صنعت فلم يصنع كصنعك صانع وما يصنع الأقوام فالله يصنع ^(٢)
وقد رجع خالد إلى حمص وجعلها مقامه واعتزل فيها مرابطا بها حتى توفي ^(٣)

أثر العزل في نفس عمر

مهما يكن السبب الذي من أجله عزل عمر خالدا فإن عمر كان يرى أنه فعل ما يوافق دينه ويرضى ربه وما هو الأوفق لمصلحة المسلمين ويرى أن عزله إيام وقسوته عليه ومشاطرة ماله صلاح له وتهذيب لطبائعه وتقويم

أثر العز ١ في نفس خالد

أما خالد فإن العزل لم يغير من عزمه ولم يوهن من قوته وحرصه على نصره الدين وإدلال الشرك وأهله ، وإعزاز الاسلام وجنده وإذا

(١) الطبرى ج ٤ ص ٢٠٥ وابن عساكر ص ٧١٠

(٢) الطبرى ج ٤ ص ٢٠٦

(٣) ابن عساكر ص ٧١٢ و ٧١٤

كانت نفسه لم تخبث ولم تحمل حقدا ولا غلا لعمر ولا منعه العزل من أن يطعن في نحور الأعداء ويترامى على الموت في اللحظة التي بلغه فيها العزل فانه بعد أن هدأت نفسه وخف وقع العزل عليه فقد أدلى بالتضحية والتفاني والرضى عن عمر . ولا أدل على ذلك من حروبه التي شهداها بعد العزل وهو جندي وتحت إمرة غيره والتي فعل فيها الأعاجيب مما أدى إلى اعتراف عمر له بالتفوق الحربي والتأهل للأمانة بقوله : « أمر خالد نفسه . . . » الذي يعتبر أحسن مدح لخالد

✱ أثر العزل في نفوس الأمراء

لم يكن عزل خالد بالذي يحط من قدره أو يحقر من شأنه في نفوس الأمراء والقواد بل ما زال بعد العزل كما كان قبله غير مجهول القدر ولا خامل الذكر معظما موقرا من كل الأمراء ، إذا جد الجدد وتوافقت الجنود ورخصت الأرواح ظهر خالد وهرع إليه الأمراء ليستطلعوا رأيه وليأخذوا عنه أحزم الخطط للنيل من العدو ولئن تخطاه مركز الامارة والتولية من الخليفة ومظهر ذلك في الظاهر فلم يفته أثرها والغرض منها في الواقع

✓ اثر العزل في نفوس الجنود

أما الجنود فكانوا أحرص على القتال تحت لوائه وسواء منهم من قاتل تحت رايته بالأمس ومن لم يقاتل يتسابقون على طاعته ويستمتيتون للقتال بين يديه ويحرصون على أن يكونوا في كرده يرفعون يمين نقيبته وحسن تديره وأصالة رأيه ومهارته في القيادة والتعبئة والوصول بهم إلى النصر

★ أثر العزل في نفوس كبار الصحابة

مما لا شك فيه أن أجلاء الصحابة وكبراءهم كانوا يودون ان لو كان قد بقي خالد أميراً ويرغبون في أن يكون خالد متمتعاً برضاء الخليفة كما كان في زمن أبي بكر فهم يعرفون خالداً وعزماته وسياسته في الحرب والكثير منهم عجمة جاهلية وإسلاماً وبودهم لو يظل سيف الله شاهراً سيف الامارة مسدداً سهم القيادة في صدور الأعداء

ما آل اليه البغض بينهما

انتهى هذا البغض الشديد بينهما بمحبة وإخلاص من كليهما ورضاء كل عن الآخر واعتراف كل منهما بأن الحق في جانب صاحبه . وهذا يشعرنا بأن البغض بينهما لم يكن لغرض دنيوى أو شخصى وإنما هو بغض للدين ولمصلحة المسلمين ، فقد ندم عمر على ما صنع مع خالد وقال فيه حين مات ولم يوجد له إلا فرسه وسلاحه وغلامه : « رحم الله أبا سليمان إن كنا لنظنه على غير هذا ^(١) » ويتجلى لنا ذلك حين قدم خالد المدينة على عمر وشكاه للمسلمين فقال : « يا خالد والله إنك على لكريم وإنك إلى لحبيب ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء ^(٢) »

يا له من اعتراف وترضية تصدر من خليفة المسلمين الكبير قواد المسلمين فلم يكفه أنه عليه كريم وإليه حبيب بل يعده بأنه لن يعاتبه بعد اليوم على شيء

وإذا أردت أكثر من هذا فانظر إليه حين طعن وعرف أنه سيموت

(١) ابن عساكر ص ٧١٤ و ٧١٦

(٢) الطبرى ج ٤ ص ٢٠٥

وقد قيل له لو عهدت يا أمير المؤمنين فقال : « ... ولو أدركت خالد ابن الوليد ثم وليته ثم قدمت على ربي فقال لي من استخلفت على أمة محمد لقلت سمعت عبدك وخليتك يقول : لخالد سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ^(١) ». عمر في آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة يتمنى أن لو كان خالد حيا ليوليه الخلافة ويرى أنه بذلك يدافع عن نفسه إذا ما سأله مولاه عمن خلف على أمة محمد . وعمر هو الذي قال متمثلا حين قدم عليه خالد :

صنعت فلم يصنع كصنعك صانع وما يصنع الاقوام فالله يصنع
 لله انت يا عمر حين تقول وقد ذكر خالد وموته : « قد ثلم في الاسلام
 ثلثة لا تترق » . وأنت أنت الذي حزنت وأكثرت من الترحم عليه حين
 مات وقلت فيه : « كان والله سداداً لنحور العدو ميمون النقية » . وأنت
 الذي تتمنى أن لو مد الله في عمره فتقول : ليته بقى ما بقى ^(٢) بالحصى حجر
 وأخيراً تقول وقد دخل عليك هشام بن البحتري في ناس من بني مخزوم
 فطلبت منه أن ينشدك من شعره في خالد فلما أنشدك رأيت أن هذا
 الشاعر رغم إجادته لم يوفه حقه ، فقلت له :

« قصر في الثناء على أبي سليمان رحمه الله ، إن كان ليحب أن يذل الشرك
 وأهله وإن كان الشامت به لمتعرضاً لمقت الله وتمثلت بقول أخى بنى تميم .
 فقل للذي يبغى خلاف الذي مضى تهيأ لآخرى مثلها فكأن قد
 فما عيش من قد عاش بعدى بنافعي ولا موت من قد مات يوماً بهخلد

(١) ابن عساكر ص ٦٩٧

(٢) ابن عساكر ص ٧١٤

ثم قلت : رحم الله أبا سليمان ما عند الله خير له مما كان فيه ولقد مات فقيداً وعاش حميداً ولكن رأيت الدهر ليس بقابل^(١) وكما ندم عمر على صنيعه مع خالد واعترف بفضله كذلك اعترف خالد بأن صنيع عمر معه وتحامله عليه وتشدده في محاسبته ما كان يريد به عمر إلا وجه الله ومصلحة المسلمين؛ فيحدثنا خالد عن نفسه حين دخل عليه أبو الدرداء عائداً له وهو في مرضه : والله يا أبا الدرداء لئن مات عمر لترن أموراً تنكرها . وقال أبو الدرداء : وأنا والله أرى ذلك قال خالد : قد كنت وجدت عليه في نفسي في أمور لما تدبرتها في مرضي هذا وحضرتني من الله حاضر عرفت أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل كنت وجدت عليه في نفسي حين بعث إلى من يقاسمني مالي حتى أخذ فرد نعل وأخذت فرد نعل فرأيت أنه فعل ذلك بغيري من أهل السابقة^(٢) ومن شهد بدرأً وكان يغلظ علي وكانت غلظته علي غيري نحواً من غلظته علي وكنت أدل عليه بقرابة فرأيت أنه لا يبالي قريباً ولا لوم لائم في غير الله فذلك الذي أذهب ما كنت أجد عليه وكان يكثر علي عنده وما كان ذلك إلا على النظر ، كنت في حرب ومكابدة ولنت شاهداً وكان غائباً فكنت أعطى علي ذلك فخالفه ذلك من أمري^(٣) ولقد شرح لنا خالد في كلامه هذا تصويبه لرأي عمر والسر الذي جعله يرضى عنه بل وزاد في رضاه حتى إنه اعتذر عنه واعترف بانه ليس هو الرجل الذي يحابي قريباً لقربته ولا يخشى لوم

(١) ابن عساكر ص ٧١٦

(٢) وقد شاطر عمر سعد بن أبي وقاص وأبا موسى الأشعري وأبا هريرة وعمر و

ابن العاص ما لهم — العقد الفريد ج ١ ص ١٦٠١٥ المطبعة الأزهرية

(٣) ابن عساكر ص ٧١٢

لا ثم في غير الله وأنه « نعم العون هو على الاسلام »^(١)
 وليس أدل على رضاه وعرفانه بأنه رجل الحق والعدل من أنه حينما
 فارق الدنيا جعل خاتمة علاقته به أن جعل وصيته إليه بعد موته : « وقد
 جعلت وصيتي وتركتي وإنفاذ عهدي إلى عمر بن الخطاب »^(٢)
 ولعمري ان رضاء كل من الرجلين عن الآخر وتقدير كل منهما
 صاحبه لمن المثل العليا لحب الحق والانصاف والعدالة فهكذا يكون
 أهل الاسلام وهكذا تكون أخلاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فرضى الله تعالى عن عمر وخالد وجزاهما عن الاسلام خير الجزاء
 وإذا انتهينا من أعماله وفتوحه والكلام عليه من الناحية الحربية
 فيحسن أن نقول كلمة عنه من الناحية الدينية



٧- الناحية الدينية

كان خالد منذ إسلامه حريصاً على أن يعز الاسلام وأن يذل الشرك
 وهب نفسه وماله في سبيل الله وفي إعزاز الدين ونصرة المسلمين كذلك
 كان يحرص على تعلم الدين وتعرف الحلال والحرام ، فقد روى
 لنا ابن عباس عن خالد : أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بيت ميمونة فأتى بضرب مخوذ فأهوى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يريد أن يأكل منه فقالوا يا رسول الله هو ضرب فرفع رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يده فقلت أحرام هو؟ قال لا ولكنه لم يكن بأرض قومي

(١) ابن عساكر ص ٧١٢

(٢) ابن عساكر ص ٧١٢ ، الاستيعاب ج ١ ص ١٥٧ ، ابن الأثير ج ٢ ص

١٠٤ ، الإصابة ج ١ ص ١٠٠

فأجدني أعافه قال خالد فاجتازته فأكلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر» (١)

لكن مع ذلك عاقه تأخره في إسلامه ثم اشتغاله بالحروب والجهاد عن التفرغ للنظر والبحث في الدين والتبحر فيه والحفظ للحديث الشريف والقرآن الكريم. روى ابن عساكر (٢): «أن خالد بن الوليد أم الناس بالحيرة فقراً من سور شتى ثم التفت إلى الناس حين انصرف فقال: شغلني عن تعليم القرآن الجهاد» ويقول ابن حجر في الإصابة: لقد شغلني الجهاد عن تعليم كثير من القرآن (٣)

على أن حروبه المتوالية لم تمنعه من رواية الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ذكر في الخلاصة أنه روى له ثمانية عشر حديثاً اتفق البخاري ومسلم على واحد وانفرد البخاري بحديث موقوف عليه وذكر ابن حجر في كتابيه الإصابة وتهذيب التهذيب أن من روى عنه ابن عباس وجابر بن عبد الله والمقدام بن معديكرب وقيس بن أبي حازم والأشتر النخعي وعلقمة بن قيس وجبير وأبو العالية وغيرهم (٤)

أما فقهه فقد روى المؤرخون أن خالدًا دخل الحمام فتدلك بعد

(١) ابن عساكر ص ٦٨٧ ، أسد الغابة ج ٢ ص ١٠٣

(٢) ص ٧٠٢ وفي رواية أخرى لابن عساكر: «قال خالد بن الوليد لقد منعني كثيراً من القراءة الجهاد في سبيل الله»

(٣) الإصابة ج ١ ص ٤١٤

(٤) ابن الأثير في أسد الغابة ج ٢ ص ١٠٤ قد ذكر جماعة ممن ذكرهم ابن حجر وزاد عليه أبو أمامة بن سهيل بن حنيف ، وراجع ابن عساكر ص ٦٨٦

النورة بشخين عصفور معجون بخمر فبلغ ذلك عمر فكتب إليه : بلغني أن تدلكت بخمر ، وإن الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنها كما حرم ظاهر الأثم وباطنه وقد حرم مس الخمر إلا أن تغسل كما حرم شربها فلا تمسوها أجسادكم فانها نجس وإن فعلتم فلا تعودوا فكتب إليه خالد : إنا قتلناها فعادت غسولا غير خمر وقال في ذلك خالد مخاطباً عمر

سهل ابا حفص فان لدينا شرائع لا يشقى بهن المسهل
أنجست بالخمر الغسول ولا نرى من الخمر تثقيف المحيل المحلل
وهل يشبهن طعم الغسول وذوقه حميا الخمر والخمر تسلسل (١)
فمراجعتة لعمر وتفرقة بين الخمر وهي في شدتها وتخمرها وبينها بعد
أن زالت عنها هذه الصفة وصارت غسولا تبين أنه كان ذا نظر وفقه في
الدين وإن كان لم يبلغ في ذلك ما بلغه ابن عباس أو ابن مسعود أو غيرها
من الحفاظ وأهل الفقه . وليس أدل على أنه كان صاحب فقه ونظر
من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله إلى بني الحارث بن كعب
بنجران يدعوهم إلى الاسلام فاذا ما أجابوه أقام فيهم يعلمهم شرائع
الاسلام ويفقههم في الدين ولا يمكن أن يرسل النبي صلى الله عليه وسلم
رجلا ينوب عنه في إرشاد الناس وتبصرتهم بأمور دينهم إلا أن يكون
أهلاً لهذا المركز العظيم

وقد يكون من الحسن ان نختم بحثنا في خالد بذكر شيء عن صفته
وأخلاقه مستمدين ما سند كره مما سبق من سيرته :

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٠٤ ، ابن عساكر ص ٧٠٩

صفته وأخلاقه

نصدر كلامنا في ذلك بذكر بعض أقوال ماثورة قالها فيه عظماء الرجال الذين شاهدوه وخبروه فقدروه إذ أن أقوال أولئك العظماء أصدق صورة توضح لنا أخلاقه ظاهرة جليلة تتفق والواقع؛ فهم الذين عاصروه وعن علم يقولون فقولهم فيه أصدق حكم عليه وعلى ما نال من شهرة وعظمة خالدة فهو حكم لا مرية فيه ولا تخمين :

فيقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تؤذوا خالداً فإنه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار »^(١)

ويقول فيه أيضاً : « نعم عبد الله وأخو العشيرة وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين »^(٢)

وقال فيه أبو بكر حين بلغه ما صنع بالفرس في موقعي اليس وامغيشيا : « يامعشر قريش عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله، أعجزت النساء أن ينشئن مثل خالد »^(٣)

وقال فيه حين ألح عليه عمر في عزله : « لا أشيم سيفاً سله الله على الكفار »^(٤)

وقال فيه عمر حينما فتح قنسرين : « أمر خالد نفسه رحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال مني »^(٥)

(١) الاستيعاب ج ١ ص ١٥٨ ، ابن عساكر ص ٨٩٩ ، شرح العيني للبخاري ج

١٦ ص ٢٤٥

(٢) الاستيعاب ج ١ ص ١٥٨ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٦

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٦

(٤) الطبري ج ٤ ص ٣٠

(٥) الطبري ج ٤ ص ١٥٥ ، ابن الأثير ج ٢ ص ٣٤٤

وقال فيه أيضاً حين بلغه موته : « قد تلم في الاسلام ثلثة لا ترتق »^(١)
 وقال فيه أيضاً حين بلغه موته : « كان والله سداداً لنحور العدو
 ميمون النقيبة »^(٢)

ويقول فيه عمرو بن العاص حينما سأله أبو بكر عن رأيه فيه : « يسوس
 الحرب ، نصير الموت ، له أناة القطاة ، ووثوب الأسد »^(٣)
 وقال فيه أكيدر ملك دومة : « لا أحد أيمن طائراً منه ولا أحد في
 حرب ولا يرى وجه خالد قوم أبداً قلوا أو كثروا إلا انهزموا »^(٤)
 ويقول لنا خالد عن نفسه : « ما كان رسول الله يوم أسلمت يعدل
 بي أحداً من أصحابه فيما حربه »^(٥)

وفي ضوء تلك الأقوال الماثورة التي تنطق عن صفة خالد وتصور
 لنا أخلاقه ومواهبه تصويراً صحيحاً نتقدم نحن لبيان أخلاقه وإن شئت
 فقل لشرح هذه الأقوال . وقد سبق أن كتبنا كلمة في الباب الأول تبين
 السر في مهارته في الحروب وفوقه فيها . وسنتكلم الآن عليه من النواحي
 الآتية : —

٤ = سياسته في الحرب وخبرته بفنون القتال

كان رحمه الله ميمون النقيبة موفقاً للنصر مثال القائد الحازم عارفاً

(١) ابن عساكر ص ٧١٤

(٢) ابن عساكر ص ٧١٤

(٣) اليعقوبي ج ٢ ص ١٤٤

(٤) وأكيدر قال قولته هذه لما سار خالد لاغاثة عياض بن غنم . راجع بيان ذلك
 في فتح دومة الجندل

(٥) ابن عساكر ص ٦٩١ . السيرة الحلبية ج ٣ ص ٨٨

بأصول الحرب وأساليبها، يعرف موضع السكر والفر، حائزاً لصفات
الجندى الكريم، له في الحرب رأى الشيخ وجلد الشاب وأناة القطاة
ووثوب الأسد ينتهز الفرصة ويذكي العيون ويحتفظ من البيات لا يفتح
بلداً ويجوزها لغيرها حتى يترك فيها حامية ويأمن من أن يؤتى من ظهره
أحكم معرفة الحروب بطول تجربته وكثرة ملاقاته الكتاب ومقاساة
الجيوش وحصار الحصون حريصاً على الموت في صفوف القتال^(١)
لا ينام ولا ينيم ولا يخفى عليه شيء من أمر عدوه يرى عدوه منه نجوم
الليل والشمس حية ولا يرى وجهه قوم قتلوا أو كثروا إلا انهزموا

٥ - سياسته لجنده و حبه لهم

كان خالد شديد الحب لجنده ينصفهم من نفسه ويعرف لهم حقهم
وينزلهم منازلهم يقودهم إلى حيث النصر ولا يوردهم موارد الهلكة
سخياً في الأنفال والأعطيات لهم. كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستفيد
منها لتشجيع جنده وتدميرهم للقتال فتراه مرة يضرب المثل بنفسه حين
يهتصر قواد عدوه وآونة يهيجهم بما يحسمهم حين يمر بين الصفوف
فيقول: يا أهل الاسلام ان الصبر عز وان الفشل عجز وإن النصر مع
الصبر. وتارة يجعاهم يترامون على الموت ويستحون من الفرار حين
يميز بينهم، كانت صفاته هذه ومعاملته لجنده مدعاة لحبه وتهافت الجند

(١) وكذلك كانت وصية أبي بكر له التي يقول فيها: «أحرص على الموت توهب
لك الحياة» راجع عيون الأخبار ج ١ ص ١٢٥، العقد الفريد ج ١ ص ٣١ وفي هذا
المعنى يقول صاحب العقد الفريد: «وكم من منية علتها طلب الحياة وحياة سببها التعرض
للموت» ج ١ ص ٣١

للاضواء تحت لوائه . هذا إلى أنهم يعتقدون بمن نقيبته وطول دربته
في الحروب ولقد بلغ من اعتقادهم في توفيقه والهامه الصواب أنه حينما
أراد الذهاب للشام مفوزا بهم خطبهم مرغبا لهم في التفويض - وهو من
غير شك مخاطرة ومهالك - فكان جوابهم أن قالوا « أنت رجل قد
جمع الله لك الخير فشأنك » (١)

وكان لهذا الاعتقاد من الجند فيه وتسليمهم له وتراميمهم على الموت
تحت لوائه أثر كبير في انتصاره كما أنه كان من الأسباب التي حملت عمر
على عزله . هذا ولقد كان لأهل السابقة والفضل في الاسلام عنده منزلة
خاصة فكان يحلمهم ويعظمهم ويعرف لهم فضلهم في الاسلام ويعتقد أن
النصر يؤاتيه بسببهم يدل لذلك ما حصل منه في موقعة مؤتة فقد أبى أخذ
اللواء من صحابى شهد بدرا فقال له حين دفعه إليه قائلا خذه فأنت أعلم
بالقتال منى : لا آخذه فأنت أحق به منى لأنك بمن شهد بدرا . وما كان
منه حين أراد المسير للشام فقد استأثر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجعلهم في جنده

٦- حبه للغزو والجهاد

كان رحمه الله سدادا لنحور العدو يحب أن يذل الشرك وأهله فتراهم
من يوم أسلم قد وهب نفسه وماله وراحته في سبيل الله وكان الجهاد
أحب شيء إلى نفسه ومقاتلة العدو كل همه في الدنيا ولقد أثر عنه أنه
قال : ما كان في الأرض ليلة أحب إلى من ليلة شديدة الجليد في سرية
من المهاجرين أصبح بهم العدو فعليكم بالجهاد ، وما كان مثله أن يموت

إلا تحت ظلال السيوف وأسنة الرماح ولقد بلغ به الحزن
ونال منه الألم وبكى واستعبر حينما عرف أنه سيموت على فراشه فقال
متحسراً أن حرم الشهادة: « لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في
بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح
وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير فلا نامت أعين
الجناء » (١)

بيت خالد

كان لخالد بن الوليد أكثر من زوجة أنجب منهن أكثر من واحد
وكان له من الولد سليمان وبه يكنى وعبد الله (٢) الذي قتل بالعراق
وعبد الرحمن والمهاجر وكانا غلامين على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية انضم عبد الرحمن إلى معاوية
وتشيع المهاجر لعل يويذ كربعض الرواة أن المهاجر هذا قتل بصفين (٣)
وكان عبد الرحمن من فرسان العرب ومن أهل النجدة والغناء والكرم
والهدى « ومن يشابه أبه فما ظلم » وكان في زمن عثمان رضي الله عنه
والياً على حمص تحت إمرة معاوية ولما قدم المشاغبون على عثمان من أهل
البصرة على معاوية ثم خرجوا عنه ومالوا إلى الجزيرة سمع بهم عبد الرحمن
ابن خالد فطلبهم وقال لهم : يا أئمة الشيطان لا مرحبا بكم ولا أهلا قد
رجع الشيطان محسوراً وأتم بعد نشاط خسر الله عبد الله إن لم يؤدبكم حتى

(١) أسد الغابة ج ٢ ص ١٠٤ ، المعارف لابن قتيبة ص ٩٠

(٢) أنساب القرشيين ج ٢ ص ٣٤٢

(٣) أنساب القرشيين ج ٢ ص ٣٤٠

يحسركم يامعشر من لا أدري أعرب أم عجم لا تقولوا لي ما يبلغني أنكم
تقولون لمعاوية ، أنا ابن خالد بن الوليد أنا ابن من عجمته العاجمات
أنا ابن فاتى الردة والله لئن بلغني يا صعصعة بن ذل أن أحداً ممن معي
دق أنفك ثم أمصك لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوى . . . يا ابن الحطيئة
أعلمت أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر مالك لا تقول ما كان يبلغني
أنك تقول لسعيد ومعاوية فيقول ويقولون تتوب إلى الله أقالنا أقالك الله . . .
ولقد بلغ من شهرته وعظمته ومحبة الناس لولايته أنه حينما أراد
معاوية البيعة لابنه يزيد خطب الناس فقال : قد كبرت سنى وقرب أجلى
وأردت أن أعقد لرجل يكون نظامكم فاخاروا لأنفسكم فانما أنا رجل
منكم فاجتمعوا وقالوا رضينا عبد الرحمن بن خالد فشق ذلك على معاوية
ودبر له أمر موته فدس إليه ابن أثال الطبيب اليهودى فسقاه شربة مات
منها وثأر له من هذا اليهودى خالد ابنه أو خالد ابن أخيه المهاجر على
خلاف في ذلك . وقال ابن المهاجر حين ثأر لعمه من اليهودى^(١)

قضى لابن سيف الله بالحق سيفه وعرى من حمل الدخول رواحله
وحين مات عبد الرحمن بن خالد رثاه كعب بن جعيل بقوله :
ألا تبكى وما ظلمت قريش بأعوال البكاء على فتاها
ولو سئلت دمشق وبعلبك وحمص من أباح لكم حماها
فسيف الله أدخاها المنايا وهدم حصنها وحوى قراها
وأنزلها معاوية بن صخر وكانت أرضه أرضاً سواها
وكان لخالد بن الوليد من الولد عدا من ذكرنا كثير غيرهم . يقول

ابن قتيبة^(١) : وكان له بالشام من الولد عدد كثير فقتل الطاعون منهم أربعين رجلاً فبادوا . وقد انقرض ولده فلم يبق منهم أحد وورث أيوب ابن سلمة بن عبد الله^(٢) (الوليد) بن الوليد بن المغيرة دورهم قال صاحب أسد الغابة^(٣) : « وقد انقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد وورث أيوب بن سلمة دورهم بالمدينة . وقال صاحب نهاية الأرب^(٤) : « وقد انقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد شرقاً ولا غرباً وأن من انتهى إليهم فهو مبطل في اتهمائه ، وكل من ادعى إليه فقد كذب » . وقال في صبح الأعشى^(٥) : وقد أجمع أهل العلم بالنسب على انقراض عقبه

وفاته

لم تتفق كلمة المؤرخين في تعيين المكان الذي توفي فيه خالد كما لم تتفق على سنة وفاته على أن الاختلاف في سنة الوفاة لا يكاد يكون اختلافاً وسنعرض بعض الروايات في ذلك لنختار منها ما نراه الأرجح

- ١ — ذكر الطبري نقلاً عن الواقدي أنه مات بحمص سنة ٢١^(٦)
- ٢ — وقال ابن عساكر : وقبره بحمص فأخبرني من غسله وحضره

(١) المعارف ص ٩٠

(٢) كان اسمه الوليد فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وقال في ذلك : لقد كادت بنو المغيرة أن تجعل الوليد ربا . من أنساب القرشيين ج ٢ ص ٣٤٤ ، الاستيعاب ج ١ ص ٣٩٩

(٣) ج ٢ ص ١٠٤

(٤) ج ٢ ص ٣٥٦

(٥) ج ١ ص ٣٥٥

(١٤)

(٦) راجع الطبري ج ٤ في حوادث سنة ٢١

ونظر إلى ما تحت ثيابه ما فيه مصح (١)

٣ - وقال أيضا : فاعتزل خالد إلى ثغر حمص فكان فيه وحبس

خيلا وسلاحا فلم يزل مقبلا مرابطا بحمص حتى نزل به (٢)

٤ - ويقول أيضا : قدم خالد بن الوليد بعد أن عزله عمر بن

الخطاب معتمرا أفر بالمدينة فلقى عمر ثم رجع إلى الشام فانقطع إلى حمص

فلم يزل بها حتى توفي بها سنة إحدى وعشرين (٣)

٥ - وقال في أسد الغابة : وتوفي بحمص من الشام وقيل بل توفي

بالمدينة سنة إحدى وعشرين (٤)

٦ - ويقول ابن حجر في تهذيب التهذيب : قال محمد بن سعد وابن

نمير وغير واحد مات بحمص سنة ٢١ وقال دحيم وغيره مات بالمدينة

وقيل مات سنة ٢٢

٧ - ويقول في الإصابة (٥) : مات خالد بن الوليد بمدينة حمص

سنة إحدى وعشرين وقيل توفي بالمدينة النبوية ولكن الأكثر

على أنه مات بحمص

٨ - وقال البدر العيني (٦) : ومات على فراشه بحمص وقيل بالمدينة

والأول أصح سنة إحدى وعشرين

(١) ص ٦٩٥

(٢) ص ٧١٢

(٣) ص ٧١٤

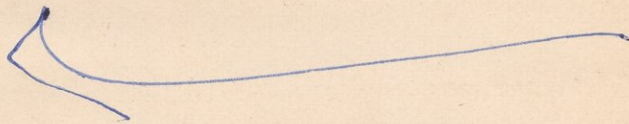
(٤) ج ٢ ص ١٠٤

(٥) ج ١ ص ١٠٠

(٦) شرح البخارى للعيني ج ١٦ ص ٢٤٥

هذه بعض روايات المؤرخين وإذا نحن عرضناها أمامنا تبين لنا أنه مات سنة إحدى وعشرين بـخمص لأن من هذه الروايات من لم يذكر موته بالمدينة أصلاً كما لم يتعرض لموته سنة ٢٢ والبعض الذى ذكر ذلك إنما ذكره بصيغة تشعر بالضعف

رحمك الله أبا سليمان فقد أصيب الإسلام بوفاتك وثلم فيه ثلثة لا تترق . وليتك بقيت مابقى بالحمى حجر فقد كنت تحب أن يذل الشرك وأهله ولقد عشت سعيداً وميت حميداً وما عند الله خير لك وأبقى ؟



LIT RAY

115021579

613187107

main



0 0 0 0 0 0 4 4 5 6 8

D 198.4 K5 S5x 1933/c.1

-DEC 1985

